

سيرة النبلاء

سيرة البراءة

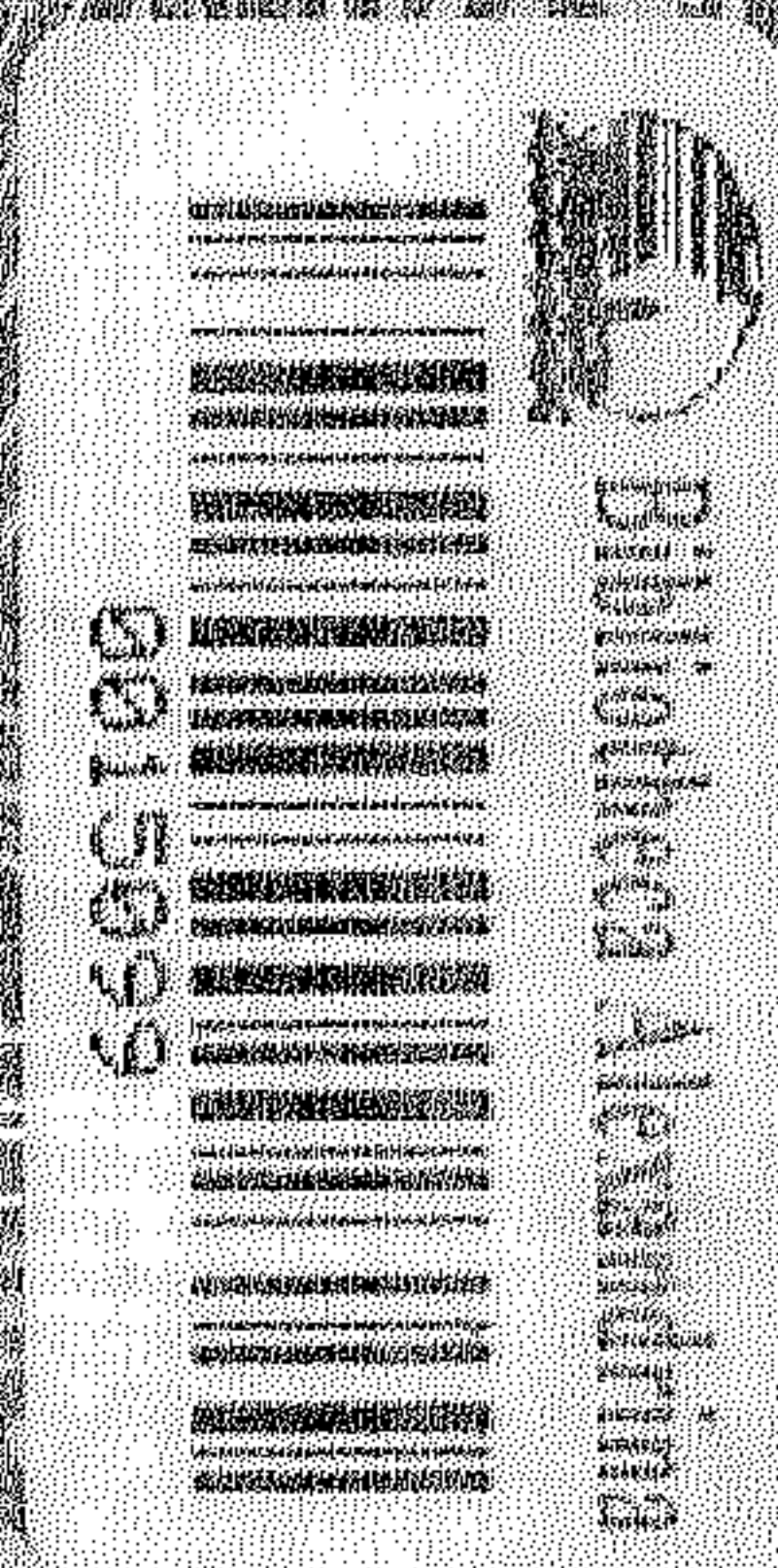
تأليف

أبي منصور محمد بن أبي بكر السعدي النيسابوري

الطبعة الأولى ١٠١٠ هـ

دار الكتب والعلوم
بمصر

مطبعة لبنان



Bibliotheca Alexandrina
0015099

سِرُّ الْبِلاَغَةِ وَسِرُّ الْبِرَاعَةِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَائِبِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

صَحَّحَهُ وَضَبَطَهُ

الأستاذ عبد السلام الحوفي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
صرب ٩٤٢٤-١١ - تلکس : NASHER 41245 Le

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ سَهْلٍ وَيَسْرٍ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على النبي محمد وآله أجمعين^(١).
أما بعد فإن هذا الكتاب أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض، ونُكت
أعيان الفضل من بُلغَاء العصر في النثر، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعراء،
الذين أوردتُ مُلح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر، فلفقتُ جميع
ذلك ونسقتُهُ، وسردتُهُ وسقتهُ وأنفقتُ عليه جميع ما رزقته، وعمِلتُهُ بجهد الخاطر،
وكد الناظر، وعرق الجبين، وتعب اليمين، وبؤبته وربتته وعمدته فيه لذة الجِدَّة،
ورونق الحدائث، وملاحة الطراوة، ولم أشبه بشيءٍ سوى كلام أهل العصر،
اللهم إلا قلائد قلائل من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز، تخللتُ أثناءه
وتوسّطتُ تضاعيفه. ولم أُخلِ كلمةً من كلماته التي هي وسائل الأداب،
وصياقل الألباب، وما تشتهي أنفس الأدباء وتلذُّ أعين الكتّاب، من لفظٍ
فصيح، أو معنى بديع، أو تجنيس، أنيس، أو تشبيه، بلا شبيه، أو تمثيل،
بلا مثل أو عدل، أو استعارة، من الحسن مُستعارة، أو طباق، ذي رونقٍ
باق. فمن مرافق هذا الكتاب، قُرْبُ مُتناوله على بُلغَاء الكتاب، إذا طرّزوا
ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصعوا
عُقود نظامهم بما يلتقطونه من شُدوره. فأما المخاطبات والمحاورات فإنها

(١) قال في الهامش: وفي نسخة: أما بعد حمد الله أولى من حمد، والصلاة على محمد
أفضل من ولد، (وهو ما ذكر في كشف الظنون).

تتبرج بغرّة من غرره، وتُتوّج بدرّة من دُرره، وقد كنتُ أخرجته في نسختين مُتقاربتيّ الكيفيّة والكميّة، متشاكلتي الصنعة والصّيغة، أهديت إحداهما إلى الشيخ الرّئيس أبي سهل أحمد بن الحسن الحمدوني، والأخرى إلى صاحب الجيش أبي عمران موسى بن هارون الكردي، وهذه النسخة الثالثة تجمع بينهما وتأخذ بأطرافهما وأوساطهما، وتزيدُ بأبكارٍ طرائف وبواكيرٍ لطائف عليهما، وتستفيدُ فضل تنقيحٍ وتهذيبٍ وتثذيب. ولتشرّفها بخزانة الأمير الأوحّد أبي الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي، عمرها الله بطول عمره، وتَحليها باسمه، تُبتهّا الله بدوام ذكره، وتشتمل على أربعة عشر كتاباً، يتضمّن كلُّ كتاب منها أبواباً، [وهذا ثبتُ الكتب]:

- كتابُ ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه.
- كتابُ الأزمنة والأمكنة وما يتصل بها ويشاكلها.
- كتابُ أحوال الإنسان من لدن صِغَره ونمائه، إلى كِبَره وأنتهائه.
- كتابُ الطّعام والشّراب وما ينضاف إليهما ويقترن بهما.
- كتابُ النّظم والنثر وأصحابهما وآلاتهما وأدواتهما.
- كتابُ الممّادح والأثنيّة وما يجري مجراها.
- كتابُ المساويء والمقايح وما يدانيها.
- كتابُ العيادة وما يُجانسها.
- كتابُ التهاني والتهادي وما ينخرط في سلكها.
- كتابُ التعازي وما يليق بها.
- كتابُ الإخوانيات وما يأخذ مأخذها.
- كتابُ السلطانيات وما يقع في أبوابها.
- كتابُ الشوارد والفوارد وما يشبهها.
- كتابُ الأمثال والحكم والنواعظ وما يحذو حذوها.

وهذا ثبت أسماء بلغاء العصر

الذين أخرجت معظم الكتاب من غرر نثرهم

فمن أهل الشام: أبو الفرج الببغاء، وأبو محمد الفياض، ومن أهل العراق أبو محمد المهلبى الوزير، وأبو إسحاق الصابى وابن عمه أبو الخطاب، وأبو الحسن الموسوي النقيب. ومن أهل الجبل وفارس وجرجان أبو الفضل بن العميد وأبوه أبو الفتح، وألصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، والأمير شمس المعالي [قابوس، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو الحسن] علي بن القاسم القاساني، وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبو منصور^(١) بن المرزبان الشيرازي، وأبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ومن أهل خراسان والطارئين عليها أبو القاسم الإسكافي وأبويحي الحمادي، وأبو علي الدامغاني، وأبو أحمد محمد بن اليسع، والأمير أبو الفضل الميكالي، [وأبو بكر الخوارزمي، وأبو الفتح علي بن محمد البستي]، وبديع الزمان أبو الفضل الهمداني، وأبو محمد الحسن بن محمد البروجردى، وأبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي.

وهذا ثبت أسماء شعراء العصر

الذين حلت بعض الكتاب من ملح نظمهم

أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، وأبو العباس النامي، والسري الموصلي، والخالديان: أبو بكر، وأبو عثمان، وابن سكرة الهاشمي، وأبو طالب المأموني، والقاضي التنوخي، وأبو نصر بن نباتة، وأبو القاسم

(١) كذا في النسختين وفي يتيمة الدهر: أبو نصر.

الزّعفراني، وآبن لَنَكَّك البصري، وأبو دُلف الخزرجي، وأبو الحسن اللّحام،
وأبو سعيد الرُّستمي، وأبو محمد بن مطران الشاشي، وأبو الحسن السّلامي،
وآبن أبي العلاء الأصفهاني، وأبو محمد الخازن، وعبد الصّمد بن بآبك،
وإسماعيل الشاشي، وأبو الحسن الجوهري.
ثم إن هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر مترجم:

بسحر البلاغة وسر البراعة

وأرجو أن يكون أسماً يُوافق مُسمّاه، ولفظاً يُطابق معناه، بإذن الله ومشيتته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب

ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه

مقدمات

الحمد لله تبارك وتعالى، إِنَّ أَوْلَى مَا فَعَّرَ بِهِ الْوَالِدُ فَمَهُ، وَأَفْتَحَ بِهِ كَلِمَهُ،
حَمْدُ اللَّهِ، وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ ذِي مَقَالَةٍ أَنْ يَبْدَأَ بِالْحَمْدِ قَبْلَ افْتِتَاحِهَا كَمَا بَدَأَ
بِالنَّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا. الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا افْتَتَحَ كِتَابَهُ الْكَرِيمُ، وَفُرْقَانَهُ الْعَظِيمُ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ شِعَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. حَمْدُ اللَّهِ خَيْرٌ مَا افْتَتِحَ بِهِ الْقَوْلُ وَأَخْتُمَ، وَأَبْتَدِيَءَ بِهِ
الْخُطَابُ وَتَمَّ. خَيْرُ كَلِمَاتِ الشُّكْرِ مَا افْتَتِحَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ.

غرر التحاميد

الحمد لله الذي لم يُسْتَفْتَحْ بِأَفْضَلِ مِنْ أَسْمِهِ كَلَامٌ، وَلَمْ يَسْتَنْجَحْ بِأَحْسَنِ مِنْ
صَنْعِهِ مَرَامٌ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مُسْتَحَقًّا لِلْحَمْدِ حَتَّى لَا انْقِطَاعَ،
وَمَوْجِبَ الشُّكْرِ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطَاعُ. الْحَمْدُ لِلَّهِ مَانِحِ الْأَعْلَاقِ، وَفَاتِحِ
الْأَغْلَاقِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ إِبْدَاءً وَإِعَادَةً. الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزُّ الْحَقِّ وَمُذِيلُهُ، وَمَذَلُّ
الْبَاطِلِ وَمُزِيلُهُ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبِينِ أَيْدُهُ، الْمَتِينِ كَيْدُهُ. الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْحُجُجِ
الْبِوَالِغِ، وَالنَّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالنَّقَمِ الدَّوَامِغِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزُّ الْحَقِّ وَنَاصِرُهُ،

ومذللُّ الباطل وقاصره. الحمدُ لله الذي أقلُّ نعمه يستغرقُ أكثر الشكر. والحمد لله الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه.

وصف الحمد

حمد لا أنقطاع لراتبه، ولا إقلاع لسحائبه. حمداً يكون لإنعامه مجازياً، وإحسانه مُوازيًا، وإن كانت آلاؤه لا تجازي، ولا تُوازي، ولا تُباري، ولا تجاري. حمداً يتردد أنفاس الصدور، ويتكرر تكرّر لحظات العيون. حمداً يستنزل الرحمة، ويستكشف الغمة. حمداً يبلغ الحق ويقتضيه، ويمتري المزيد ويقضيه. حمداً يؤنس وحشي النعم من الزوال، ويحرُسها من التغير والانتقال.

عادة الله جل ذكره

عادة الله لا تُطلب لها غايةٌ إلا قصرت الأوهامُ عنها، ولا تنسخ فيها آيةٌ إلا أتى بخيرٍ منها، لا يزال الله يجرينا على أحسن عادة، ويقسم لنا أفضل سعادة. عادة من الله كريمة لا تخلف، وعادة من تفضله لا تخلف، على أحسن ما أعْتيد، من إحسانه العتيد، عادة الله جميلة تفوت الشكر وتسبقه، وتستوعب الحمد وتستغرقه، عادات الله قد فاتت مرام الهمم، وشأت تواريخ الأمم.

صنع الله ولطفه

للدهر نوائبٌ تتخرّم وتتطرف، ثم إن غمراتها تتجلى وتتكشف، فله تعالى في أثنائها الصنع الجزيل والفرج القريب، سبحان من له في كل قضية الطافُ نعرفها ونثبتها في فضله ونعمته، أو نجعلها فنردّها إلى عدله وحكمته. أحمدُ الله الذي لا يخلي عباده من صنعٍ لهم تنطوي عليه أثناء

النكبات إذا طرقت، ولطف بهم يلين صعب الخطوب إذا جمحت. الطاف
الله تسير إلى عباده في طرق خفية المذاهب، رقيقة الجوانب. لله مع كل
لمحة صنع حفي ولطف خفي، لله الطاف سيلغ الكتاب فيها أجله، ويعمل
الإقبال في إتمامها عمله. صنع الله لطيف، وفضله بنا مطيف.

ذكر الله تعالى في أثناء الكلام

علام الغيوب، ومن بيده أزمّة القلوب، الخبير بما تُجنّ الظمائر، وتكنّ
السرائر، العالم بما تفضي إليه الأمور، وبخائنة الأعين وما تخفي الصدور،
أكرم مسؤل، وأعظم مأمول، سميع لراجيه، قريب ممن يناجيه، حكمه
مقبول، وأمره مفعول، الله يعلم وهو أعلم شهيد، وأقرب للضمير من حبل
الوريد، وكل خير بيديه، وتتوجه الرغبات إليه، الله الحفي بسأوله، المشفع
لوسائله، الذي بيده مقاليد الأمور، ومفاتيح المقدور، الله منجز عاداته،
وحافظ عاداته، هو النافذ أمره، العزيز نصره، الجلي صنعه، الخفي مكره،
أن الله يقضي ما يريد، وإن رَغِمَ أنفُ الشيطان المرید. هو السميع البصير،
العالم بما يُجنّ الضمير، من له الخلق والأمر، وسواء عنده السر والجبر،
مولى الخلق، وباسط. الرزق قد أحلتها على ملي، وكتبت له إلى وفي، إن
الله منجز وعده، ولا خلف عنده، الأمر له والخلق بيديه، والاستعانة به
والتفويض إليه.

ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

سليل أكرم نبعة، وقريع أشرف بقة. جاء بأمته من الظلمات إلى النور،
وأفأء عليهم الظل بعد الحرور. محمد نبي الله وصفوته وخيرته من بريته،
مؤكد دعوته بالتأييد. ومفرد شريعته بالتأييد، خيرة الله من خلقه. وحبته في
أرضه، والهادي إلى حقه. والمُنَبِّه على حكمه، والداعي إلى رشده. والآخذ

بفرضه، مبارك مولده، سعيدٌ مورده، قاطعةٌ حُجُجُه. ساميةٌ دَرَجُه، ساطعٌ صباحه. متوقِّدٌ مصباحه، مظفَّرَةٌ حروبه. ميسرةٌ خطوبه، قد أُفردَ بالزعامة وحده، وحتم بأن لا نبي بعده، نفصح بشعاره على المنابر. وبالصلاة عليه في المحاضر، ونعمر بذكره صدور المساجد، وتستوي في الانقياد لأمره حالتنا المقرِّ والجاحد، آخر الأنبياء في الدنيا عصراً. وأولهم يوم الدين ذكراً، وأرجحهم عند الله ميزاناً. وأوضحهم حُجة وبرهاناً، صدع بالرسالة، وبلغ في الدلالة. ونقل الناس من طاعة الشيطان الرجيم، إلى طاعة الرحمن الرحيم. أرسله الله للإسلام قمراً منيراً، وقدراً على أهل الضلال مُبِيراً.

الصلاة عليه مع الافصاح

صلى الله على محمد خيرٍ من أفتتحت بذكره الدعوات، وأستنجحت بالصلاة عليه الطلِّبات، صلى الله على محمدٍ نبيِّ مبعوث، وأفضل وارثٍ وموروث، صلى الله على كاشف الغُمَّة عن الأمة، الناطق فيهم بالحكمة، الصادع بالحق، الداعي إلى الصِّدق، محمد رسوله الذي ملكه هوادي الهدى، ودلَّ به على ما هو خيرٌ وأبقى، صلى الله على بشير الرحمة والثواب، ونذير السطوة والعقاب، محمد الذي أدَّى الأمانة مخلصاً، وصدع بالرسالة مُبلغاً ملخّصاً، صلى الله على أتم بريته خيراً وفضلاً، وأطيبهم فرعاً وأصلاً، وأكرمهم عوداً ونجراً، وأعلامهم منصباً وفخراً.

ذكر الآل

وعلى آله الذين عظّمهم توقيراً، وطهّروهم تطهيراً، وعلى آله مقاليد السَّعادة ومفاتيحها، ومجاديح البركة ومصاييحها، أعلام الإسلام، وأمان الإيمان، الطيبين الأخيار، والطاهرين الأبرار، الذين أذهب عنهم الأرجاس، وطهّروهم من الأدناس، وجعل موَدّتهم أجراً له على الناس، وعلى آله الذين هم حبل

الهدى، وشجرة التقوى، وسفينة النجاة العظمى، وعروة الدين الوثقى.
الذين هم زينة الحياة، وسفينة النجاة، وشجر الرضوان، وعشيرة الإيمان،
وعلى الشجرة التي أصلها نبوة، وفرعها مروة، وأغصانها تنزيل، وورقها
تأويل، وخدمها جبريل وميكائيل.

ذكر القرآن

حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته
الكبرى، ومحجته الوضحي، هو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذي من
استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنها زلّ وهوى، فضائل القرآن، لا
تستقصى في ألف قرآن. حجة الله وعهده، ووعيده ووعده، به يعلم الله الجاهل،
ويعمل العاقل. وينتبه الساهي، ويتذكر اللاهي. بشير الثواب، ونذير العقاب.
وشفاء الصدور، وجلاء الأمور. من فضائله أنه يقرأ دائماً ويكتب، ويُملّ
فلا يُملّ. ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه، وتصوّر الموت أمامه. طوبى
لمن جعل القرآن مصباح قلبه، ومفتاح لبه. من حق القرآن حفظ ترتيبه، وحسن
ترتيبه.

آخر كتاب ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأزمنة والأمكنة وما يتصل بها ويشاكلها

[في الربيع وإقباله]

قد أقبل الربيع بأسعد فآله، والحسن والطيب في إقباله. أقبل الربيع يتبسم، ويكاد من الحسن يتكلم. تنفس الربيع عن أنفاس الأحباب، وأعار الأرض أثواب الشباب. تنفس فنفس عن المكروب، وأهدى الروح والراحة للقلوب. استخرج من زهر البساتين، ما دفنته يد الكوانين. جاء يجر أذيال العرائس، وينشر أجنحة الطواوس. تبلج عن وجه بهج، وجو غنج، وروض أرج، وطير مزدوج. أقبل برائحة الجنان، وراحة الجنان، أسفر عن ظل سنجسج، وماء سلسل وروض مدبج. جاء مُعيداً للأنس العازب، ومُطلعاً للهو الغارب. تبلج عن نوره، وتفتح عن نوره. لاحت مناهجه، وراقت مباهجه. مرحباً بالفصل، الجامع لأحكام الفضل، زائر من القلوب قريب، وكله حسن وطيب. زائر لباسه حرير، وأنفاسه عبير. انكشفت غمة الشتاء الكالح عن غرة الربيع الضاحك، أذال الربيع أذيال الحرير، وعبرت أنفاسه عن العبير. تبدل الشباب من المشيب، وبرز في مطرفه القشيب. عطر السهول والوعور، فعطل المسك والكافور. الزمان معتدل، ووجهه طلق مقبل. وسحابه ماطر، وترابه عاطر، كأن الجنة قد نزلت إلى الأرض في أبهى حللها وأنفس حلاها، وما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين منها، قد تبرجت

الأرض للنظارة، وبرزت في معرض الحسن والنضارة، لبست الأرض قناعها
الأخضر، ونضت شعارها الأغبر. حاك الربيع حلل الأزهار، وصاغ حلى
الأنوار.

في النسيم ووصف أثره

زائر وجهه وسيم، وفضله جسيم، وريحه نسيم، قد سفر الربيع عن خلق
الكريم، ونطق بلسان النسيم. وأفاض ماء النعيم، هبّ النسيم من الكرى،
وهبّ على الورى، وعطر الثرى. جرّ على الأرض أزره، وحلّ عن جيب
الطيب زرّه. نسيم الريح، نسيم الروح، قد ركضت خيول النسيم في
ميادين الرياض. يا لك من منظر جناني، وماءٍ فضيّ، ونسيمٍ عطريّ، قد
حلت يد المطر أزرار الأنوار، وأذاع لسان النسيم أسرار الأزهار.

في وصف الرياض

روضة رقت حواشيها، وتأنق واشيها، روضة كالعقود المنظمة، على البرود
المنمنمة. روضة قد نشرت طرائف مطارفها، ولطائف زخارفها، فطوي لها
الدجاج الخسروانيّ، ونفي معها ألوشي الإسكندرانيّ. روضة قد راضتها يد
المطر. روضة دبجتها أيدي الندى. أخرجت الأرض أسرارها، وأظهرت يد
الغيث آثارها، وأطلعت الرياض أزهارها. الرياض كالعرائس في حليها
وزخارفها، والقيان في وشيها ومطارفها، باسطة زرايبها وأنماطها، ناشرة جبرها
ورياطها، زاهية بحمراتها وصفراتها، تائهة بعوانها وعذرائها، كأنما احتفلت
لوفد، أو هي من حبيب على وعد. روضة قد تضوّعت بالأرج الطيب
أرجاؤها، وتبرجت في ظلّ الغمام صحراؤها، وتفاوحت بنوافج المسك
أنوارها، وتعارضت بغرائب النطق أطيّارها.

في وصف البساتين

بُستانٌ رَقَّ نوره النَّضيد، وراق ورقه النَّضير. بُستانٌ غُصنه خَضير، ورَبْعُه خَصيب، ونوره نَضير، وماؤه خصر. بستانٌ كأنه أنموذج الجنة. بستان لا يحلُّ لأريب أن لا يحلَّ به. بستان أرضه للبقل والريحان، وسماؤه للنخل والرمان. بستانٌ أنهاره مفروزة بالأزهار، وأشجاره موقرة بالثمار، أشجار كالعذارى يُسرحن الضفائر، وينشرون الغدائر. أشجار كأن الحور أعارتها قُدودها، وكستها برودها، وحلتها عُقودها.

في ذكر النرجس والورد والشقائق

الرَّبيعُ شبابُ الزمان، ومقدمة الورد والريحان. زمن الورد موموق مرموق، وكأنه من الجنة مسروق. قد ورد كتاب الورد، بإقباله إلى أهل الود، إذا ورد الورد، صدر البرد، مرحباً بأشرف الزهر، في أظرف الدهر، كأن عين النرجس عين، وورقه ورق، النرجس نزهة الطرف، وظرف الظرف، وغذاء الروح، ومادة الروح، شقائق كتيجان العقيق على الزنوج، كأنها أصداغ المسك على الوجنات الموردة. شقائق كالزنوج تجارجت فسالت دماؤها، وضعت فبقي دماؤها.

في غناء الأطيبار

الأرض زمردة والأشجار وشي، والماء سيوف والطيور قيان. قد غردت خطباء الأطيبار، على منابر الأنوار والأزهار، إذا صدح الحمام، صدع قلب المستهام، أنظر إلى طرب الأشجار، لغناء الأطيبار. ليس للبلابل، كخمر بابل، على غناء البلابل.

في وصف أيام الربيع

يوم سماؤه فاختيه، وأرضه طاؤسيّة. يومٌ جلابيب غيومه صفاقٌ، وأردية نسيمه رفاقٌ، يومٌ مُعصفر السماء، ممسك الهواء، معبر الرياض مصنديل الماء. يوم سماؤه كالحز الأدكن، وأرضه كالديباج الأخضر. يومٌ تبسم عنه الربيع، وتبرج فيه الروض المرّيع. كأنّ سماءه مأمم، وأرضه عرس.

مقدمة المطر

لبست السماء جلابيها. سحّب السحاب أذياله. احتجبت الشمس في سرادق الغيم، ولبس الجو مطرفه الأدكن. باحت الريح بأسرار الندى. ضربت خيمة الغمام، وقام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق، سحابة رعدّها يُصمّ الأذن، وبرقها يخطف العين. سحابة ارتجزت رواعدّها، وأذهبت بروقها مطاردّها. نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق. الرعد ذو صخب، والبرق ذو لهب. ابتسم البرق عن قهقهة الرعد. زارت أسد الرعد، ولمعت سيوف البرق. رعدت الغمام وبرقت، وأنحلت عزالى السماء فطبقت. سحابة هدرت رواعدّها، وقربت أبعادها، وصدقت مواعدّها. كأنّ البرق قلب مشوق، بين التهاب وخفوق.

في السحاب والمطر

انحلّ عقْد السماء، وهي عقْد الأنواء. انحل سلك القطر، عن درّ البحر. أرخت السماء عزاليتها، وأغرقت الأرض وسحت نواحيها. هطلت بمثل أفواه القرب، انتشرت كآنتثار العقود. استعار السحاب جفون العشاق، وأكفّ الأجواد. انحل خيط السماء، انقطع شريان الغمام. سحابة تنخل علينا ماء البحر، وتفضّ لنا عقود الدرّ. سحابٌ حكى المحبّ في أنسكاب دموعه،

والتهاب النار بين ضلوعه، سحابة تحدو من الغيوم جبالا، وتمد من الأمطار جبالا. سحابة ترسل الأمطار أموجا، والأمواج أفوجا. تحللت عقد السماء بالديمة الهطلا. غيث أجش يروي الهضاب والآكام، ويحيي النبات والسوام. غيث كغزارة فضلك، وسلاسة طبعك، وصفاء ودك. وببل كالنبل. سحابة يضحك من بكائها الروض، وتخضر من سوادها الأرض. سحابة لا تجف جفونها، ولا يخف أنينها، ديمة روت أديم الثرى، ونبتت عيون النور من الكرى. سحابة ركبت أعناق الرياح. مطر كأفواه القرب، ووحل إلى الركب. أنديّة قد من الله معها على البيوت، بالثبوت، وعلى السقوف، بالوقوف.

في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزجاج الأزرق، غدیر كعين الشمس، موارد كالمبارد. ماء كلسان الشمعة، أصفى من الدمعة، يسبح في الرضراض، سيح الضناض. ماء إذا مسته يد النسيم حكى سلاسل الفضة. ماء إذا صافحته راحة الريح، لبس الدرع كالمسيح. ماء يتصنل ويتسلسل. كأن الغدير بنات الماء مصنل مطير، بركة كأنها مرآة السماء، بركة مفروزة بالخضرة رداء، كأنها مرآة مجلوة على ديباجة خضراء، غدیر ترقرت فيه دموع السحائب، وتواترت عليه أنفاس الرياح الجنائب. غدیر ساكن إلا من نسيم الصبا يحركه بأنفاسه، وينقش وجهه بأرواحه. ماء يبوح بأسراره وشفاهه، ويلوح في قراره حصابؤه، ماء كأنما يفقده من يشهده. ماء أرق من دموعي فيك وأعذب من أخلاقك، وأبرد من فعل الزمان حين رماني بفراقك. نهر يتسلسل كالزرافين، ويرضع أولاد الرياحين.

في ذكر الصيف ووصف الحر

قوي سلطان الحر. فرش بساط الجمر. أقبلت أوائل الحر، وغير الهواء

طبعه، وبدل مزاجه. حرّ الصيف، كحدّ السيف. أوقدت الشمس نارها، وأذكت أوارها. حرٌّ يَلْفَحُ حرّ الوجه. حرٌّ يشبه قلب الصبّ. ويذيب دماغ الصبّ. هاجرة كأنها من قلوب العُشاق، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق. هاجرة تحكي نار الهجر، وتذيب قلب الصخر. كأنّ البسيطة من وقدة الحرّ، بساط من الجمر. حرٌّ يَهْرُبُ له الحرّ بآء من الشمس. قد صهرت الهاجرة من الأبدان، وركبت الجنادب العيدان. حرٌّ يُنْضِجُ الجلود، ويذيب الصيخود. أيام كأيام الفرقة امتداد، وحرٌّ كحرّ الوجد اشتداداً حرٌّ لا يطيب معه عيش، ولا ينفع ثلجٌ ولا خيش. حمارة القيظ، تغلي بصدر الغيظ، آب أب يجيش مرّجه، ويثور قسطله. هاجرة كقلب المهجور، والتنوير المسجور. هاجرة كالسّعير الجاحم، تجرّ أذيال السمائم، ظلها يحموم، وماؤها محموم.

ذكر الخريف

انحسر قناع الصيف. خفت سلطان الحرّ. خبت جمره الهواجر. جاشت جيوش الخريف. فررت رايات المصيف، قد أخذ البرد يجمشنا بلواحظه، ويقرصنا بأنامله. أخذت عواصفه تهبّ، وأقبلت عقاربه تدبّ. قد حلت الشمس الميزان، وعدل الزمان الميزان، لفتح المصيف قد كفّ، ووقع الشمس قد خفت، خفت الرياح، وجفت الأعواد.

في الشتاء ووصف البرد والثلج والجمر

ألقي الشتاء كلّكاه، وأحلّ بنا أثقاله. مدّ الشتاء رواقه، وألقى أرواقه، وحلّ نطاقه. ضرب الشتاء بجرانه، وأستقلّ بأركانه، أناخ بنوازله، وأرسي بكلاكله، وكلح بوجهه، وكشر عن أنيابه. في الشتاء كلب، وفي الهواء غلظ، قد عادت هامات الجبال شيبا، ولبست من الثلج ملاء قشيبا. شابّت مفارق البروج، لتراكم الثلوج. ألم المشيب بهامات بيّضت لِمَمَّها، قد صار

أبرد حجابا، وأثلج حجازا، برّد يعبس له الوجه الطلق. برّد يزوي الوجوه، ويعمش العيون؛ ويسيل الأنوف. برّد يُغيّر الألوان، ويُقشّف الأبدان. برّد يُقضض الأعضاء، وينفض الأحشاء. برّد أجمد الرّيق في الأشداق، والدّمع في الآماق. حال بين الكلب وهريره، والأسد وزئيره، والطير وصفييره، والماء وخريره، نحن بين لثقي ودَمقي وزَلقي.

في الاستظهار على البرد

ليس للبرد كالبُرد والجمر، إذا كلب الشتا، فدرّياق سموه الصّلا.

في نعت الأيام الشتوية

يومٌ كأنّ الأرض شابت لهوله. يومٌ فضيّ الجلباب، مسكيّ النّقاب. يوم عبوس قَمَطَير، كشر عن ناب الزّمهرير، وفرش الأرض بالقوارير. يومٌ أخذت الشّمال زمامه، وكساه الصّرّ ثيابه. يومٌ كأنّ الدّنيا فيه كافورة. والأرض قارورة، والسّماء بلّورة. يومٌ أرضه كالقوارير اللّامعة، وهوأؤه كالزّنابير اللّاسعة. يومٌ أرضه كالزّجاج، وأعالي الزّجاج. يوم يثقل فيه الخفيف إذا هجم، ويخفّ الثّقل إذا هجر.

أبواب ذكر الليل والنهار

ووصف أوقاتهما، واختلاف أحوالهما، وما يتصل بهما

في ذكر اقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر الليل، خفقت رايات الظلام، خلع الليل علينا فروته، وألبسنا الظلام برّده. تفقد الشّفق، في ثوب الغسق، قيد الظلام الحافظ العيون. وستره الظلام بذيله. أقبلت وفود النجوم. جاءت مواكب الكواكب.

تفتحت أزاهير النجوم . نورت حدائق الجوّ . أذكى الفلّك مصابيحَه ، طفت
النُّجوم في بحر الدُّجى .

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جُلباباً من القار، ليلة كجناح الغراب، وشعر الشباب، وحدق
الحسان، وذوائب العذارى . ليلة كأنها في لباس بني العباس، كأنها في
لباس الثكالي، كأنها من الغبش، موكب الحبش . ليلة يضلّ بها الغطاط، ولا
يُبصر فيها الوطواط . ليلة قد حلك إهابها، وكأن الفجر يهابها . ليلة استعارت
لون الخيل الدُّهم، كأن الأرض مصبوغة فيها بالمديد .

في ذكر الليالي الطليقة الطيبة المشكورة

ليلة سحرٌ كلها . ليلة كأنها نهار . ليلة من حسنات الدهر . ليلة هوأؤها
صحيح ونسيمها عليل . ليلة كبرد الشباب . ليلة فضية الأديم، مسكية النسيم .
ليلة هي لمعة العمر، وغرة الدهر . ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم . ليلة
رقد الدهر عنها، وطلعت سعودها، وغاب عذالها . ليلة كالمسك منظرها
ومخبرها . ليلة هي باكورة العمر، وبكر الدهر . ليلة يلتقي طرفاها . ليلة
ظلماتها أنوار، وطوال أوقاتها قصار . ليلة كما شاء المحب . ليلة مسروقة من
الدهر، ليلة مريضة النسيم، صحيحة الهواء، موشية بالنجوم، مطرزة بالقمر .

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلة من غصص الصدر، ونقم الدهر . ليلة كلها غيوم وغموم . ليلة كما شاء
الحسود، وساء الودود . ليلة كأن أول يوم الحشر آخرها . ليلة قص جناحها،
وضل صباحها . ليلة كليل الأعمى . ليل ثابت الأطناب طامي الغوارب، طامح
الأمواج وافي الدوائب . ليل كأن نجومه نجوم الشيب . ليل كأن نجومه عُقلت

فلا تسير، ولا تدور ولا تغور. ليالٍ ليست لها أسحار، وظلماتٌ لا تتخللها
أنوار.

فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر

بات فلان بليلة نابغية، بات بليل السقيم، بات بليل السليم، بات في
الصيف بليلة شتوية، سامرته الهموم، وعانقته الغموم، قد توسد ذراع الهم،
وافترش مهاد الغم، قد اكتحل السهاد، وافترش القتاد، اكتحل بمراود
الأرق، وتقلب على مراقد القلق، جفا أجفانه الكرى، كأنما خلقت عيناه
للسهر، النجوم شهود سهاده، كأن النوم قد غضب على مآقيه، اكتحل
بملمول السهر، وتململ على فراش الفكر، أقض مهاده، وقلق وساده، هموم
تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد، سهر يفتق الجفن،
ويقذي العين، ويؤدي القلب، ويوحش النفس. طرف برعي النجوم
مطروف، وفراش بشعار الهم محفوف، كأنه على النجوم ريب، وللظلام
نقيب.

ذكر النعاس والنوم

شرب كأس النعاس، أنتشى من خمر الكرى، خاط النعاس جفونه، أخذ
الكرى يجمشه، بل ثقل رأس، وتقاضي نعاس، عسكر النعاس بطرفه، وخيم
بين عينيه وجفنه. خاض ضحضاح الكرى، ملأ النعاس جفنه، وشغل عينه.
مال مع النعاس. مس النوم مقلته. غلبته عيناه. كأن النعاس يطالبه بدين.
غشيه نعاس الوحدة، ضرب على أذنه وقد ملأ عينه، غرق في لجة الكرى.
تمايل من سكرة النوم. غفوة كحسوة الطائر، نومه كلا ولا قلة، وكتصفيقة
الطائر خفة، كحل الليل الورى بالرقاد، وشامت الأجفان أعينها في الأغماد،
عبث الكرى بهم، وأرخى مفاصلهم، وأمال أعناقهم.

انتصاف الليل

قد تنصفنا عمرَ الليل، وأستغرقنا شبابه. مضى من الليل صدره، وأنقضى شطره. اکتهل الظلام. شاب رأس الليل. كاد يَينم النسيم بالسَّحر، الصبح حَمَلٌ بين أحشاء الدجى.

تناهي الليل وتصومه

انكشف غطاء الليل. انهتك ستر الدجى. رُفِعَ سِجْفُ الظلام، رق ثوب الدجى، نعى الديك الظلام، هَرِمَ الليل، وشَمِطت ذوائبه، وتقوَّس ظهره، وتصرَّم عمره، قوَّضت خيام الظلام، خلع الأفق ثوب الدجى، استردَّ الليل خِلعته، انتقب الليل بالصبح، أعرض الظلام وتولى، وتدلَّى عنقود الثريا، طرَّز الصبح قميص الليل، باح الصباح بسرّه، خلع الليل ثيابه، وحدَّر الصبح نقابه.

إقبال الصبح وانتشار النور

لاحت تباشير الصبح، افترَّ الفجر عن نواجذه. ضرب الصبح في الدجى بعموده. تبسّم عن نوره. فتك الصبح بالليل، بشر الديك الصبح، سل سيف الصبح في قفا الظلام. بثّ الصبح طلائعه. نشر ثياب النور. تبرقع وجه الليل بغرة الصبح أطار بازي النهار غراب الليل. عزلت نوافج المسك بشمّامات الكافور، وانهزم جند الظلام من عسكر النور. خلعنا خِلعَ الظلام ولبسنا رداء الصبح، ملأ الأذان الأذان، برق الصباح، وسطع الضوء، وطلع النور، وأشرقت الدنيا، وأضاءت الآفاق.

افول النجوم

مالت الجوزاء للغروب، ولّت مواكب الكواكب، تناثرت عقود النجوم

تعطّل الأفق من حُلّي الكواكب، تفرّقت أسراب النجوم، فرّت من حدق
الأنام، وهي نطاق الجوزاء، وأنطفأت قناديل الثريا.

طلوع الشمس وانبساط الضوء

بدا حاجبُ الشمس. ذرّ قرن الشمس. ارتفع الحجاب عن حاجبها.
لمعت الشمس في أجنحة الطير. كشفت قناعها، ونشرت شعاعها. ارتفع
سُرادقها، وأضأت مشارقها. انتشر جناح الضوء، في أفق الجوّ. طنب شعاع
الشمس في الآفاق، وذهب أطراف الجدران. افتضضنا عُذرة الصباح.

منوع النهار

أيفعّ النهار وارتفع. ترجّلت الشمس. استوى شباب النهار. علا روق
الضحى.

انتصاف النهار

بلغت الشمس كبد السماء، انتعل كلّ شيء ظله، قام قائم الهاجرة، رمت
الشمس بجمرات الهجير.

اصفرار الشمس وغروبها

اصفرت غلالة الشمس، صارت كأنها الدينار، يلمع في قرار الماء،
نفضت تَبراً على الأصيل، وشدّت رحلها للرحيل، بقل وجه النهار، وطرّ
شاربه، تصوّبت الشمس للمغيب، وتضيّفت للغروب، وأذن جنبها بالوجوب،
شاب النهار، وأقبل شباب الليل. وقعت الشمس للغيار، وشافه الليل لسان
النهار. شرقت الشمس بروحها، جنحت للغروب، وشارفت درج الوجوب،
الغزاة مصوّبة للغروب، مؤذنة بالمغيب. والجوّ في أطمارٍ مبهجة من أصائله،

وشفوفٍ مورَّسة من غلائله . استتر وجه الشمس بالنقاب، وتوارت بالحجاب .

ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه

كان ذلك من مُفْتَتِحِ النهارِ إلى مُخْتَمِّمِهِ، ومن قَرْنِهِ إلى قدمه، من مطلع الفلق، إلى مجمع الغسق، فلان يركب في مقدّمة الصبح، ويرجع في ساقية الشمس، من حين تفتح الشمس جفنها إلى أن تغض طرفها. من حين تسكن الطير في أوكارها، إلى أن تنزل السّراة من أكوارها.

أبواب الأمكنة والأبنية

في وصف البلاد

بلدة كأنها صورة جنة الخلد، منقوشة في عرض الأرض. بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها، ومحصورة في نواحيها، بلدة ترابها غير وحبصاؤها عقيق، وهوأؤها نسيم وماؤها رحيق. بلدة معشوقة السكّنى، رحيبة المشوى. كوكبها يقظان، وجوها عريان، وحصاها جوهر، ونسيمها معطر، وترابها مسك أذفر، ويومها غداة وليها سحر، فطعامها هني، وشرابها مري. بلدة واسعة الرقعة، طيبة البقعة. كأن محاسن الدنيا فيها مفروشة، وصورة الجنة بها منقوشة، واسطة البلاد وسرّتها، ووجهها وغرّتها.

في ضد ذلك

بلد متضايق الحدود والأفنية، متراكب المنازل والأبنية. بلدة حرها مؤذي، وماؤها موبى. بلدة وسخة السماء، ومدة الهواء. جوها غبار، وأرضها خبار، وماؤها طين، وترابها سرجين، وحيطانها نروز، وتشرينها تموز، فكم في شمسها من محترق، وفي ظلها من غرق. بلدة ضيقة الديار، سيئة الجوار،

حيطانها أخصاص، وبيوتها أقفاص، وحشوشها مسابل، وطرقها مزابل.

في ذكر الوطن

بلدة هي عُشه، وبها منزله وعيشه. بلد لا يُؤثر عليه بلداً، ولا يصبر عنه أبداً، عُشه الذي فيه درج، ومنه خرج. مقطع سرتة، ومجمع أسرتة. بلد أنشأته تربته، وغذاه هواؤه، ورباه نسيمه، وحلت عنه التمام فيه.

في الحصون والقلاع

حصن كأنه على مرقب النجم، ومجير من القدر الحتم. حصن يحسر دونه الناظر، ويقصر عنه العقاب الكاسر. يكاد من علاه يغرف من حوض الغمام، كأنه فوق السحاب سحاب. حصن أنتطق بالجوزاء، وناجت بوجه أبراج السماء. قلعة قد حلت في الجوّ كأنها سحابة، كأن الغمامة لها عمامة، كأنها تُناجي السماء بأسرارها. قلعة بُعد في السماء مرتقاها، حتى تساوى ثراها مع ثرياتها. قلعة تتوشح بالغيوم، وتتحلى بالنجوم. أصلها في التُّخوم، وفرعها في النجوم. قد حلق جناحها إلى عنان النجم. شماء عن المرتقي، صماء عن الراقي. قد جاوزت الجوزاء سمتاً، وعزلت السماك الأعزل سمكا. هي في الحصانة متناهية، وبالوثاقة موصوفة، ممتنعة على الطلب والطلب. منصوبة على أضييق المسالك وأوعر المناصب. لم تزدها الأيام إلا نُبوا أعطاف، وأستصعب جوانب وأطراف، قد ملّ الولاة حصارها ففارقوها عن طمّاح منها وشمّاس، وسئمت الجيوش ظلها فغادرتها بعد قنوط وياس، فهي حمى لا يُراع، ومَعْقِل لا يُستطاع. تعطس بأنف شامخ من المُنعة، وتنبو بعطف جامح على الخطبة، كأن الأيام صافحتها على الإعفاء من الحوادث، والليالي قد عاهدتها على التسليم من القوارع. قلعة تحوي من الرّفعة قدراً لا تُستهان مواقعه، وتلوي في المُنعة جيداً لا تُستلان أخادعه،

ليس للوهم قبل القدم إليها مسرى، ولا للفكر قبل الخطو نحوها مجرى.

في القصور

قصرٌ كأنَّ شُرُفاته بين النَّسر والعيوق، كأنها تُسامي الفِرْقَد. قصرٌ يُرتقى من سطحه إلى الشُّعريين. أكتست له الشعري العُبور، ثوب الغيور. قصرٌ طال مبناه، وطاب مغناه، كأنه في الحصانة جبلٌ منيع، وفي الحسن ربيعٌ مريع شُرُفاتٌ كالعداري شددن مناطقهنَّ، وتوجنَّ بالأكاليل مفارقهن. قصرٌ أقرت له القصور بالقصور عنه، كأنه سحاب، في نحر السحاب.

في الدور السرية

دارٌ قوراء تُوسع العين قرة، والنفس مسرة، كأن بانيها استسلف الجنة فعجلت له، دارٌ تخجل منها الدور، وتتقاصر لها القصور، إن مات صاحبها مغفوراً له فقد أنتقل من جنة إلى جنة. دارٌ قد أقرن اليمين بيمينها، وأيسرُ بيسراها، الجسم منها في حصر، والعيون منها على سفر. دارٌ هي دائرة الميَّامن، ودائرة المحاسن، دارٌ دارٌ بالسعد نجمها، وفاز بالحسن سهمها. دارٌ قد أخذت أداة الجنان، وضحكت عن العبقريِّ الحسان. دارٌ يخدمها الدهر، ويأويها البدر، ويكنفها النصر. دارٌ هي مرتع النواظر، ومُتنفس الخواطر. دارٌ كأنها خان، يدخلها من وفي ومن خان. صحنٌ تسافر فيه العيون، بهوٌ بهي، ورُواقٌ رائق، بيتٌ فضيَّ الحيطان، رُخامي الأركان.

في الدور المتداعية الخالية

دارٌ لبست البلى، وتعطلت من الحلى، فحالها تصفُ للعيون الشكوى، وتُشير إلى ذمِّ الدنيا. دارٌ قد صارت منهم خالية، بعد ما كانت بهم حالية.

دار قد أنهض آلدهر سُكَّانها، وأقعد حيطانها، شاهدُ اليأس منها ينطق، وحبل
الرجاء فيها يقصر، وكانَّ عُمرانها يطوى، وخرابها يُنشر، أركانها قيامٌ وقعود،
وحيطانها رُكْعٌ وسجود، سقفها أرض، وأرضها تلّ.

آخر كتاب الأزمنة والأمكنة والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أحوال الإنسان

من لدن صِغَرِهِ ونَمَائِهِ، إِلَى كِبَرِهِ وَأَنْتِهَائِهِ

في ذكر الصبية الصغار

صَبِيَّةٌ كَفْرَاخُ الْعَشُوشِ، وَأَوْلَادُ الْخَفَافِيشِ. صَبِيَّةٌ يَسْعَهُمْ قَفِيزٌ. أَوْلَادُ جُلُّهُمْ صَبِيَّانٌ، أَكْبَرُهُمْ أَصَاغِرٌ، كَأَنَّهُمْ أَفْرُخُ زُغْبٍ. صَبِيَّانٌ كَأَنَّهُمْ صَبْنَانٌ، وَوِلْدَانٌ كَأَنَّهُمْ كِيزَانٌ، قَدْ أَرْضَعْتَهُ بِلَبَانِهَا، وَحَمَلْتَهُ عَلَى لَبَانِهَا. طِفْلٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ، بِالْمَهْدِ.

في حسن مخايل المولود

شَهِدَتْ لَهُ الْفِرَاسَةُ رَضِيْعًا، أَنْ لَا يَكُونُ وَضِيْعًا. وَالْمَخَايِلُ فَطِيْمًا، أَنْ يَكُونَ سَمْحًا كَرِيْمًا، وَالشَّوَاهِدُ صَبِيًّا، أَنْ يَنْزِلَ مَكَانًا عَلِيًّا. وَالشَّمَائِلُ غَلَامًا أَنْ يَكُونَ قَرْمًا هَمَامًا.

في ذكر الغلام الامرد ووصف محاسنه

زَادَ جَمَالَهُ، وَأَقْمَرَ هَلَالَهُ. تَرَقَّرَقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْحَسَنِ. شَادَنُ فَاتِنٌ، طَرَفُهُ فَاتِرٌ، وَنَظْرُهُ سَاحِرٌ. غُلَامٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ، وَيَقْبَلُهُ الْقَلْبُ فَتَرْتَاخُ لَهُ الرُّوحُ. تَكَادُ الْعَيُونُ تَأْكُلُهُ، وَالْقُلُوبُ تَشْرِبُهُ. جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ فِي عَوْدِهِ فَتَمَائِلَ كَالْغُصْنِ، وَأَسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْحَسَنِ. لَيْسَ دِيْبَاجَةَ الْمَلَاخَةِ. كَأَنَّ الْبَدْرَ رُكِبَ عَلَى أَرْزَارِهِ.

لا يشبع منه الناظر، ولا يروى منه الخاطر. كاد النجم يحكيه والشمس
تُشبهه. صورة تجلو الأبصار، وتُخجل الأعمار. شادن مُنتقب بالبدن، مُكتحل
بالسحر. ما هو إلا نُزهة الأبصار، وبدعة الأمصار. غمزات طرفه، تُخبر عن
ظرفه، ومنطقته تنطق بوصفه. وجهه قيد الأبصار، وأمد الأفكار، ونهاية
الاعتبار. تخال الشمس برفعت غرته، والليل ناسب أصداعه وطرته. الحسن
ما فوق أزراره، والطيب ما تحت إزاره، شادن يضحك عن الأقحوان،
ويتنفس عن الريحان، كأن قده سكران من خمر طرفه، وبغداد مسروقة من
حُسنه وظرفه، قد أعجمت يد الجمال، نون صدغه بخال. له عينان حشو
أجفانهما السحر. كأنه أعار الظبي جيده والغصن قده. والراح ريحه والورد
خده، الشكل في حركاته، وجميع الحسن بعض صفاته. قد ملك أزيمة
القلوب،*، كأنما وسمه الجمال بنهايته، ولحظه الفلك بعنايته، فصاغه من
ليله ونهاره، وحلاه بنجومه وأقماره، ونقشه ببدايح آثاره، ورمقه بنواظر
سعوده، وجعله بالكمال أحد حُدوده، قد صبغ الحياء غلالة وجهه، ونثر لؤلؤة
العرق على ورد خده، تكاد الالحاظ تسفك عن خده دم الخجل. طرة
كالغسق، على غرة كالفلق، جاءنا في غلالة تينم على ما تستره، وتجفو مع
رقتها عما تظهره. وجه بماء الحسن مغسول، وطرف بمرود السحر مكحول.
ثغر حبي حماية الثغور، وجعل ضرة لقلائد النحور. السحر في الحاظه،
والشهد من الفاظه. كأنه خاصم الولدان، ففارق الجنان. وهرب من رضوان.
اختلس قامة الغصن، وتوشح بمطارف الحسن، وحكى الروض غب المزن،
الأرض مشرقة بنور وجهه، وليل السرار في عيال شعره، والجنة مُجتناة من
قربه، وماء الجمال يترقق في خده، ومحاسن الربيع بين سحره ونحره،
والقمر فضلة من حسنه، والشمس من حملة عرشه، ما هو إلا خال في خد
الظرف، وطرار على الحسن، ووردة في غصن الدهر ونقش على خاتم
الملك، وشمس في فلك اللطف.

في الصدغ والشارب والعدار

زرافينُ أصدَاغه مَعَالِيْقُ الْقُلُوبِ، كَأَنَّ صُدْغَهُ قُرْطٌ مِنْ أَلْمِسْكَ عَلَى عَارِضِ
أَلْبَدْرِ. وَجْهَهُ عَرْسٌ وَصُدْغُهُ مَأْتَمٌ، وَوَصَلَهُ جَنَّةٌ وَهَجَرَهُ جَهَنَّمُ. أَصْدَاغُهُ قَدْ
أَخَذَتْ شَكْلَ الْعَقَارِبِ، وَظَلَمَتْ ظَلَمَ الْأَقَارِبِ. إِنْ كَانَتْ عَقْرُبٌ صَدْغَهُ
تَلْسَعُ، فَتَرِيَاقُ رِيْقِهِ يَنْفَعُ، كَأَنَّ شَارِبَهُ زَيْبُرُ الْخَزْرِ الْأَخْضَرِ، وَعِدَارُهُ طِرَازُ
أَلْمِسْكَ الْأَذْفَرِ، عَلَى الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ، إِذَا تَكَلَّمْتَ تَكْشِفُ حِجَابَ الزُّمْرُدِ
وَالْعَقِيْقِ، عَنْ سِمْطِ الدَّرِّ الْأَنْيَقِ، قَدْ هَمَّ أَرْقَمُ الشَّعْرِ عَلَى شَارِبِهِ، قَدْ كَادَتْ يَدُ
أَلْحُسْنِ تَغْلِفُهُ، كَادَ الْعِدَارُ يَنْقُشُ فَصَّ وَجْهَهُ، وَيُحْرِقُ فِضَّةَ خَدِّهِ. طَرَزُ
أَلْجَمَالِ دِيْبَاجَةٌ وَجْهَهُ، وَأَبَانُ عِدَارِهِ الْعُدْرَةُ فِي حُبِّهِ. لَعِبَ الرَّبِيعُ بِخَدِّهِ، وَأَنْبَتَ
أَلْبَنْفُسَجِ فِي وَرْدِهِ. لَمَّا أُحْرِقَتْ بِالشَّعْرِ فِضَّةُ خَدِّهِ، احْتَرَقَ سَوَادُ الْقُلُوبِ مِنْ
حُبِّهِ، كَيْفَ لَا يَخْضِرُ عَارِضُهُ وَمِيَاهُ أَلْحُسْنِ تَسْقِيهِ.

وصف خروج اللحية وذمها

نَسَخَ الشَّعْرُ آيَةَ حُسْنِهِ، وَمَحَا مَحَاسِنَ وَجْهِهِ. كَسَفَ الشَّعْرُ هَلَالَهُ، وَأَكْسَفَ
بَالَهُ، وَأَحَالَ خِيَالَهُ، وَمَسَحَ جَمَالَهُ، وَانْتَقَبَ بِالدَّيْجُورِ، بَعْدَ أَلنُّورِ. دَوْلَةُ حُسْنِهِ
أَعْرَضَتْ، وَأَيَامُهُ قَدْ انْقَضَتْ، اسْتَحَالَ نُورُ خَدِّهِ دُجَى، وَزُمْرُدُ خَطِّهِ سَبَجَا.
أُخْمِدَتْ نَارُ حُسْنِهِ بَعْدَ الْآتِقَادِ. وَلَبِيسُ عَارِضَاهُ ثَوْبُ الْجِدَادِ. قَدْ ذَبُلَ وَرْدُ
خَدِّهِ، وَتَشَوَّكَ زَعْفَرَانُ خَطِّهِ. فَارَقْنَا خِشْفًا، وَوَأَفَانَا جِلْفًا، فَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَالًا،
وَعَاوَدْنَا نِكَالًا وَوَبَالًا.

نعت محاسن الجواري

هِيَ رَوْضَةُ أَلْحُسْنِ، وَضَرَّةُ أَلشَّمْسِ، وَبَدْرُ الْأَرْضِ. هِيَ مِنْ مَعَارِيضِ
أَلْفَتَنِ، وَحِبَائِلِ أَلشَّيْطَانِ. هِيَ مِنْ وَجْهِي فِي صَبَاحِ شَامَسِ، وَمِنْ شَعْرِي فِي

مساءً دامس، كأنها فلقة قمر، على بُرج فضة. كأنما لبست قشور الدرّ بدرّ
 التّم، شمس الضحى تضيء تحت نقابها، وغصنُ ألبان يهتزُّ تحت ثيابها،
 ثغرها يجمع الضّريب والضّرب. قد أنبت صدرها ثمر. (كذا) قد أثمر خدّها
 التفاح، وصدورها الرّمان، خرطت لها يدُ الشّباب حُقين من عاج، كأنها البدرُ
 قد قرّط بالثريا ونيطَ بها عقْدُ من الجوزاء، أعلاها كالغصن ميّال، وأسفلها
 كالذّعص منّها. لها عنقُ كإبريق اللّجين، وسرةٌ كمُدّهن العاج، نطاقها
 مُجذب، وإزارها مخصب. مطلع الشّمس من وجهها، ومنبتُ الدرّ في فمها،
 ومَلقَطُ الورْد من خدّها، ومنبعُ السّحر من طرفها، ومبادي اللّيل في شعرها،
 ومغرسُ الغصن من قدّها، ومهيل الرّمل في ردفها، سريّة سريّة، قينةٌ
 كتصحيّفها. الحُسنُ في خلقها، والطّيبُ في خلقها.

ذكر الشاب الغض الشّباب

هو في آقتبال شبابه، وحدائه أترابه، وريعان عمره، وعنفوان أمره. هو في
 ريان شبابه وأعتداله، وريعان إقباله وأقتباله، شبابه طريّ، وذكاؤه قويّ.
 غصنُ شبابه رطيب، وبرْدُ حدائته قشيب، بعثه على ذلك أشْرُ الصّبي، ومرحُ
 الشّبية، وسكر الحدائه. هو بعذرة الشّباب، وفراغ ألبان، حدّث بكرُ
 الآمال، بضّ الجمال، حسنُ الاقتبال، فتى السنّ، رطيبُ الغصن. عمره في
 إقباله، ونشاطه في استقباله، وشبابه في آقتباله، ومآؤه بحاله. فلانُ في حكم
 الأطفال، الذين لم يعضوا على نواجذ الرّجال.

خلاعة الشاب وتصايبه

أطاع الشّباب وغرّته، وأجاب الصّبي وشيرته. هو في عنفوان شّبية تخافُ
 سقطاتها وهفواتها، ولا تؤمنُ جمّحاتها ونزواتها، جرّ أزر الصّبي، وأذال ذبول
 الهوى. هو في سُكري الشّباب والشراب. هو بين نزقات الشّبان، ونزغات

الشيطان. شبابه أعمى عن الرشد، أصم عن العدل، قد لبي داعي هواه، وأنغمس في لجة صباه. قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث، جرى إلى الصبي، جري الصبا. ركض في ميدان التصابي، وجنى ثمرات الملاهي. أنفق صباه على الفحشاء، وشبابه على الأحشاء، وأصبح بين الزق والعود، وأمسى بين موجبات الحدود. فلان غفل من سمة التجربة، صعب الرأس على لجام العظة، جامع في عذار الغفلة. هو في سلطان الصبي، وفي نوبة الأولى، قد خلع عذاره ومقوده، وألقى إلى البطالة باعه ويده. هو بين خمارة الغداة وسكر العشي. فلان لا يعرف الصحو، ولا يفارق اللهو. هو بين غرر الشباب، وغرر الأحباب. فلان لا يفيق، ولا يدركه التوفيق.

في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي

جمع نضارة الشبان إلى أبهة الشيب. هو على حدوث ميلاده، وقرب إسناده، شيخ قدر وهيبه، وإن لم يكن شيخ سن وشيبه. هو بين شباب مقتبل، وعقل مكتهل. قد لبس برد شبابه على عقل كهل، ورأي جزل، ومنطق فصل. للدهر فيه مقاصد، وللأيام فيه مواعد. أرى له في ضمان الأيام، وودائع الحظوظ والأقسام، تباشير نجح، ومخايل نصر وفتح، قد استكمل قوة الفضل، ولم يتكامل له سن الكهل. ما زالت مخايله وليداً وناشئاً، وشمائله صغيراً ويافعا. نواطق بالحسنى عنه، وضوا من للنجح فيه. قد سما إلى مراتب أعيان الرجال، التي لا تُدرك إلا مع الكمال والاكتهال، حُمدت عزائمها، قبل أن حلت تمائمها. وشهدت مكرماتها، قبل أن درج لِدَاتُها.

وخط الشيب وانتشاره

شعر الشيب بشعره. عرض البياض بعارضه. نور غصن شبابه. ضحك

المشيبُ برأسه . لاحت حِلْيَةُ الشيب في عذاره . لمعت نجومُ الشيب في ليل شبابه . لاحت الشعراتُ البيضاء ، وجعلت تُفَرِّج وتبييض . بدت في رأسه طلائعُ المشيب وطوالع القَتِير . أخذ الشيبُ بعنان شبابه . ذرت يدُ الزمان كافوراً على مسكِهِ . مدَّ المشيبُ طرازاً على وجهه ، وكتب أسطراً في عارضه . طرز الشيبُ برْدَ شبابه . حطَّ المشيبُ بربعه ، وخطَّ القَتِيرُ على فؤده . لاح أقحوانُ الشيب في بنفَسج شبابه ، ألمَّ وفدُ الشيب بفؤده . غزاه الشيب بجيوشه ، كتبت يدُ الشيب في فؤديه ، مواعظُ يقرأها الأنام عليه ، أقمر ليلُ شبابه . صاح النهار بجانب ليله . افتتر له الشيبُ عن ناب الأسود ، وأشار إليه بمخلَب الأسد . قد فضض الزمانُ ابنوسه . اشتمل الشيبُ على عارضه ، ألجمه الشيب بلجامه ، وقاده بزمامه . سال وادي الشيب في مفرقه . اعتمَّ بالمشيب وتلثم به . لاح نورُ الهموم في عارضيه . قنعه الشيبُ خماره ، وأحلَّ به أثقاله . علاه غبارُ وقائع الدهر وحكايات الزمن . أخذت الأيام من شبابه . بينما هو راقدٌ في ليل شبابه إذ أيقظه صبح المشيب .

في الاكتهال والاحتناك والارعواء عن مجاهل الشباب

قضى باكورة الشباب ، وأنفق نضارة الزمان . طوى مراحل الشباب ، وأنفق من عمره بغير حساب . أخلق برودة الصبي ، ونهته النهى عن الهوى . جاوز الشباب مراحل ، وورد من المشيب مناهل . التفت إلى الأربعين ، وشارف طلاع الخمسين . طار غراب شبابه . انتهى شبابه ، وشاب أترابه . استبدل بالأدهم الأبلق ، وبالغُذاف العَقَعق . فلَّ الدهرُ شبا شبابه ، ومحا محاسن روائه . انتهى إلى أشد الكهل ، وأستعاض من حلك الغراب قادمة النسر ، افتتر عن ناب القارح ، وارتفع عن مقال القادح . قرع ناجذ الحلم ، وارتاض بلجام الدهر ، أدرك عصر الحنكة ، وأوان المسكة . جمع قوة الشباب ، إلى وقار الشيب . أسفر له صبح المشيب ، وعلته أبهة الكبير . خرج عن حد

أَلْحَدَاثَةُ، وَارْتَفَعَ عَنِ عُدْرِ الْغَرَارَةِ. نَفَضَ غَبْرَةَ الصَّبِيِّ، وَلَبَّى دَاهِيَةَ الْحِجْجِيِّ.
عَصَى شَيَاطِينَ الشَّبَابِ، وَأَطَاعَ مَلَائِكَةَ الشَّيْبِ. سَرَى فِي طَرِيقِ الرَّشْدِ
بِمَصْبَاحِ الشَّيْبِ. لَمَّا قَامَ الشَّيْبُ لَهُ مَقَامَ النَّصِيحِ، عَدَلَ عَنِ عِلَاقِ الْحَدَاثَةِ
بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة

الشيب زُبْدَةٌ مَخْضَتُهَا الْأَيَّامُ، وَفِضَةٌ سَبَكْتُهَا التَّجَارِبُ. فِي الشَّيْبِ
أَسْتِحْكَامُ الْوَقَارِ، وَتِنَاهِي الْجَلَالِ، وَمَيْسَمُ التَّجْرِبَةِ، وَشَاهِدُ الْحُنْكَةِ. الشَّيْبُ
مُقَدِّمَةُ الْهَرَمِ، وَالْمُوْذَنُ بِالْخَرْفِ، وَالْقَائِدُ إِلَى الْمَوْتِ. الشَّيْبُ رَسُولُ الْمَنِيَّةِ.
الشَّيْبُ عُنْوَانُ الْفَسَادِ. الشَّيْبُ سَاحِلُ الْحَيَاةِ. الشَّيْبُ سَفِينَةٌ تَقَرَّبُ مِنْ
السَّاحِلِ. صِفَا فُلَانٌ عَلَى طَوْلِ الْعُمُرِ. صِفَا التَّيْبَرُ عَلَى مَثْقَبِ الْجَمْرِ. مِنْ
عَرَفَ السَّتِينَ أَنْكَرَ نَفْسَهُ. فُلَانٌ قَدْ تَنَاهَتْ بِهِ الْأَيَّامُ تَحْلِيمًا وَتَهْذِيبًا، وَتَنَاهَتْ بِهِ
السِّنُّ تَحْكِيمًا وَتَجْرِييَا. قَدْ وَعَظَهُ الْمَشِيبُ بِوُخْطِهِ وَخَبِطِهِ، وَالسِّنُّ بِأَبْنِهِ
وَسَبْطِهِ، قَدْ تَضَاعَفَتْ وَفُودُ عُمُرِهِ، وَأَخَذَتْ الْأَيَّامُ مِنْ جِسْمِهِ. وَجَدَ مَسَّ الْكِبَرِ،
وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ، سَاءَ عَلَيْهِ أَثْرُ عُلُوِّ السِّنِّ، وَاعْتَرَاضُ الْوَهْنِ. فُلَانٌ
مِنْ ذَوِي الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ، وَالصَّحْبَةِ لِلْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ.

في الهرم ومشاركة الفناء

هِمُّ هَرِيمٌ قَدْ أَخَذَ الزَّمَانَ مِنْ عَقْلِهِ، كَمَا أَخَذَ مِنْ عُمُرِهِ. ثَلَمَهُ الدَّهْرُ ثَلْمَ
الْإِنْيَاءِ، تَرَكَهَ كَذِي الْغَارِبِ الْمَنْكُوبِ. حَنَا قَوْسَهُ الْكِبَرِ، هُرَيْقَ مَاءِ شَبَابِهِ،
اسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ، كَسَرَ الزَّمَانَ جَنَاحَهُ. نَقَضَ الدَّهْرُ مِرْتَهُ. طَوِي مَا نَشَرَ مِنْهُ، قَيْدَهُ
الْكِبَرِ، رَسَفَ رَسْفَانَ الْمَقِيدِ، مَجَّتْ الْجُثَّةُ، كَأَنَّهُ عُنَّةٌ، ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ،
وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمَنِيَّةِ. مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ، عَلَى الْقَصْرِ. أَرْكَانُهُ قَدْ
وَهَتْ، وَمَدَّتْهُ قَدْ تَنَاهَتْ. هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنْزِلَةٌ؟ أَمْ بَعْدَ الشَّيْبِ سِوَى الْمَوْتِ

مَرَحَلَة ، ما الَّذِي يُرَجِّي مِمَّنْ كان مثله في تقاصُر الخُطى ، وتخاذل القُوى ، وتداني المَدَى ، والتوجه إلى الدَّار الأخرى؟ أبعد دَقَّة العَظْم ، وِرقة الجِلْد وضعف الجسم ، وتخاذل الأعضاء ، وتفاوت الاعتدال ، والقُرب من الزَّوال؟ إن الَّذِي بقي منه ذمَاءُ ترقُّبه المَنون بمرصد ، وشُلْشُة هي هامة اليوم أو غد . قد خَلِقَ عمره ، وأنطوى عيشه ، وبلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثَنِيَّة الوداع ، وأشرف على دارالمقام .

آخر كتاب أحوال الأنسان من لَدُن صِغَرِه إلى كَبَرِه والله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الطعام والشراب وما ينضاف إليهما، ويقترن بهما

في الفواكه والثمار

كَرْمٌ نُسَلَفُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ، وَيَقْضِينَا أَمْهَاتُ الرَّاحِ . عَنْقُودٌ كَالثَّرِيَّاءِ . عَنَبٌ كَأَنَّهُ
مَخَازِنُ الْبَلُّورِ، وَظَرْفُ النُّورِ، وَأَوْعِيَةُ السَّرُورِ، وَأَمْهَاتُ الرَّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ
الْعَقِيقِ . نَخْلٌ نُسَلَفُهُ الْمَاءُ، وَيَقْضِينَا الْعَسَلُ . رَطْبٌ كَأَنَّهُ شَهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ
مَقْنَعَةٌ، وَبِالْعَقِيَّانِ مَقْمَعَةٌ . رُمانٌ كَأَنَّهُ صُرْرُ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ . سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ
طَيِّباً وَمَنْظَراً حَسِناً، كَأَنَّهُ زَيْبُرُ الْخَزْزِ الْأَغْبَرِ، عَلَيَّ الدِّيَابِجِ الْأَصْفَرِ . تَفَّاحٌ نَفَّاحٌ،
يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجِلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَنْبَرِ، وَطَعْمُ
السُّكَّرِ . وَرَسُولُ الْمَحَبِّ، وَشَبِيهُ الْحَبِيبِ . تَيْنٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَيَّ
الْعَسَلِ . مَشْمَشٌ كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بِنَادِقِ الذَّهَبِ .

ذكر الجوع

لَا هُجُوعَ، مَعَ الْجُوعِ، سُلْطَانُ الْجُوعِ يُسِيءُ الْمَلَكَةَ، هُوَ أَجُوعٌ مِنْ ذَنْبٍ
مُعَشَّشٍ بَيْنَ أَعَارِيبِ، قَدْ أَثَرَ الْجُوعُ فِي الْأَخْلَاطِ . الْعَيُونَ قَدْ أَنْقَلَبَتْ،
وَالْأَكْبَادُ قَدْ أَتَهَبَتْ . تَحَلَّبَتْ الْأَفْوَاهُ، تَوَقَّدَتْ الْأَكْبَادُ . امْتَدَّتْ إِلَى
الْخِوَانِ الْأَعْنَاقِ، وَأُحْدَتْ نَحْوَهُ الْأَحْدَاقِ، وَتَحَلَّبَتْ لَهُ الْأَشْدَاقُ .

وصف القدور

قد قامت خطباء القدور. فاحت القدور بأطيت من ألمسك الأصهب،
بالعنبر الأشهب، قدور أبكار، بخواتيم النار. قدر طار عرفها، وطاب عرفها،
دهماء تهدر كالفتيق، وتفوح بالمسك الفتيق.

مقدمة الطعام

أفرش طعامك اسم الله، وأحفه حمد الله. كل من الطعام ما حدث. لا
يطيب حضور الإخوان، إلا مع الإخوان. الأكل منا للحاجة، ومنك للمساعدة.
البخل بالطعام، من أخلاق الطغام، الكريم لا يحظر تقديم ما يحضر.

وصف الموائد

مائدة كدارة البدر. مائدة تباعد بين أنفاس الجلّاس، مائدة مثل عروس.
مائدة نظيفة، محفوفة بكل طريفة. مائدة تشتمل على بدائع المأكولات،
وغرائب الطيبات. مائدة كالعروس مجلوة، من الطيبات مملوءة. مائدة قد
زخرت رياضها، ومليت حياضها، فمن قانيء بإزائه فاقع، ومن حالك في
تلقائه ناصع. مائدة كأنما عملها صنّاع صنّعاء. مائدة تجمع بين أنوار الربيع،
وأثمار الخريف.

وصف الالوان من الاطعمة

رُغفان كالبُدور المنطقه بالنجوم. أحسن ما يكون وجه الإخوان، إذا
اخضرت شوارب الرُغفان. ترى البقل على وجه الخوان، كما بقلت أوجه
الغلمان الحسان. جدّي كأنما ندف على جنبه القرّ. حمل ذهبي الدثار،
فضي الشعار. أطيّب ما يكون الحمل، إذا حلت الشمس الحمل، حمل
خلف شهرين، على الخلفين، ثم رعى شهرين، فهو شبران في شبرين، زير

باجة، هي للمائدة ديباجه، تشفي السقام، ولونها لون السقيم. سكباجة تفيق الشهوة، وأسفيد باجة تُغذي، وطبَاهِجَة يُتَفَكَّهُ بها، وخبيص يختم بخير. مَضِيرَة تُشِي عَلَى الْحَضَارَة، وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة. في قصعة يزل عنها الظرف، ويموج فيها الظرف. طبَاهِجَة من شرط الملوك، كأعراف الديوك. قَلِيَّة كَالْعُودِ الْمَطْرَى، مغمومة تفرج غم الجائع. هَرِيْسَةُ نَفِيْسَة، كأنها خيوط خز مشبكة. كأنها قمر بالشمس ملتحف. كأن المري عليها عُصَارَة الْمَسْك، على سبيكة الفضة. شِوَاء يتقطر عَرَقًا، ويتسايل جردابه مرقا. أُرْزَة مَلْبُونَة، في السكر مدفونه. دَجَاجَة مَشْوِيَة لها من الفضة جسيم، ومن الذهب قشر. دَجَاجَة دِينَارِيَّة، ثمنًا ولونًا. شِوَاء وشراس وفالوذج رجراج. طبَاهِجَة تُغْذِي، وفالوذجة تغذي. أسفيدباجة تصفح قفا الجوع.

في وصف ألوان من الحلواء

فالوذج بلباب البر، ولعاب النحل. كأن اللوز فيه كواكب في سماء عقيق. قطائف، فيها لطائف. عَصِيدَة تَجْمَع بَيْن جَنِي النحل والنحل. ما الخبيص إلا نعمة مجموعة، ولذة معجونة. تؤدي طعم العافية، وتختم بحسن العاقبة. لوزينج ليلي العمر، يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو. لولبي الدهن، كوكبي اللون.

ذكر النهم الاكول

شيطان معدته رجيم، وسلطانه ظلوم، هو آكل من النار، وأشرب من الرمل. كأن في أمعائه معاوية، يأكل أكل الحوت الملتقم، والثعبان الملتهم، والليث الهاصر، والعقاب الكاسر. لو أكل الفيل لما كفاه، ولو شرب النيل لما ارواه. يجوب جوب البلاد، حتى يقع على جفنة جواد. يقول بالقصاع، لا الميصاع، يرى ركوب البريد، في حضور الثريد. أصابعه ألزم للشواء من

سُفُود. أنامله كَالشبكة، في صيد السمكة. يستكثر من الجوارشات المنقذة
للسُد، المقويّة للمعد، المشهية للطعام، المسهلة لسبُل الانهضام. إذ هو
في تناولها كَالكاتب الذي يَقُط أقلامه، وَالجندي الذي يَصُقُل حُسامه. تسافرُ
يدهُ عَلَى الخوان، وَتَسْفُر بين الألوان، وَتَأخذ وجوه الرُغفان، وترعى أرض
الجيران. لما عكفنا عَلَى الخوان، أسرع في الرُغفان، وكرع في الجفان،
وفقاً أعين الألوان.

في وصف مجالس الانس وآلات اللهو

مجلسٌ * نورهُ دُرّ، ونارنُجه ذهب، ونارجسه دينارٌ ودرهم، ويحملها
زبرجُد. عندنا أترجّ كأنه من خُلقك خُلق، ومن شمائلك سُرق. ونارنج
ككرات من سفنٍ ذُهب، أو تُدي أباكِرٍ خلقت. مجلسٌ أخذت فيه الأوتار
تتجاوب، والأقداح تتناوب. أعلامُ الأنس خافقة، وألسن الملاهي ناطقة.
مجلسٌ قد فرش بساطه وبُسط أنماطه، ومُدَّ سِماطه، بين آسٍ مخضود، وورد
منضود*، وناي وعود. نحن بين بدور، وكاسات تدور*، قد نشأت غمامة
النَّد، عَلَى بساط الورد. مجلسٌ قد تفتحت فيه عيون النرجس، وفاحت
مجامر الأترج، وفُتقت فارات النارج، ونطقت ألسنُ العيدان، وقامت خطباء
الأوتار، وهبّت رياح الأقداح، وطلعت كواكب الندمان، وأمتدت سماء النَّد.
مجلسٌ من رآه حسب الجنان قد أصطفيت عيونها فجمعت في قدر من
الأرض، وتُخيرت فصوصُها فنقلت إلى مطلع الأنس واللهو. قد فضّ اللهو
ختامه، ونشر الأنس أعلامه. قد هبّت للانس ريح * سحابها آلاقداح،
ورعودها الأوتار، ورياضها آاقمار. قد فرغنا للهو والدَّهر عنا في شغل. قد
أقتعدنا غارب الأنس، وجرينا في ميدان اللهو. عمَدنا لِقداح اللهو فأجلناها،
ولمراكب السرور فامتطيناها. قد امتطينا غوارب الأفراح، وقد حنا نار السرور
بالأقداح.

فيما يتصل به من الألفاظ

في الاستزارة

نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو إلا أن تصافحها يُمناك، وأقسم
غناؤه لا طاب أو تعيه أذنك، فأما حدود نارنجه فقد أحمرت خجلاً لإبطائك
وعيون نرجسه فقد حدقت تأمياً للقائك، فبحياتي عليك إلا تعجّلت، وما
تمهلت. نحن بغيبتك كعقدٍ قد غيبت واسطته، وشبابٍ قد أخذت جدته. إذا
غابت شمس السماء عنا، فلا بد من أن تدنو شمس الأرض منا. أنت من
يُنظم به شمل الطرب، وبلقياه يُبلغ إلى كلّ أرب. طر إلينا طيران السهم،
واطلع علينا طلوع النجم. ثب إلينا وثبة الغزال، واطلع علينا طلوع الهلال،
في غرة شوال. كن إلينا من السهم إلى ممره، والماء إلى مقره. جشم إلينا
قدمك، وأخلع علينا كرمك. إن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد،
ونحصل بقربك في جنة الخلد. إن رأيت أن تسهم لنا في قربك الذي هو
قوت النفس، ومادة الأنس.

في الكناية عن الشراب

قد نشط لتناول ما يستمد البشر، ويشرح الصدر. قد آستمطر سحاب
الأنس، وأستدر حلوبة السرور، وقدح زند اللهو.*

وصف الشراب

* شرابٌ أصفى من مودتي لك، وأحسن من نعمة الله فيك، وأطيب من
إسعاف الزمان بلقائك. أصفى من البلور، ودمع المهجور. أصفى من ماء
السماء، ودمع العاشقة المرهأ. أحسن من الدنيا المقبلة، والنعيم
المكمله. أحسن من العافية في البدن، وأطيب من الحياة في السرور. أرقُّ

من نسيم الصبا، وعهد الصبي. أرق من دمع محب، وشكوى صب. أرق
من دموع العشاق، مرتها لوعة الفراق. *

في تأثيره في القوم

دبت الكأس فيهم دبيب النار في الفحم، والبرء في السقم. سارت فيهم
سورة الكؤوس، ونالت منهم نشوة الخندريس. شربت الراح عقولهم،
وملكت قلوبهم. تمشت الصهباء في عظامهم، وترقت إلى هامهم، وماست
في أعطافهم، ومالت بأطرافهم. بلغ حداً، يوجب الحد.

فقر وغرر تليق بهذا الباب

* الصاحي بين السكرى، كالحى بين الموتى، يضحك من عقلهم،
ويأكل من نقلهم.

ذكر الغناء والمغني

غناؤه كالغنى بعد الفقر*. غناء يبسط أسيرة الوجه، ويرفع حجاب الأذن،
ويأخذ بمجامع القلب، ويمتزج بأجزاء النفس. غناء يحرك النفوس، ويرقص
الرووس*. قد سمعنا غناء، يعيد الأموات أحياء، إذا غنى ودت أعضاء
السامعين أن تكون آذاناً. فلان طبيب القلوب والأسماع، محيي موات الخواطر
والطباع. يطعم الآذان سروراً، ويقدم في القلوب نوراً. القلوب من غنائه
على خطر، فكيف الجيوب. كأنه خلق من كل نفس فهو يغني كلاً بما
يشتهيته*. كل ما يغنيه مفتوح. لغنائه في القلب، موقع القطر في الجذب.
نعمه نغمته تطرب، وضروب ضربه لا تضطرب.

في ذم المغني

يترنم فيتعب ولا يطرب، وليتنا وجدنا الكفاف ولكن يكرب. فلان إذا غني
عني، وإذا أدى أذى، يُميت الطرب، ويحيي الكُرب. ضربة يوجب ضربه،
وسماعه يوجب آلامه به. من عجائب غنائه أنه يورد الشتاء في الصيف.
بيت وسي (كذا) بارد النغمة مختلّ آليدين. ما رآه أحد في دار قومٍ مرتين.

في استهزاء الشراب

قد تألف لي شملٌ إخوان كاد أن يفترق لعوز المشروب، فأعتمدنا فضلك
المعهود، ووردنا بحرك الأمورود. أنا ومن سامحني الدهر بزيارته من إخواني
وأولياك وقوفٌ بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط أو الفتور، ويرتضيه لنا إيثارك من
آهم أو السرور، لأن الأمر في ذلك إليك، والاعتماد في جمع شمل المسرة عليك،
فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت. أطف المنن موقعا، وأجلها
في النفوس موضعا. ما عمر أوطان المسرة، وطرد عوارض آهم والفكرة،
وجمع شمل المودة والألفة. قد أنتظمت مع رُفقة لي في سمط الثريا، فإن لم
يحفظ علينا النظام، بإهداء المرام، عُذنا كبنات نعشٍ والسلام. فرأيك في
إرواء غلّتنا بما ينقعها، وألتطول على جماعتنا بما يجمعها.

آخر كتاب الطعام والشراب والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب وصف النظم والنثر وأصحابها وآلاتها وأدواتها

وصف حسن الخط

خَطُّ يَجْرِي مَجْرَى السَّحْرِ، وَيَرْتَفِعُ حُسْنُهُ عَنِ النَّعْتِ. رَأَيْتَ مِنْ خَطِّهِ
يَوَاقِيتَ فِي نِظَامٍ، وَصَفَحَاتٍ نُورٍ عَلَيْهَا سَطُورٌ ظَلَامٍ. خَطُّ أَحْسَنَ مِنْ عَطْفَةِ
الْأَصْدَاغِ، وَبِلَاغَةٍ كَالْأَمَلِ آذَنَ بِالْبَلَاغِ. خَطُّ كَأَنَّهُ صَبِيحٌ مَنْقُوشٌ بِظَلَامٍ، كَأَنَّهُ
لَيْلٌ عَلَى صَفَحَاتٍ نُورٍ، كَأَنَّهُ حَدِيقَةُ الْأَحْدَاقِ. خَطُّ كَالرُّوضِ الْمَمْطُورِ،
وَالْوَشِيِّ الْمَنْشُورِ، وَالذُّرِّ الْمَثُورِ. خَطُّ كَمَا يُفْتَحُ الزَّهْرُ غَيْبَ الْمَطَرِ، كَأَنَّهُ
خَطُوطُ الْغَوَالِي، فِي خُدُودِ الْغَوَانِي. خَطُّ أَمْلَحُ مِنْ بَنْفَسَجِ الْخَطِّ، وَأَحْسَنُ
مِنَ الذُّرِّ فِي السُّمُطِ. خَطُّ أَخَذَ مِنَ الطَّوَاوِيسِ ظُهُورَهَا، وَمِنَ الْبِزَاةِ صَدُورَهَا.
خَطُّ كَالْتَبْرِ الْمَسْبُوكِ، وَالْوَشِيِّ الْمَحُوكِ. خَطُّ أَمْلَحُ مِنْ صَوْلَجَانِ الْمَسْكَ، فِي
مِيْدَانِ الْوَرْدِ، أَحْسَنُ مِنْ بُدُورِ الْغُرْرِ، فِي لِيَالِي الطَّوْرِ، فَلَا نُّ يُغْرِسُ الذُّرَّ فِي
أَرْضِ الْقِرَاطِيسِ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهَا أَجْنَحَةَ الطَّوَاوِيسِ. كَأَنَّ يَدَهُ تَنْشُرُ وَشْيَا، أَوْ
تَنْظِمُ دُرًا. كَأَنَّهُ مَطْرَرٌ بِالظَّلَامِ رِدَاءُ الصَّبَاحِ. خَطُّ كَأَنَّ الْقَلْبَ يَشْعُرُ مِنْهُ نُورًا،
وَالْعَيْنَ تَجْنِي نُورًا. خَطُّ يَبْهَرُ الطَّرْفَ، وَيَفُوتُ الْوَصْفَ. خَطُّ كَالرِّيَاضِ،
وَالْمُقَلِّ الْمَرَاضِ، وَالْإِقْبَالَ بَعْدَ الْإِعْرَاضِ. أَمْتَعْتُ طَرْفِي مَا شَتَّتُ بِمَحَاسِنِ
خَطِّهِ وَلَفْظِهِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُمَا بِأَوْفَرِ قِسْطِ الْمُسْتَفِيدِ وَحِظِّهِ. تَحِيرْتُ بَيْنَ ظَلَامِ
وَصَبَاحِ، وَعَقْدِ وَوَشَاحِ. خَطُّهُ خُطَّةُ الْحُسْنِ.

في سرعة الكتابة

يَدُهُ ضَرَّةُ الْبَرْقِ، وَقَلَمُهُ فَلَكيُّ الْجَرِي. يَدُهُ ظَنُرُ الْبَلَاغَةِ، وَأَمُّ الْكِتَابَةِ،
وَضَرَّةُ الْرِيحِ، وَيَنْبُوعُ الْفَضْلِ. كَأَنَّ يَدَهُ عَلَى الْقِرطَاسِ جَنَاحُ طَائِرٍ فِي سَرَابٍ
مَائِرٍ. فَلَا نُّ أَنْامِلُهُ الرِّيَّاحِ، وَخَوَاطِرُهُ الْبَحَارِ. فَلَا نُّ سَرِيْعُ الْبَنَانِ، بَدِيعُ الْبَيَانِ.
لَا يَحْبِسُ عَنَانُ قَلَمِهِ، أَوْ يَنْثُرُ الدُّرَّ فِي كَلِمِهِ. قَلَمُهُ يَهِيْمُ عَلَى وَجْهِهِ، غَادِرًا
رَأْسَهُ فِي دَرَجِهِ. أَخْفَ مِنْ حَسُوعَةِ طَائِرٍ، وَلَمْعَةِ بَارِقٍ، وَخَلْسَةِ سَارِقٍ.

وصف النثر بما يشتمل عليه من الالفاظ والمعاني

أَلْفَاظٌ كَغَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ، وَمَعَانٍ كَأَنَّهَا فَكٌّ عَانَ. أَلْفَاظٌ كَمَا نَوَّرَتْ
الْأَشْجَارُ، وَمَعَانٍ كَمَا تَنْفَسَتْ الْأَسْحَارُ. أَلْفَاظٌ قَدْ آسْتَعَارَتْ حَلَاوَةَ الْعَتَابِ،
بَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَأَسْتَرَقَتْ تَشَاكِي الْعُشَّاقِ، يَوْمَ الْفِرَاقِ. حَسِبْتُ أَلْفَاظَهُ دَرَّ
السَّحَابِ، أَوْ أَصْفَى قَطْرًا وَدِيمَةً، وَمَعَانِيَهُ دَرَّ السِّخَابِ، بَلْ أَوْفَى قَدْرًا وَقِيْمَةً.
كَلَامٌ قَرِيبٌ شَاسِعٌ، وَمُطْمَعٌ مَانِعٌ. كَأَلشَّمْسِ تَقْرَبُ ضِيَاءً، وَتَبْعُدُ عِلَاءً،
وَكَالْمَاءِ يَرْتَحِصُ مَوْجُودًا، وَيَغْلُو مَفْقُودًا. كَلَامٌ يَصْعَبُ عَلَى التَّعَاطِي،
وَيَسْهَلُ عَلَى الْفِطْنَةِ. كَلَامٌ لَا تَمُجُّهُ آذَانُ، وَلَا يُبْلِيهِ الزَّمَانُ. أَلْفَاظٌ كَالْبُشْرَى
مَسْمُوعَةٌ، وَأَزَاهِيرُ الرِّيَاضِ مَجْمُوعَةٌ، وَمَعَانٍ كَأَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ، تَعْبَقُ بِالرِّيْحَانِ
وَالرَّاحِ. كَلَامٌ مُسْتَهْلٌ مُتَسَلِّسٌ كَالْمَدَامِ بِمَاءِ الْغَمَامِ، يَقْرَبُ إِذْنَهُ عَلَى الْأَفْهَامِ.
مُلْحٌ كَنُوفِذِ السِّحْرِ، وَفِقْرٌ كَالْغَنَى بَعْدَ الْفَقْرِ. كَلَامٌ كَبْرَدُ الشَّرْرَابِ، عَلَى أَكْبَادِ
الْحِرَارِ، وَبُرْدُ الشَّبَابِ، فِي خَلْعِ الْعَذَارِ. كَلَامٌ كَثِيرُ الْعُيُونِ، سَلْسُ الْمَتُونِ
رَقِيْقُ الْحَوَاشِي، سَلِسُ النُّوَاحِي. كَلَامٌ هُوَ السِّحْرُ الْحَلَالُ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ،
وَالْبُرُودُ وَالْحَبْرُ، وَالْأَمْثَالُ وَالْعِبْرُ، وَالنَّعِيمُ الْحَاضِرُ، وَالشَّبَابُ النَّاضِرُ. نَظَرْتُ
مِنْهُ إِلَى صُورَةِ الظَّرْفِ بَحْتًا، وَسُورَةِ الْبَلَاغَةِ سَبْكَأُونِحْتًا. أَلْفَاظٌ هِيَ خُدْعُ
الْدَّهْرِ، وَعُقْدُ السِّحْرِ. أَلْفَاظٌ تَسْرُّ الْمَحْزُونِ، وَتَسْهَلُ الْحُزُونَ، وَتَعْطَلُ الدُّرَّ

المخزون. كلامٌ بعيدٌ من الكلف، نقيٌّ من الكلف. كلامٌ كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبسم الدر عن نظيمه. ألفاظٌ تأنق الخاطر في تذهيبها، ومعانٍ غنيّ الطبع بتهذيبها. ألفاظٌ حسبتها في رقتها منسوخة من صحيفة الصبي، وظننتها لسلامتها مكتوبةً عن إملاء الهوى. كلامٌ كالبشرى بالولد الكريم، قرع بها سمع الشيخ العقيم. كلامٌ قرب حتى أطمع، وبعد حتى امتنع، ودنا حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثم سما حتى صار بالمنظر الأعلى. كلامٌ حسنٌ الديباجة، صافي الزجاجة، رقيق المزاج، حلو المساغ، نقي السمك، مقبول اللفظ، قرأت جلياً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً. لو أن كلاماً أذيب به صخر، أو أطفئ به جمر، أو عوفي به مريض، أو جبر به مهيبض، لكان هذا. كلامه يقود سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب كجري الماء في العود. فلان ألفاظه أنوار، ومعانيه ثمار. كلامه أنس المقيم الحاضر، وزاد الراحل المسافر. كلامٌ تسعى إليه الفور، وينتفض إليه العصفور. كلامٌ يقضي حق البيان، ويملك رق الحسن والإحسان. كلام منه يُجتنى الدر، وبه يُعقد السحر، وعنده يُعتب الدهر، وله يُشرح الصدر. كلامٌ يقرب جناه، ويبعد مداه، ويونس مسمعه، ويؤيس مصنعه.

ذكر البلاغة والبلغاء

ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه، وييسط رهان القول أو ميدانه، بل هو أن يبلغ أمد المراد، بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا إخلال يفضي إلى الفاقة. البلاغة ميدانٌ لا يُقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يُسلك إلا ببصائر البيان. فلان يعبث بالكلام، ويقوده بالين زمام، حتى كأنّ الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله. فلان مشرفي المشرق، وصيرفي المنطق، البيان أصغر صفاته، والبلاغة عفو خطراته. كأنه أوحى بالتوفيق إلى صدره،

وحبس الصواب بين طبعه وفكره. فلان يُحزُّ مفاصل الكلام، ويسبق فيها إلى
درك المرام، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وأنتخب، وتناول منه
ماطلب، وترك بعد ذلك أذناً لا رؤوساً، وأجساداً لا نفوساً. فلان لا يبلغ
المعنى ويرضى بعفو الطبع، ويقنع بما يخفُّ على السمع. يُوجز فلا يُخلُّ،
ويطنُّ فلا يُملُّ. لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ويجذبها أنى شاء،
فلا يعصيه بين الصَّعب والذَّلُول، ولا يسلمه عند الحُزون والسهول. كلامٌ
يشتد مرة حتى تقول الصخر ألامس، ويلين تارة حتى تقول ألماء أو أسلس.
يقول، فيصول، ويجيب، فيصيب، ويكتب فيطبق المَفْصِل؛ وينسق الدَّر
المُفْصَل. يَرِدُ مشارع الكلام وهي صافية لم تُطَرَّق، وجمامة لم ترنق.

في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع

خاطره البرق أو أسرع لمعا، والسيف أو أحد قطعاً، والماء أو أسلس
جريا، والفلك أو اقوم هديا. هو من يسهل الكلام على لفظه، وتزاحم
المعاني على طبعه، فيتناول المرمى البعيد بقريب سعي، ويستنبط المشروع
العميق بيسير جري. كلامه عفو اللسان، وفيض اليد، ومساوقة القلم،
ومسابقة اليد للضم، وجمرات الحدة، وثمرات المدة، ومجاراة الخاطر
للناظر، ومباراة الطبع للسمع.

زلاقة اللسان والفصاحة

لسانه يُغِيضُ البحور. وَيَفْلِقُ الصخور. وَيُسْمِعُ الصَّم، ويستنزل العُصم.
خَطِيبٌ لا تناله حُبسة، ولا ترتنهه لُكنة، ولا تمشى في خطابه رُتة، ولا تتسلطُ
على جواره فترة، ولا يتحيف بيانه عَجمة، ولا تعترض لسانه عُقدة. فلان
رقيق الأسلة، عذب العذبة. لو وُضع لسانه على الشعر حلَّقه، أو على
الصخر فلقه، أو على الجمر أحرَّقه، أو على الصفا خرَّقه. أما ترى، فلاناً

وَلَسَنَهُ؟ وَكَيْفَ يَجْرُ فِي الْفَصَاحَةِ رَسْنَهُ . كَأَنَّ لِسَانَهُ ثَعْبَانَ يَنْسَابُ بَيْنَ رَمَالٍ ، أَوْ
مَاءٍ يَتَغَلَّغِلُ بَيْنَ جِبَالٍ . كَأَنَّ لِسَانَهُ مِخْرَاقٌ لَاعِبٌ ، أَوْ غِرَارٌ سَيْفٍ قَاضِبٌ . قَدْ
أَحْسَنَ السِّفَارَةَ ، وَأَسْتَوْفَى الْعِبَارَةَ ، وَأَدَى أَلْفَاظَ وَأَسْتَغْرَقَ الْآغْرَاضَ ،
وَأَصَابَ شَوَاكِلَ الْمَرَادِ ، وَطَبَقَ مَفَاصِلَ السَّدَادِ . لِسَانَهُ كَلْسَانَ ابْنِ الْحَمْرَةِ ، أَوْ
سِنَانَ عَنْتَرَةٍ .

ذِكْرُ الْإِطْنَابِ

بَسَطَ عِنَانَ الْخَطَابِ ، وَمَدَّ أَطْنَابَ الْإِطْنَابِ ، وَطَلَبَ أَلَمَدَ فِي الْإِسْهَابِ .
قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامَ لَوْ أَعْفَيْتَ ، وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتْ أَلْقَلَامُ قَدْ أَحْفَيْتَ . قَدْ
أَتَّسَعَ بِهِ مَشْرَعُ الْإِطْنَابِ ، وَأَنْفَرَجَ مَسْلَكَ الْإِسْهَابِ ، أَرْسَلَ لِسَانَهُ فِي مِيدَانِهِ ،
وَأَرَخَى مِنْ عِنَانِهِ . نَفَضَ مَا فِي رَأْسِهِ ، وَفَرَّغَ جُجْبَةَ وَسْوَاسِهِ . تَصَرَّفَتْ فِي كَذَا
فَأَطَلَتْ وَأَطَبَتْ ، وَقَلَّتْ فَأَطْنَبَتْ . قَالَ فَأَطَالَ ، وَجَالَ فِي بَسَطِ الْمَقَالِ كُلِّ
مَجَالٍ . إِذَا أَسْحَنَفَرَ فِي الْكَلَامِ طَفَحَ آذِيهِ ، وَسَالَ أُتْيُهُ ، انْثَالَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ،
أَنْثَالَ الْغَمَامِ ، وَأَسْتَجَابَ لَهُ الْخَطَابُ ، وَلَا صَوْبَ الرَّبَابِ .

وَصْفُ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ مَعًا

نَثْرٌ كَثْرُ الْوَرْدِ ، وَنَظْمٌ كَنَظْمُ الْعِقْدِ . نَثْرٌ كَالسِّحْرِ أَوْ أَدَقُّ ، وَنَظْمٌ كَالْمَاءِ أَوْ
أَرْقٍ . رِسَالَةٌ كَالرَّوْضَةِ الْأَنْيَقَةِ ، وَقَصِيدَةٌ كَالْمَخْدَرَةِ الرَّشِيقَةِ . رِسَالَةٌ تَقَطَّرُ ظَرْفًا ،
وَقَصِيدَةٌ تَمْزِجُ بِهَا الرَّاحَ لَطْفًا . نَثْرُهُ سِحْرُ الْبَيَانِ ، وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجِنَانِ . نَثْرٌ كَمَا تَفْتَحُ
الزَّهْرَ ، وَنَظْمٌ كَمَا تَنْفَسُ السَّحْرَ . نَثْرٌ تَرِقُ نَوَاحِيهِ وَحَوَاشِيهِ ، وَنَظْمٌ تَسْحَرُ أَلْفَاظُهُ
وَمَعَانِيهِ . نَثْرٌ كَالْحَدِيقَةِ تَفْتَحُ أَحْدَاقُ وَرْدِهَا ، وَنَظْمٌ كَالْخَرِيدَةِ تَوْرَدُتْ أَشْجَارُ
نَهْدِهَا . رِسَالَةٌ تَضْحَكُ عَنْ زَهْرٍ وَغُرْرٍ ، وَقَصِيدَةٌ تَنْطَوِي عَلَى جَبْرِ وَدُرِّ ، لَمْ
تَرْضَ فِي بَرَكٍ بِأَخْوَاتِ النَّثْرِ مِنْ نَثْرِكَ ، حَتَّى وَصَلَتْهَا بِنَاتِ الشُّعْرَى مِنْ

شعرك . كلامٌ كما هب نسيماً السَّحَرِ عَلَى صَفْحَاتِ الزَّهْرِ، وَلَذَّ طَعْمُ الْكُرَى
بعد برح السَّهْرِ، وشعراً في نفسه شاعر، تُوسِّمُ به المَواسِمُ والمُشاعِرُ. كلامٌ
أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته، وطلاوة الرَّبِيعِ بطلاوته، شعراً من حُلَّةِ الشَّبابِ
مسروق، ومن طينة الوصال مخلوق.

وصف الشعر

قصيدةٌ في فنِّها فريدة. قصيدةٌ أُخْلِصَتْ عَلَى قِصْدٍ، وفريدةٌ أتت من فَرْدٍ.
هي صَوْبُ العُقُولِ، تَغْبِرُ في نِواصِي الفُحُولِ. عروسٌ كَسَتْها القِوافي، وحَلَّتْها
المعاني. شعرٌ يَتَرَقَّرُ فيهِ ماءُ الطَّبْعِ، ويرتفع له حجابُ القلبِ والسَّمْعِ. شعرٌ
ملكني العُجْبُ به، وبهرني التَعْجِبُ منه. شعرٌ لا مِزِيَةَ الإيجازِ أخطأته، ولا
فضيلةَ الإعجازِ تخطَّته. شعرٌ رَوَيْتُهُ، لَمَّا رَأَيْتُهُ، وحَفِظْتُهُ، لَمَّا لَحِظْتُهُ. أبياتٌ
لو جُعِلَتْ خِلْعَةً عَلَى الزَّمَانِ لتَحَلَّى بِهَا مُكَاثِرًا، أو تجلَّى فيها مفاخرًا. راقني
الشعر حتى شاقني، فإنه مع قُرْبِ لفظه بعيد المرام، مستمرُّ النظام. قويُّ
الأسر، صافي النحر. قد ألبس من البداوة فصاحتها، وغشى من الحضارة
سجاحتها، فإن شئت قلت عبيدٌ ولبيد، وإن شئت قلت حبيبٌ ووليد. شعرٌ
يختلط بأجزاء النَّفْسِ لنفاسته، ويكاد يعين كانه من سلاسته. قصيدته تُجَتِّني
بالأفكار، ونَقْلُ يُتناول بالأسماع والأبصار، ونَقْلُ العلم والأدب، ألدُّ من نَقْلِ
المأكل والمشرب. وفاكهة الكلام، أطيَّبُ من فاكهة الطعام. نظمٌ كنظم
الجمان، وروض الجنان، وأمن الفؤاد، وطيب الرقاد. لم أر غيرها بكرًا
أستوفت أقسام الحُنْكَة، وأستكملت أحكام الدُّرْبِ، فعليتها رونق الشباب،
ولها قوَّةُ المُذْكَياتِ الصِّلابِ. رُوحُ الشعر، وتاجُ الدهر. مقدِّمة عساكر
السَّحْرِ. كلُّ بيتِ شعرٍ، خيرٌ من بيتِ تَبْرِ. شعرٌ يُحْكَمُ له بالإعجاز والتبريز،
ويُشَبَّه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعرٌ تأتلف القلوب على دُرِّه آتلافاً،
وتصير الآذان لها أصدافاً.

وصف الشعراء

لله ذرّه ما أحلى شِعْرَه، وأنقى دُرّه، وأصفى قَطْرَه، وأعجب أمره. قد أخذ برقاب القوافي، وملك رقّ المعاني. فضله برهان حقّ، وشعره لسان صدق. أجمع أهل جلدته، على أنه معجز بلدته. فلان يغرب، بما يجلب، ويُدع بما يُضع. حسنُ السبك، محكم الرّصف، بديع الوصف. مرغوبٌ في شعره، متنافسٌ في سحره. فلان ضاربٌ في قول الشعر بأعلى السهام، أخذ من عيون الفضل بأوفى الأقسام. ماء أشعار وطيتها، وكنز القوافي ومديتها. شعاره، أشعاره، ودأبه، آدابه. فلان ممن يتّده فيبتدع. فلان يجمع بين الإسراع، والإبداع. طبعه يمل عليه، ما لا يملّ الاستماع إليه. قريحه غير قريحة، وطبع غير طبع، وخيم غير وخيم. لبيدٌ عنده بليد، وعبيدٌ وأقرانه له عبيد. ألفرزدق عنده أقلُّ من فرزدقة خمير، وجريز، يقادُ إليه بجريز. قد نسج حُللاً لا يلي جدّتها الجديدان، ولا تزداد حسناً إلا على مرور الزّمان.

في نعت الشعر السائر

نظمه قد نظّم حاشيتي البرّ والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. أشعاره قد وردت المياه، وركبت الأفواه، وسارت في البلاد، ولم تسرّ بزاد، وطارت في آفاق، ولم تمش على ساق. شعره أسيرٌ من الأمثال، وأسرى من الخيال. سارمسير الرّياح، وطار بغير جناح. أشعارٌ سارت مسير الشمس وهبت هبوب الرّيح، فطبقت تخوم الأرض، وانتظمت الشّرق إلى الغرب. قد كادت الأيام تُنشدها، والليالي تحفظها وألجن تدرسها، والطير تتغنى بها.

في ذكر شعر الاكابر والملوك

قرأت آلايات التي أسفر عنها طبعُ المجد فعلمتُ كيف يتكسر الزّهر على صفحات الحدائق، وكيف يغرس الدُّرُّ في رياض المهارق. شعرٌ قد احتبس

جريه على فكره، ووقف كيف شاء عند أمره. شعرٌ يُعلّق في كعبة المجد،
ويُتوّج به مفرق الدهر. جاءت القصيدة ومعها غرة الملك، وعليها رواء
الصديق، وفيها سيما العلم، وعندها لسان المجد، ولها صيال الحق، لا غرّو
إذا فاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله،
ولا أذن سمعت بشبهه. شعرٌ يكتب في غرة الدهر، ويُشدخ في جبهتي
الشمس والبدر.

وصف الكتب البليغة الغزيرة وحسن موقعها

كتابٌ كتب لي أماناً من الدهر، وهناني أيام العمر. كتابٌ أوجب من
الاعتداد، أوفر الأعداد، وأودع بياض الوداد، سواد الفؤاد. كتابٌ الظفر به
نعيم، والنظر فيه فتح عظيم. كتابٌ ارتحت لعيانه، وأهتزت لعنوانه. كتابٌ
هو من كتب الميامين، التي تأتي من قبل اليمين. كتابٌ عدّته من حُجول العمر
وغرره، وأعدّته من فرص العيش وغرره. كتابٌ أنس مسموعاً ومُحفوظاً،
وكاد مودعه يكون مدروساً ومُحفوظاً. كتابٌ هو أنفس طالع، وأكرم مُتطلع،
وأحسن واقع. كتابٌ لو قرئ على الحجارة لانفجرت، أو على
الكواكب لانتثرت. كتابٌ كدت أبليه طياً ونشراً، وقبّلتُه ألفاً ويد حامله
عشراً. كتابٌ نسيته لحسنه الروض والزهر، وغفرت للزمان ما تقدم من ذنبه
وما تأخر. كتابٌ قد أملت مزية المجد على بنانك، ونطق به لسان الفضل
على لسانك، أما النقط على كل حرفٍ نذيرة أناملك بحقه، وآخذ من كل
سطرٍ تتجشم تخطيطه نزهة. (كذا) إذا قرأت من خطك حرفاً، وجدت على
قلبي خفاً، وإذا تأملت من كلامك لفظاً، ازدّدت من أنسي حظاً.

تشبيهات هذه الكتب

كتابٌ كتب لي أماناً من الزمان، وتوقيع وقع عندي موقع الماء من العطشان.

كتابُ هو تَعَلَّةُ الْمَسَافِرِ، وَأُنْسَةُ الْمَسْتَوْحِشِ، وَزَبْدَةُ الْوِصَالِ، وَعُقْلَةُ الْمَسْتَوْفِزِ. كِتَابُ هَوْرُقِيَّةِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَغُرَّةُ الْعَيْشِ الْبَهِيمِ. كِتَابُ هُوَ سَمَرٌ بِلَا سَهَرٍ، وَصَفْوٌ بِلَا كَدَرٍ. كِتَابٌ تَمَتَّعْتُ مِنْهُ بِالنَّعِيمِ الْأَبْيَضِ، وَالْعَيْشِ الْأَخْضَرِ، وَأَسْتَلَمْتَهُ أَسْتِلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَكَلْتُ طَرْفِي مِنْ سُطُورِهِ بَوَاشِيِ مَهْلَلٍ، وَتَاجِ مَكَلَّلٍ، وَأَوْدَعْتُ سَمْعِي مِنْ بَدَائِعِهِ مَا أَنْسَانِي سَمَاعُ الْأَغَانِيِ، مِنْ مَطْرِبَاتِ الْغَوَانِيِ. نَشَأْتُ سَحَابَةً مِنْ رَوْضِكَ غَيْمُهَا نَعْمَةٌ سَابِغَةٌ، وَغَيْثُهَا حِكْمَةٌ بِالْغَةِ. سَقَّتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ، وَقَدْ جَهَدْتَهَا يَدُ الْجَذْبِ، فَأَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ، وَأَكْتَسَتْ مِمَّا أَكْتَسِبْتَ. كِتَابٌ حَسْبُهُ سَاقِطًا إِلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ أَهْتِزَّازًا لِمَطْلَعِهِ، وَأَبْتِهَاجًا بِحَسَنِ مَوْقِعِهِ. تَنَاوَلْتَهُ كَمَا يُتَنَاوَلُ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ، وَفَضَضْتَهُ كَمَا يُفَضُّ الرِّحِيْقُ الْمَخْتُومُ. كِتَابٌ كَالْمَشْرِقِ شَرْقًا بِهِ الْمَسِيرُ وَقَمِيصُ يَوْسُفَ جَاءَ بِهِ الْبَشِيرُ. هُوَ فِي الْحَسَنِ رَوْضَةٌ حَزْنٌ، بِلْ جَنَّةٍ عَدْنٌ، وَفِي شَرْحِ الْنَفْسِ، وَبَسْطِ الْأَنْسِ، بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ. قَدْ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِي وَرْقِهِ، وَمَبَاهِجَ الْحُلَلِ وَالْحُلِيِّ مَحْصُورَةً فِي طَبَقِهِ. كِتَابٌ أَلْصَقْتَهُ بِالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَشَمَمْتَهُ شَمَّ الْوَلَدِ. وَرَدَّ مِنْهُ الْمِسْكَ ذَكِيًّا، وَالزَّهْرَ جَنِيًّا، وَالْمَاءَ مَرِيًّا، وَالْعَيْشَ هَنِيًّا، وَالسِّحْرَ بَابِلِيًّا. كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِ الْأَعْيَادِ، وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ الْمُرَادِ.

وصف قصر الكتب

كتابٌ وَجَدْتَهُ قَصِيرَ الْعَمْرِ، كَلِيَالِي الْوِصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ. لَمْ أَبْدَأْ بِهِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ، وَقَارِبَ الْآخِرِ الْأَوَّلِ. كِتَابٌ مَتَّقَصُ الْأَطْرَافِ، مَقْتَطَعُ الْأَكْنَفِ، أَبْتَرُ الْجَوَارِحِ، مُضْطَرِبُ الْجَوَانِحِ. كَأَنَّهُ تَعْرِيفُ مَتَحَرِّزٍ، أَوْ تَوْقِيعُ مُبْرَزٍ. كِتَابٌ يَلْتَقِي طَرْفَاهُ، وَيَتَقَارِبُ مُفْتَتِحُهُ وَمُنْتَهَاهُ. كِتَابٌ آتَفَقَ طَرْفَاهُ صِغْرًا، وَاجْتَمَعَتْ حَاشِيَتَاهُ قِصْرًا، مَا أَظُنُّنِي ابْتِدَائُهُ، حَتَّى خَتَمْتُهُ، وَلَا افْتَتَحْتُهُ حَتَّى اسْتَمْتَمْتُهُ، وَلَا لِمَحْتُهُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ، وَلَا نَشَرْتُهُ، حَتَّى طَوَيْتُهُ، وَأَحْسَبُنِي لَوْ لَمْ اجُودْ

ضبطه ولم ألزم يدي حفظه لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هباءً
 منثوراً، وهوأءٌ منشورا. كتابٌ حسبته يطيرُ من يدي لخفته، ويلطف عن حسي
 لقلته. عجبْتُ كيف لم تحتمله الرياح قبل وصوله إليّ، وكيف لم يختلط
 بالهواء عند حصوله لدي. كتابٌ قصُّ الاقتصار أجنته فلم يدع قوادم ولا
 خوافي، وأخذ الاختصار جدته فلم يُبق ألفاظاً ولا معاني، كتابك كإيماءٍ
 بطرفٍ، أو وحيٍ بكفٍّ، لم أفتحه حتى استوفيته ولا نشرته حتى طويته.

في ذم الخط والقلم

خطه مضطرب الحروف، متضاعف الضعف والتحرّيف. خطٌ مُمجمج،
 ولفظ مُلجج. خطٌ سقيم، وخاطرٌ عقيم. خطٌ مجنون، لا يُدرى ألف أم
 نون، وسطور، فيها شطور. خطٌ يُقذي العين، ويشجي الصدر. خطٌ مُنحط،
 كأرجل البط، على الشط، وأنامل السرطان، على الحيطان، قلمه لا يستجيب
 بريه، والمداد لا يُساعد جريه. قلم كآلود العاق والأخ المشاق إذا أدرت
 أستطال، وإذا قومته مال، وإذا بعثته وقف، وإذا وقفته انحرف. قلمٌ أحدل
 الشق، مضطرب الشق. متفاوت البري، معدوم الجري. مُحرفُ القَط، مشج
 الخط. قلمٌ لم يُقلم ظفّره فهو يَخِدش القُرطاس، وينفُسُ الأنفاس، ويأخذ
 بالأنفاس. فلم لا ينبعث إذا بعثته، ولا يقف إن وقفته. قد وقف اضطراب
 بريه، دون استمرار جريه، واقتطع تفاوت قطه، عن تجويد خطه.

في ذم الكلام

كلامٌ تنبو عن قبوله الطباع، وتتجافى عن استماعه الأسماع. ألفاظٌ تنبو
 عنها الأذان فتمجّها، وتنكرها الطباع فتزجّها. كلامٌ لا يرفع السمع له حجاباً،
 ولا يفتح القلب لوفده باباً. كلامٌ يُصدى الرّيان، ويُصدى الأذهان. كلامٌ قد
 تعمل فيه حتى تبدل، وتكلف، حتى تعسف. طبعٌ جاسي، ولفظٌ قاسي. لا

مَسَاغٌ لَهُ فِي سَمْعٍ، وَلَا وُصُولٌ لَهُ مَعَ خُلُوعِ ذَرْعٍ. كَلَامٌ لَا أَلْرُوبِيَّةَ فِيهِ ضَرَبَتْ بِسَهْمٍ، وَلَا أَلْفِكْرَةَ أَجَالَتْ فِيهِ بِقَدْحٍ، كَلَامٌ تَتَعَثَّرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ حُزُونَتِهِ، وَتَتَحَيَّرُ الْأَفْهَامُ فِي وَعُورَتِهِ. كَلِمَاتٌ ضَعِيفَةٌ أَلَاتْفَاقٌ، قَلِيلَةٌ أَلْأَعْيَانُ، مُضْمَحَلَةٌ عَلَيَّ أَلْأَمْتِحَانِ. أَلْفَاطٌ تُسْتَعَارُ مِنَ أَلْرِبَاجِيِّ، وَمَعَانٍ تَقْدَمُ مِنَ أَلْأَثَافِيِّ. كَلَامٌ كَأَنَّهُ ثَمْرٌ قُطِفَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَشَرَابٌ نَزَلَ دَنَّهُ قَبْلَ إِبَانِهِ. كَلَامٌ بِمِثْلِهِ يَتَسَلَى أَلْأَخْرَسُ عَنِ بَكْمِهِ، وَيَفْرَحُ أَلْأَصْمُ بِصَمِّهِ. بِمِثْلِ ذَلِكَ أَلْكَلامُ رُزْقِ أَلصَّمْتِ أَلْمَحَبَّةِ، وَأُعْطِيَ أَلْإِنْصَاتِ أَلْفَضِيلَةَ. كَلَامٌ أَمْلَسَ أَلْمَتُونَ، قَلِيلُ أَلْعَيُونَ. أَثْقَلُ مِنَ أَلْجَنْدَلِ، وَأَمْرٌ مِنَ أَلْحَنْظَلِ. لَفْظٌ أَخْلَاطٌ، فَلَا يُدْرِكُهُ أَسْتِنْبَاطٌ، وَلَا يُفْسِرُهُ بُقْرَاطٌ. لَفْظُهُ هَذَيَانُ أَلْمَحْمُومِ، وَسُودَاءُ أَلْمَهْمُومِ. كَلَامٌ رَثٌّ، وَمَعْنَى غَثٌّ. لَا طَائِلَ فِيهِمَا، وَلَا حَلَاوَةَ عَلَيْهِمَا.

فِي ذَمِّ الْكَاتِبِ

أَلْخَرَسُ أَحْسَنُ مِنَ كَلَامِهِ، وَأَلْعِي أَبْلَغُ مِنَ بَيَانِهِ. خَاطِرُهُ يَنْبُو، وَقَلْمُهُ يَكْبُو، يَسْهُو وَيَغْلَطُ، وَيُخْطِي وَيَسْقُطُ. هُوَ فِي أَلْأَدْبِ، دَعِيٌّ أَلنَّسَبِ، ضَيِّقُ أَلْمِضْطَرَبِ، سِيءُ أَلْمُنْقَلَبِ. قَصِيرٌ بَاعَ أَلْكِتَابَةَ، قَاصِرٌ سَعَى أَلْبَلَاغَةَ. كَتَبَهُ مُضْطَرِبَةً أَلْأَلْفَاطِ، مُتَفَاوِئَةً أَلْأَبْعَاضِ، مُنْتَشِرَةً أَلْأَوْضَاعِ، مُتَبَايِنَةً أَلْأَغْرَاضِ. أَلْجَلَمُ، أَوْلَى بِكَفِّهِ مِنَ أَلْقَلَمِ، وَأَلطَّاسُ، أَلْيَقُّ بِهَا مِنَ أَلْقَرطَاسِ.

فِي الشَّاعِرِ وَالشَّعْرِ

أَبْيَاتٌ لَيْسَتْ مِنْ مُحْكَمِ أَلشَّعْرِ وَجِجَمِهِ، وَلَا مِنْ أَلْحَرَارِ أَلْكَلامِ وَغُرْرِهِ. شِعْرٌ لَا حَلَاوَةَ فِيهِ وَلَا طَلَاوَةَ. شِعْرٌ ضَعِيفُ أَلصَّنْعَةِ، رَدِيءُ أَلصِّيغَةِ، بَغِيضُ أَلصَّبْغَةِ. قَدْ جَمَعَ بَيْنَ إِقْوَاءٍ وَإِطْأَاءٍ، وَإِخْطَاءٍ وَإِطْأَاءٍ. مَا قَطَعَ شَعْرَةَ، وَلَا سَقَى قَطْرَةَ. لَوْ شَعَرَ بِأَلنَّقِيضِ مَا شَعَرَ. فَلَانٌ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ خَبِيثِ أَلْقَوْلِ وَطَيْبِهِ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ بَكَرِهِ وَثِيْبِهِ. فَلَانٌ مُنْقَادٌ لِسَازِحِ أَلْكَلامِ يَسْتَعْمَلُهُ، نَفُورٌ مِنْ بَدِيعِهِ

يُهمله. شاعر بارد العبارة، ثقيل الاستعارة، بغیض الإشارة. هو من بين الشعراء، منبوذ بالعرآء. لم یلبس شعره حُلَّةً آحلاوة. شعرٌ لا یطیبُ دَرسه، ولا یخفُ سرده.

أوصاف أدوات الكتاب وآلات الكتاب

الدَّوَاةُ من أنفع الأدوات. هي للكتابة عتاد، وللخاطر زناد. غدیرٌ لا یردُه غیرُ الأفهام، ولا یمتَح بِغیرِ أرشیه الأقلام. أنيقة الصبغة، رشيقة الصیغة. مسكية الجلدة، كافورية الحلية. غدیرٌ تفيض ینابیع الحکمة من أقطاره، وتنشأ سُحبُ البلاغة من قراره. دَوَاةٌ تُداوي مرض عُفَاتک، وتُدوي قلوب عِدَاتک، عَلى مرفَعٍ یؤذن بدوامِ رفعتک، وارتفاعِ النوائبِ عن ساحتک.

في نعت المداد

مدادٌ كسوادِ العین، وسويداءِ القلب. مدادٌ كجناحِ الغدافِ ولُعبِ اللیل، وألوانِ دُهمِ الخیل. مدادٌ ناسبٌ خافيةِ الغراب، واستعارِ لونه شعرَ الشباب. مدادٌ هو أبهى لَدَيَّ من ألفِ فرسٍ بهیم، وأشهى إلى من مُلكِ الأقالیم.

في نعت القلم

أقلامٌ جمَّةُ المحاسن، بعيدةٌ عن المطاعن. تُعاصي الكاسرَ المعاصر، فتُمَانِعُ الغامزَ القاصر. صلبةُ المعاجم، لدنةُ المقاطع. أنابیبُ ناسبتِ رِماحِ الخطِّ في أجناسها، وساكنتُ أسودِ الغیلِ في أخياسها، وشاكلتُ الذهبَ في ألوانها، وضاهتِ الحریرِ في لمعانها، كأنها الأميالِ استواءً، والآجالِ مضاءً. بطیةُ الحفی، قويةُ القوی. لا یُسْظِیها القَطُّ، ولا یتشعث بها الخط. أقلامٌ ثجریةٌ موشیةٌ اللیط، رائقةُ التخطيط، كلُّ مُعتدلِ الكعُوبِ، قویِ الأنبوبِ. باسقُ الفُروعِ، رويُّ الینبوعِ. هو أولى بالیدِ من البنانِ، وأنس بخفی السرِّ من

اللِّسَانُ . هُوَ لِلأَنَامِلِ مَطِيَّةٌ ، وَعَلَى الْكِتَابَةِ مَعُونَةٌ مَرْضِيَّةٌ . نِعَمَ الْنَجْدَةُ الْقَلَمُ .
يُقَلِّمُ أَظْفِيرَ الدَّهْرِ ، فَيَمْلِكُ الأَقَالِمَ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ . إِنْ أَرَدْتَ كَانَ مَسْجُونًا لَا
يَمِلُ إِسَارًا ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ جَوَادًا لَا يَعْرِفُ الْعِثَارَ . لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتَ الصِّفَاحُ ،
وَلَا يَحْجَمُ إِذَا أَحْجَمْتَ الْقَفَاحَ . الْقَلَمُ مَطِيَّةٌ تَمْشِي بِرَاكِبِهَا رَهْوًا ، وَتَكْسُو
الأَنَامِلَ زَهْوًا .

فِي نَعْتِ السَّكِينِ

سِكِّينٌ كَأَنَّ الْقَدَرَ سَائِقُهَا ، وَالْأَجَلَ سَابِقُهَا . مُرْهَفَةُ الصَّدْرِ ، مُخَطَفَةُ
الْخَصْرِ . يَجُولُ عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْعِتْقِ ، وَيَتَرَقَّرُقُ فِيهَا مَاءُ الْجَوْهَرِ . كَأَنَّ الْمَنِيَّةَ تَبْرُقُ
مِنْ حَدِّهَا ، وَالْأَجَلَ يَلْمَعُ فِي مَتْنِهَا . رُكِبَتْ عَلَى نِصَابِ آبِنُوسَ ، كَأَنَّ الْحَدَقَ
نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبَ كَسْتَهُ لِبَاسَهَا . أَخَذَ لَهَا حَدِيدَهَا الْنَاصِعَ
بِحِظِّ مِنَ الرُّومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابُهَا الْحَالِكَ بِسَهْمٍ مِنَ الزُّنْجِ . فَكَأَنَّهَا لَيْلٌ مِنْ
تَحْتِ نَهَارٍ ، أَوْ فَحْمٌ أَبَدِي سَنَا نَارٍ ، ذَاتُ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ ، وَمِنْسَرٍ
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرٍ هَوَائِيٍّ ، وَنِصَابٍ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ وَلَّتْ مَتْنًا كَالِدِهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخَطَتْ اتَّقَتْ بِنَابَ الأَفْعَوَانِ . سِكِّينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ .
تَفْعَلُ فَعْلَ الأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ الْمَبْرَمِ ،
وَأَنْفَذُ مِنَ الْقَدْرِ الْمَتَاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ الْحَسَامِ ، وَالْمَعُ مِنْ الْبَرْقِ فِي
الْغَمَامِ . جَمَعَتْ حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَمَ الْمَخْبَرِ ، فَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرَ ،
وَلَمْ يَحُوجْهَا عِتْقُ الْجَوْهَرِ ، إِلَى إِمْهَاءِ الْحَجَرِ .

آخِرُ كِتَابِ النِّظْمِ وَالثَّرِّ وَاللَّهِ الْحَمْدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الممدوح والأثنية

وما يجري مجراها، ويأخذ مأخذها

المدح بشرف الاصل وكرم النسب

فلان من سِرِّ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ، وَمَعْدِنِ الْأَشْرَفِ الصَّمِيمِ. أَصْلُ رَاسِخٍ،
وَفَرْعُ شَامِخٍ، وَمَعْجَدٌ بَادِخٍ، وَحَسْبُ شَادِخٍ. طَيْبُ الْعُنْصُرِ وَالْمَرْكَبِ، كَرِيمُ
الْمَنْصَبِ وَالْمُنْتَسَبِ. فَلَانُ كَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ، شَرِيفُ الْجَانِبَيْنِ. قَدْ رَكَّبَ اللَّهُ
دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ الْمَجْدِ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَحَلِّ الْفَضْلِ. أَصْلُ شَرِيفٍ، وَعِرْقُ
كَرِيمٍ، وَمَغْرَسٌ عَظِيمٍ، وَمَغْرِزٌ صَمِيمٍ. الْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ، وَالشَّرْفُ نَسَبُ
أَسْلَافِهِ. نَسَبٌ فَخْمٌ، وَشَرْفٌ ضَخْمٌ. يَسْتَوْفِي شَرَفَ الْأُرُومَةِ، بِكْرَمِ الْأَبْوَةِ
وَالْأُمُومَةِ. مَا أَتَتْهُ الْمَحَاسِنُ عَنْ كَلَالَةٍ، وَلَا ظَفَرَ بِالْهَدْيِ عَنْ ضَلَالَةٍ، بَلْ تَنَاولَ
الْمَجْدُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَأَخَذَ الْفَخْرَ بَيْنَ أَسْرَةٍ وَمَنَابِرٍ، وَآكْتَسَبَ الشَّرْفَ عَلَيَّ
الْأَصَاغِرَ وَالْأَكَابِرَ.

ما يختص من ذلك بأبناء النبوة

اسْتَقَى عِرْقُهُ مِنْ مَنَبَعِ النُّبُوَّةِ، وَرَضِعَتْ شَجَرَتُهُ مِنْ ثَدْيِ الرِّسَالَةِ، وَتَهَدَلَتْ
أَغْصَانُهُ عَنْ نَبْعَةِ الْإِمَامَةِ، وَتَبَجَّحَتْ أَطْرَافُهُ فِي عَرِصَةِ الشَّرْفِ وَالسِّيَادَةِ،
وَتَفَقَّأَتْ بِيضَتَهُ عَنْ سُلَالَةِ الطَّهَارَةِ. قَدْ جَذَبَ الْقُرْآنُ بِضَبْعِهِ، وَشَقَّ الْوَحْيُ عَنْ
بَصَرِهِ وَسَمِعِهِ، مَخْتَارًا مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَاسِبِ. مَنْتَخِبٌ مِنْ أَشْرَفِ الْعُنَاصِرِ.

مرتضى من أعلى المحاتد. مؤثرٌ من أعظم العشائر. قد ورثَ جامعاً عن جامع، وشهد له نداء الصوامع. هو من مُضر في سُوداء قلبها، ومن هاشم في سواد طرفها، ومن الرسالة في مهبط وحيها، ومن الإمامة في موقف عزها.

في المدح بجمع بين شرفي الأصل والنفس وفضلي الإنتساب والإكتساب فلانٌ ينزع إلى المحامد بنفس وعرق، ويحن إلى المكارم بوراثة وخلق، يتناسب أصله وفرعه، ويتناصف نجره وطبعه. هو الطيب أصله وفرعه، الزكي بذره وزرعه، يجمع إلى عزّ النصاب، مزية الآداب. لا غرو أن يجري الجواد على عرقه، وتلوح مخايل الليث في شبلة، ويكون النحيب فرعاً مشيداً لأصله، له مع نباهة شرفه، نزاهة ظلفه، ومع كرم أرومته وجذمه، مزية أدبه وعلمه. لن تخلف ثمرة غرسٍ آرتيد له من المنابت أزكاها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها، عُصبة خيرة فضلها زاهرٌ وشرفها على شرف النماء. وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. قد جمع شرف الأخلاق، إلى شرف الأعراق، وكرم الآداب، إلى كرم الأنساب. له في المجد أولٌ وآخر، وفي الفضل قديمٌ وحديث، وفي الكرم تليدٌ وطريف. ليس كلٌ من شرف عرقه، شرف خلقه. ولا كلٌ عودٍ طاب منجمه، طاب معجمه. لا غرو أن يغمر فضله وهو نجل الصيد الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيض البحور الخضارم. دوحه ضرب عرقها وسمق فرعها، وطاب عودها، وأعتدل عمودها، وتفيأت ظلالها، وتهدلت ثمارها، وتفرعت أغصانها، وبرد مقيلاًها.

المجد والشرف والعلی

مجدٌ يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجوم كلّ مطال. شرفٌ تضع له الأفلاكُ خدودها وجباهها، وتلثم النجوم أرضه أفواهها وشفاهها. نسبُ المجدُ به عريق، وروض الشرف به أنيق، ولسان الثناء بفضله نطوق. مجدٌ

يشير إليه النجم الثاقب، وشرفٌ تحفظ طرفيه المناقب. فلكُ المجد عليه يدور، ويدُّ العُلَى إليه تشير، يأنس ربيعُ المجد إذا أستوحش من أستيلاء النقص، ويسكن إليه جاشُ الفضل. سما من المجد إلى رواسي الأعلام، حين رضي بمواطىء الأقدام، محلّه سامق، ومجدّه باسق، وشرفه نجم طارق.

الجود والكرم

فلانٌ رفيقُ الجود وخليله، وزميلُ الكرم ونزيله، وغرةُ الدهر وتحجيله، مواهبه الأنواء، وصدره الدهناء. بحرٌ لا يظمأ وارده، ولا يُمنع بارده. غوثه موقوفٌ على اللهيف، وعونه مبذولٌ للضعيف. يطغى جوده على وجوده، وهمته على قدرته. يوجب الصلوات، كوجوب الصلاة. بابه غير مرتج، لكل مُرتج. ينابيع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله. هو أوحده في الكرم، وغرةٌ في وجه العالم. هو الكرم أنشيء نفساً، والفضل تمثل شخصاً. لو أن البحر مدده، والسحاب يده، والجبال ذهبه، لقصرت عما يهبه. إن طلبت كريماً في جوده، متُّ قبل وجوده، أو ماجداً في أخلاقه. متُّ ولم ألقه، صدره بحر ووعدته نذر، قد حكم الآمال في أمواله، واستعبد الأحرار بفعاله. يهتزُّ عند المكارم كالغصن، ويثبت عند الشدائد كالرُكن. يدُّ حاتم كبنانه من شماله. لا يبلغ كعبٌ في الجود كعبه. له في كل مكرمة غرة الأوضاح، وقادمة الجناح. كريمٌ ملُّ لباسه، موفقٌ مر أنفاسه. صدره تضيق عنه الدهناء، وتفزع إليه الدهماء. لا مكارم إلا ما صدر عن خلأثقه، ولا مناجح إلا ما شيم من بوارقه. غمائم كرمه تفيض، ومآثر جوده تستفيض. يرى تحمل المغارم، من أعظم المغانم. مخلوقٌ من طينةٍ كريمة، ومجبولٌ على أحسن شيمة. حوار العنان في ميدان المكارم.

الجمال وحسن الصورة

قمري التصوير، شمسي التأثير. خلقة سوية صحيحة، وصورة مقبولة صبيحة. منظرٌ يملأُ العيون، ويملك النفوس. منظرٌ ما أحوجه إلى عيب يصرفُ عين كماله، عن جماله. طلعةٌ يطلعُ منها النيران؛ ويسجد لها الثقلان. مبرقعُ الغرة بالجمال، مسفرُ الطلعة بتباشير الإقبال. للعيون في محاسن وجهه مرتع، وللأرواح بها مُستمتع. خَلقٌ وَضِي وَخَلقٌ رَضِي، وَفَضلٌ مَضِي.

البشر والبشاشة

طلعةٌ عليها للبشاشة ديباجة خُسروانية، وفيها للطلاقة روضةٌ ربيعية. غرةٌ يجول فيها ماء الكرم، وتقرأُ منها صحيفة حسن الشيم. وجهٌ كأن بشرته قشر البشر، ومواجهته أمان من الدهر. فلانٌ يصل ببشره، قبل أن يصل ببره، ويحيي القلوب بقلائه، قبل أن يُميت الفقر بعطائه. شمتٌ من وجهه بارقة المجد، ورأيت في بشره تباشير النجح. قد لحظتُ من وجهه الأنوار، ومن بنانه الأنواء. أنا من كرم عشرته، وطلاقة أسرته، في روضةٍ وغدير، بل في جنةٍ وحرير.

العلم والادب

هو بحرٌ من العلم ممدود بسبعة أبحر، ويومه في الأدب كعُمر سبعة أنسر. العلمُ حَشْوُ ثيابه، والأدبُ ملء إهابه، هو شخص الأدب ماثلاً، ولسان العلم قائلاً. شجرةٌ فضل عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعروقها شرف. تسقيها سماء الحرية، وتغذيها أرضُ المروءة. هم ملح الأرض إذا فسدت، وعمارة الدنيا إذا خربت، ومعرض الأنام إذا أحتشدت. هم جمال الأيام، وخواص الأنام، وفرسان الكلام، وفلاسفة الإسلام. فلانٌ

غُصِنَ طَبْعُهُ نَضِيرًا، وَلَيْسَ لَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَظِيرٌ. قَدْ جَمَعَ الْحَفِظُ الْغَزِيرَ، وَالْفَهْمُ
الصَّحِيحَ، وَالْأَدَبُ الْقَوِيُّ الْقَوِيمَ. مَا يُؤْنِسُهُ عَنِ الْوَحْشَةِ إِلَّا الدَّفَاتِرُ، وَلَا
تَصْحَبُهُ فِي الْوَحْدَةِ إِلَّا الْمُحَابِرُ. هَمُّهُ مُهْرَةٌ فِكْرَةٌ يَسْتَفِيدُهَا، وَشُرُودٌ مِنْ الْكَلِمِ
يَصِيدُهَا. فَلَنْ يَحُلَّ دَقَائِقُ الْأَشْكَالِ، وَيَزِيلُ مَعْرَضُ الْإِشْكَالِ.

حسن الخلق

خُلِقَ لَوْ مَزَجَ بِهِ الْبَحْرُ لِنَفْسِ مُلُوحَتِهِ، وَصَفَى كُدُورَتِهِ. خُلِقَ كُنْسِيمِ
الْأَسْحَارِ، عَلَى صَفْحَاتِ الْأَنْوَارِ. خُلِقَ كَالْمَاءِ صَفَاءً، وَالْمَسْكَ ذِكَاءً. أَخْلَاقٌ
قَدْ جَمَعَتْ الْمَرْوَةَ أَطْرَافَهَا، وَحَرَسَتْ الْحَرِيَّةَ أَكْنَافَهَا. أَخْلَاقٌ تَجْمَعُ الْأَهْوَاءَ
الْمُتَفَرِّقَةَ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَتَوْلَفُ الْأَرَآءِ الْمُتَشَتِّتَةَ فِي مَوَدَّتِهِ. أَخْلَاقٌ أَعَذَبَ مِنْ
مَاءِ الْغَمَامِ، وَأَحْلَى مِنْ رَيْقِ النَّحْلِ، وَأَطْيَبَ مِنْ زَمَنِ الْوَرْدِ. أَخْلَاقٌ أَحْسَنُ مِنْ
الدُّرِّ وَالْعِيقِيَانِ فِي نَحْوِ الْحِسَانِ، وَأَزْكَى مِنْ حَرَكَاتِ الرِّيحِ بَيْنَ الْوَرْدِ
وَالرِّيحَانِ.

الظرف واللباقة وحسن العشرة

فَلَنْ يَسْتَحِطَّ الْعُضْمُ بِظَرْفِهِ، وَيَسْتَنْزِلُ النُّجْمُ بِلُطْفِهِ. مَا هُوَ إِلَّا غِذَاءُ
الْحَبْرَةِ، وَنَسِيمُ الْعَيْشِ، وَقُوَّةُ النَّفْسِ، وَمَادَّةُ الْأَنْسِ، وَشِمَامَةُ الظَّرْفَاءِ،
وَرِيحَانَةُ النَّدْمَاءِ. فَلَنْ حَلُوَ الْمَذَاقِ، عَذْبُ الْمَسَاغِ، أَعْلَى النَّاسِ فِي
جِدِّ وَأَحْلَاهِمُ فِي هَزْلِ. يَتَصَرَّفُ مَعَ الْقُلُوبِ، كَتَصَرَّفِ السَّحَابِ مَعَ الْجَنُوبِ. ذُو
جِدِّ كَعَلُو الْجِدِّ، وَهَزْلِ كَحَدِيقَةِ الْوَرْدِ. قَدْ طَابَتْ عِشْرَتُهُ إِذْ عَاشَرْتَهُ، وَلَانَتْ
قَشْرَتُهُ، وَوَاصَلَتْهُ فَاسْتَحْسَنْتَ وَصَالَهُ، وَأَحْمَدْتُ خِصَالَهُ. لَهُ عَشْرَةٌ مَأْوَاهَا
يَقْطُرُ، وَصَحْوَاهَا مِنَ الْغَضَارَةِ يَمْطُرُ. هُوَ رِيحَانَةُ عَلَى الْقَدْحِ، وَذَرِيعَةُ إِلَى
الْفَرَحِ. عِشْرَتُهُ الْطِفُّ مِنْ رِيحِ نَسِيمِ الشَّمَالِ، عَلَى أَدِيمِ الْمَاءِ الزُّلَالِ، وَالصِّقُّ
بِالْقَلْبِ، مِنْ عَلَاقِ الْحَبِّ. إِنْ أَرَدْتَ فَهُوَ سُبْحَةٌ نَاسِكٌ، أَوْ أَحْبَبْتَ فَهُوَ تَفَاحَةٌ

فائك، أو اقترحت فهو مدرعة راهب، أو آثرت فهو تحية شارب.

طيب الخبر

فلان أخباره ذكية، وآثاره زكية. أخباره تأتينا كما وشت بالمسك رياه، ونم على الصبح محياه. قد أنتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق، وأوفى على الزهر الأنيق. مناقب تشدخ في جبينها غرة الصباح، ويتهادى أنباءها وفود الرياح. فلان أخباره آثاره، وعينه فراره. قد حصل له من حميد الذكر، وجميل النشر، ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحرسه. سألت عن أخباره فكأنني خرجت المسك فتيقا، وصبحت الروض أنيقا. أحببته بالخبر، قبل الأثر، وبالوصف، قبل الكشف. أخباره متضوعة كتضوع المسك الأذفر، ومشرقة إشراق الفجر الأنور. أخباره أرجة، وصفحاته بهجة.

حسن العهد وكرم الود

هو من يثقل ميزان وده، ويحصيف ميثاق عهده. فلان كريم العهد، صحيح العقد. سليم الصدر في الود، حميد الصدر فيه والورد. هو لإخوانه عدة يشدهم ويقويهم، ونور يسعى بين أيديهم. هو ثابت ركن الإخاء، صافي شرب الوفاء. حافظ على الغيب ما يحفظه على اللقاء. هو من لا تدور المداهنة في عرصات قلبه، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره. فلان يسري إلى كرم العهد، في ضياء من الرشد. عهده نقش على صخر، ووده نسب ملان من فخر. يقبل من إخوانه العفو، كما يوليهم من إحسانه الصفو. في وده غنى للطالب، وكفاية للراغب، ومراد للصحب، وزاد للركب. هو في حبل الوفاء حاطب، وعلى فرض الإخاء مواظب.

اصابة الرأي

النجح معقود بنواصي آرائه، واليمن معتاد في مذاهب أنحائه. له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده، وتظهر عوائده، والتدبير النافذ الذي تنجح

مباديه، وتبهج تواليه. رأي كآلسهم أصاب غرة الهدف، ودَهَاءُ كآلبحر في بُعد الغور وقرب المغترف. لا يضع رأيه إلا مواضع الإصابة، ولا يصرف تدبيره إلا إلى مواقع السداد والأصالة. له فكر عميق، ورأي وثيق. يعرف من مبادئ الأفعال، خواتم الأعمال، ومن صدور الأمور، أعجاز ما في الصدور. رويته رأي طيب، وبديته قدر مصيب. يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح. له رأي لا يخطيء شاكلة الصواب، ولا يخشى عليه بادرة العثار. فلان يُخمر الرأي ويُجيله، ويُجيدُ الفكر ويطيله، حتى يحصل على لب الصواب ومحض الرأي. إذا أذكى سراج الفكر أضاء الظلام. هو قطب الصواب تدور به الأمور، ومستنبط صلاح يرد إليه التدبير، يرى العواقب في مرآة عقله، وبصيرة ذكائه وفضله. رأي يرد ألسيف مثلما، والرُمح مُقلما. آراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب. له رأي لا تغيب كواكبه. رأي طيب دآء المملكة. رأي منير، وللأعداء مُبِير. كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، ويطالعه بعين الإلهام والتوفيق. فلان يرى بأول رأيه آخر الأمر، وأصاب شاكلة الصواب في رأي محضه، وتدبير مَخْضَه. عجباً لرأيه الذي يستنبط دَفائن القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب. قد سرينا من مشورته في ضياء ساطع، ومن رأيه الصواب في حكم قاطع.

التجربة والحكمة

قد وضعت كثرة التجارب في يده مرآة العواقب. قد نجدته مصارف الدهور، وحنكته مصائر الأمور. قد أرضعته الحنكة بابانها، وأدبته الدربة في إبانها. فلان بازل، التجارب حنكته، والآيام عركته. لا تكاد الآيام تريه من أفعاله عجيبا، أو تسمعه من أحواله غريبا. فلان عارف بتدبير الزمان، عالم بتصاريف الآيام. أخذ ببرهان التبريز، نافذ في مجال التحصيل والتمييز. قد صحب الآيام، وتولى النقض والإبرام. هو ابن الدهر حنكة وتجريبا، وعوداً

على الغمزِ صليياً . قد أدبهُ الليل والنهار ، ودارت على رأسه الادوار ، واختلفت ،
به الأطوار . قد ارتضع أفويق الزمان وحلب أخلاف الليالي والأيام . قد ركب
ظهري البر والبحر . ولقى وفدي الخير والشر ، وصافح صفحتي النفع
والضر ، وبلا طعمي الحلو والمر ، ورضع ضرعِي العُرف والنكر ، وضرب
إبطي العُسر واليسر .

في الهمة العالية

له همةٌ على هامة النجم . فلان رفيعُ مناط الهمة . فسيحُ مجال الفضل . له
همةٌ تعزل السِماك الأعزل سُموأ ، وتجر ذيلها على المجرة علوا . همة حلق
جناحها إلى عنان النجم ، وأمتد صباحها من شرق إلى غرب . لا يتعاضمه
أنزاف البحر إذا أخطره بفكره ، ولا أنتساف الصخر إذا ألقاه في وهمه . همته
أبعد من مناط الفرقد ، وأعلى من منكب الجوزاء ، وأوسع من الأرض ، ذات
العرض .

الشهامة والنفاذ والجد والجلادة

فلان حي القلب ، مُشرخ الصدر . ذكيّ الذهن ، سجاج الطبع . ليس
بالنؤوم ، ولا السؤوم . فذ فرد ، وأسد ورد . كأن له في كل جارحة قلبا ، كأن
قلبه عين ، وكأن حسه سمع . شهابٌ مقدّم ، وقِدْحٌ مقوم مشدود النطاق ، قائمٌ
على ساق . لا يجفُّ ليداه ، ولا يستريح قلمه ، ولا تسكنُ حركته . قد جدَّ
وأجتهد ، وحشر وحشد . شمر عن ساق الجد ما أطاق ، وشد له النطاق . قد
ركب الصعب والدلول ، وتجشَّم الحزون والسُّهول ، وقطع البر والبحر ،
وأعمل السيف والرُمح ، وأسرج الدهم والشُّهب .

التقى والزهد

فلان عَذْبُ المشرب، عَفُّ المطلب. نقيُّ الساحة من المآثم، بريء الذمة من الجرائم. إذا رضي لم يَقُلْ غير الصدق، وإن سَخِطَ لم يتجاوز جانب الحق. يتبع أفضل الطُّرُق، وأرشد الخُلُق. يرجع إلى نفس أمانة بالخير، بعيدة من الشر، مدلولة على سُبُل البر. أعرض عن زِبْرَج الدنيا وخُدعها، وأقبل على اكتساب نعم الأخرى ومُتعتها. كفَّ عن زخرف الدنيا ونَضرتها، وغَض طرفه عن متاعها وزَهرتها، وأعرض عنها وقد عرضت له بزيتها، وصدَّ عنها وقد تصدَّت له في حليتها. فلان ليس ممن يقف في ظل الطمع، فيُسف إلى حَضِيض التضع. نقي جيبه، وسَلِمَ غيبه، ولم يدنس ذيله، وأستوى في النزاهة نهاره وليله. فلان جَلِيَّ الصفحة، نقيُّ الصحيفة، عَفَّ الأزار، طاهر من الأوزار. قد عاد لإصلاح المعاد، بإعداد الزَّاد. اعتزل الدنيا وأفرج عن كل ما زاد على الزَّاد المبلغ، والقوت المقنع.

الكمال والانفراد عن النظراء

فلان مَوْلُودٌ في طالع الكمال، وهو جُملة الجمال. قد أصبح عينَ الكمال، وصُبحَ المحافل، وزين المحاضر والمجالس. فريد دهره، وشمس عصره، وزينة مصره. فلان عَلمُ الفضل، وواسطة قِلادة الدَّهر، ونادرة الفلك، ونكتة الدنيا، وغُرَّة العصر. قد بايعته يدُ المجد، ومالت فيه الشورى إلى النص. كيف يُذَمُّ زمانٌ هو عَيْنُه البصيرة، ولمعته الثاقبة المنيرة.

التفضيل والترجيح

فلان يزيدُ عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القصر. هو رائشُ نبلهم، وبقية فضلهم. وجمة وردهم، وواسطة عقدهم. هو صدرهم وبدرهم، ومن عليه يدور أمرهم. يُنيفُ عليهم إنافة صفحة الشمس على كُرَّة

الأرض، كأنهم فلكٌ هو قطبه، وجسدٌ هو قلبه، ومملوكٌ هو رَبُّه. هو مشهورٌ بسيادتهم، وواسطة قلاذتهم. هو بيتُ القصيدة، وأولُ الجريدة، وعينُ الكتيبة، وواسطة القلادة، وإنسانُ الحديقة، ودُرَّةُ التَّاجِ، ونقشُ الفِصِّ. موضِعُهُ من أهلِ الفصل، موضِعُ الواسطة من العِقد، وليلِ التَّمِّ من الشهر، كلاً بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

ما يليق ببعض هذه المدائح
من حكاية أفعال المحسنين، وحسن آثار المنعمين
والألفاظ التي تقع في الشكر، ونشر البرِّ
ذكر الأفضال والانعام والاحسان والاصطناع

أفضل وأنعم، وأسدى في الإحسان وألحم، وأسرج في الإكرام وألجم.
قسم له من إحسانه ما يسع أمما، ويلقي السعادة أمما. أهدى إليه من كرائم البر ما لا يساق مهوره إلا من كرائم النفوس ومخايل الصدور. أعطاه عنان الاهتمام، حتى استولى على قصب المرام. ردَّ عنه الدهر أحصَّ الجناح، وملكه مقادة النجاح. أولاه من معهود البر ومألوفه، ما يُربى على مثيه وألوفه. أولاه إسعافاً سَمحاً، وعطاءً سَحاً، ومنناً صَفوا، وعَفواً عَفوا. أفاض عليه شعاب البر ومساليه، وجمع له شُعب الجميل وقبائله. هطلت عليه سحائب عنايته، ورَفَرَّتْ حوله أجنحة رعايته، قد فكه بكرمه من قيد السؤال، ومَعَرَّة الاختلال. راشه بعد ما حصه الفقر، وأرضاه وقد أسخظه الدهر، وربما نمنا أملاء الجفون، وسهر دوننا لتحقيق الظنون. قد شِمْتُ من كرمه أصدق سَحَاب، وحصلت من إنعامه في أخصب جناب. قد سدَّ ثلثة حالي، وأدر حلوبة مالي.

حسن آثار المنعم

ما أخلو من ظلِّ إحسانه ووابله، وعام إنعامه وقابله. قد استمطرت بنوء

غزير، وسريت منه في ضو قمر مُنير. لم يرض بأول السُّقيا حتى أتى
الانسكاب بعد القطر، وطلعت الشمس في أعقاب الفجر. قد كرعت من بره
في مشارع تغزر، ولا تنزر، ورفلت من طوله في ملابس تطول ولا تقصر. أنا
منه في ظلٍ ظليل، وفضلٍ جزيل، وريحٍ بليل، ونسيمٍ عليل، وماءٍ روي،
ومهادٍ وطبي، وكنّ كنين، ومكان مكين. أنا آوي إلى ظلّه كما يَأوي الصيّدُ
إلى الحرم، وأواجه منه وجه المجد وصورة الكرم. انا من إنعامه بين خيرٍ
مستفيض، وجاءه عريض، ونعمٍ بيض. قد استظهرت على جور الأيام
بعده، واستترت من دهري بظله. جميع ما أردد فيه طرفي وأعدّه من خاص
ملكي مُنتسبٌ إلى عطائه، أو مكتسبٌ بجميل رأيه. مسافةٌ بصري تبعد إن
سافرتُ بها في مواهبه، وركائبٍ فكري تطلّحُ إن أنصيتها في استقرأء
صنائه. جمالي مقرونٌ بجماله، وحالي قطعةٌ من حاله.

وصف النعم

نِعْمَةٌ عَمَّتْ الأُمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت ألهمم. نِعْمَةٌ
قد سطع صباحها مُستنيرا، وطنّب شعاعها مُستطيرا. قد غرقتني نعمه حتى
استنفدت شكر لساني ويدي وأثقلت ظهري، وتملأت صدري. نِعْمَةٌ عندي
مُشرقةٌ آجوا، مُغدقةٌ آنو، نُيرةُ الضوء. تتابعت نِعْمه تتابع القطر، على البلد
ألفر، وترادفت منه ترادف الغنى إلى ذي الفقر. نِعْمَةٌ أشرقت لها أرضي،
ومطر بها روضي، ووري بها زندي، وعلا معها جدّي، وأتاني الزمان يعتذر
من إساءته بي، وجاءني الدهر ينتظر أمري. نِعْمَةٌ أنعمت البال، وقوت النفس
وآلحال. نِعْمَةٌ تعمُّ عموم المطر، وتزيد عليه بإفراد النفع والضرر. نِعْمٌ
تضعف الخواطر عن التماحها، وتصغر القرائح عن اقتراحها.

وصف الأيادي والمنن

له مع كلِّ صباحٍ يدٌ كالصباح أو اشدُّ وضوحاً، وكالنهارة أو أصدق ظهوراً.

قد عمت الآفاق، ووسمت الأعناق. أيادٍ قد حبست الشكر وأستعبدت لك
 الحر. مننٌ توالت توالي القطر، وآتسعت سعة البحر، وأثقلت كاهل العبد
 والحر. عندي قلادة منتظمة قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام وجلوتها على
 أبصار الأنام. أيادٍ يقصر عن عفوها جهد القول، وتزهر بينها سواطع الإنعام
 والطول. أياديه أطواق في أجياد الأحرار، وأفلاك تدور على ذوي الأخطار. مننٌ
 تضعف لحملها عواتق الأطواد، ويتضاعف حملها على السبع الشداد. لو تحمل
 الثقلان، ثقل هذا الامتنان، لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم. أيادٍ يفرض
 الشكر لها ويحتم، ويفتح الذكر بها ويحتم. أيادٍ تثقل الكاهل، ومننٌ تتعب
 الأنامل. مننٌ تضعف متن الشكر، وتُنشر معها قوى النشر. مننٌ هي أحسن
 أثراً من الغيث في ازاهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع.

ذكر وفورها وكثرتها

مننٌ لا تُحصى، أو تحصى الحصى، إذا اطمعت نفسي في تعداد مننه
 وحصرها، فأطمعتها في إحصاء السحائب وقطرها. أيادٍ لا تحصى حتى تحصى
 محاسن النجوم، ومننٌ لا تحصر أو تحصر قطارات الغيوم، وذلك مُعوز عمر
 النور، باقى إلى يوم النشور. أيادٍ كعدد الرمل والنمل أعيت على العد، ولم تقف
 على حد. زادت أياديه حتى كادت تجهد الإعتداد. وتسبق الأعداد أياديه عندي
 أغزر من قطر المطر، وعوارفه أسرع من ملح البصر.

التشريف والتنويه

رفعه من قعر التراب، إلى سمك السحاب. استنبطه من حضيض الذلة،
 وأنهضه من محط الدناءة والضيعة. جذب بضبعه من أحس مطارح الأتباع،
 وأخفض منازل الرعاع، إلى أعلى المنازل، وأرفع المراتب. استنبطه من
 الحضيض الأوهد، إلى البناء الأجد. قد نبهه عن خمول، وأجرى الماء في عوده

بعد ذُبول. رقاہ إلى ذروة من ألمجد تَزَلْ أقدام النجوم لو وطئتہا، وتقصر همم الأفلاك إن طلبتہا. ثبت قدمه في المحل المنيف، وممكنه من جوامع التشریف. جذب بضبعه من المسقط المنحط، إلى المرفع المشتط. رفع خسيسته، وجبر نقيضته.

ذكر الشكر

الشكر ترُجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعُنوان الاختصاص. الشكر نسيم النعم، وهو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى السعادة. الشكر قيد النعمة، ومفتاح المزيد، وثمر الجنة. من شكر قليلا استحقّ جزيلا. شُكر المولى، هو الأولى. أشُكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك. الشكرُ قيدُ النعمِ وشِكالها وعقالها، وهي مشبهة بالوحش التي لا تقيم مع الإيحاء، ولا تريم مع الإيناس. موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف، إن وجدته لم يرم، وإن فقدته لم يقم. الشكر غرسٌ اذا اودع سَمَعَ الكريم أثمر الزيادة، وحفظ العادة، الشاكر يعرض المزيد البالغ والنعم السابغ.

العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر

عندي من يده ما ملك آاعتدادُ أزِ مته، وقبضُ أمراء الكلام وأثمتّه. عندي له مَبَارٌ أعجزني شكرها، كما أعوزني حصرها. شكره شأؤ بعيدٌ لا تبلغه أشواطِي، ولا أتلافي التفریط في حقه بإفراطِي. إحسانه يعيد العربُ عُجبا، والفصحاءُ بُكما. إذا سلم المرءُ مُقرأً بالعجز فقد خرج عن تَبَعَةِ التقصير، وبرِيء من عُهدَةِ المعاذير. قد زحمني من مكارمه ما يحصر ألمبين، ويصحبُه العجز وبئس القرين، عندي من إنعامه، وخاصّ بره وعامّه. ما يستغرق مُنّة الشكر، ويستنفد قُوة النشر. لو أستعرت الدهر لسانا، وآتخذت الرّيح ترُجمانا، لُيشيعا شُكر إنعامه حقّ الإِشاعة، لقصرت بهما يدُ الاستطاعة.

حسن الافصاح عن الشكر والثناء

شكره شكرَ الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه. شكره شكرَ البَلَدِ الْقَفْرِ، لألمامة القطر. أثنى عليه ثناء الرّوض الممحل، عَلَى الغيث المسبل. أثنى عليه ثناء لسان الزّهر، عَلَى راحة المطر. أثنى عليه ثناء العطشان الوارد، عَلَى الزُّلال البارد. شكره شُكر الرّوض اللدّيم، وزهير لهرم. بسط لسان الثناء والدعاء، وبلغ عِنان الشكر عنان السماء. شكراً ترتاح له المكارم، وتهتّز له المواسم. لأشكرنه شكراً تتسع أنواعه، وتنبسط أبواعه، ويلدُّ ذكره وسَماعه. شكرٌ مِلُّ القلب واللسان، وكشكر حَسَّان لآل غَسَّان. أطال عِنان الشكر وفسح مجاله، ورفع أعمدته، ومدَّ أروقته. شكرٌ كأنفاس الأحباب أو أنفاس الأسحار، بل أنفاس الرياض غب الأمطار. فلانٌ يتلو فضائلك تلاوة القرآن، ويسرُّد محامدك سرد الفرقان.

دلالة الحال على ما وراءها

لو سكت الشاكر، لنطقت المآثر، ولو صمت المخاطب، لأثنت الحقائق. لقد شهدت شواهد حاله، عَلَى صدق مقاله. أما تفضله فقد نطقت به جوارحي، ولو سكتُ لأثنت حقايبى، لئن جحدت ما أولانيه، وكندتُ ما أعطانيه، نطقت آثاره أياديه عليّ، ولعت أعلام عوارفه لدي. جوارحي انطق بالشكر من السنة خطباء إياد، وشعرآء مُراد.

أدعية تليق بهذه الاحوال بهذا الباب

أطال الله له البقاء، كطول يده بالعطاء، ومدَّ له في العمر، كامتداد ظلّه عَلَى الحرّ. أدام الله له المواهب، كما أفاض به الرغائب، وحرس لديه الفواضل، كما عوَّذ به البر الشامل. تولى الله عني مكافاته، وأعان عَلَى الخيز نياته، وأصبح بقاءه عزاً يبسط يديه لأوليائه، وَعَلَى أعدائه، وكَلَاه تذب عن ود ائع مِنْه

عنده، وزاد في نِعْمِهِ وإن عظمت، وبلغه آماله وإن انفسحت. لا زال الفضل
يأوي منه إلى رُكْنٍ منيع، وجناب مريع. لا زالت أَلْسُنُهُ عليه بالثناء ناطقة،
وَالْقُلُوبُ على مودته متطابقة، والشهادات له بالفضل متناسقة. لا زال يعطف
على الصادر والوارد، عطف العم والوالد. أبقاه الله للجَمِيلِ يُعَلِي معالِمَهُ، وَيُحْيِي
مَكَارِمَهُ، ويعمر مدارجَهُ، ويشمر نتائجَهُ. أدام الله أيامَهُ التي هي أيام الفضائل
ومواقيتِهَا، وأزمان المآثر وتواريخِهَا. أدام الله له المواهب، سامية الذوائب. مُوفِيَةً
على مُنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ. أبقاه الله للعطاء يفضيه بين خدمه، والجمال
يفيضة عَلَى إِنْشَاءِ نِعْمِهِ. والله يتابع له أيام العَلَاءِ وَالغِبْطَةِ، والنماء والبسطة،
لترتع انواع الخدم في رياض مواهبه، وتكرع أصناف الحشم في حياض
فواضله، والله يبقيه طويل الذراع، مديد الباع، مَلِيًّا بِالْإِفْضَالِ وَالْأَصْطِنَاعِ.
جزاه الله عن نعمة هناها، بعد أن أسبغها، وعارفة ملاحها، بعد أن سوغها.
أفضل ما جُزِيَ بِهِ مَبْتَدِي إِحْسَانٍ، وَمُحْيِي إِنْسَانٍ. لا زال مكانه معاناً للنعم لا
تريمه المواهب، ولا ترومه النوائب. بسط الله بِالْعُلَاءِ يده، وقرن بالسعادة
جده، وجعل خير يوميه غَدَهُ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياهُ إلى أمانيه
وآماله، وصرف الله صروف الغير عن إصابته إقباله وكمالهِ.

آخر كتاب المدائح والأثنية، والله الحمد والمنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب المساويء والمقايح

وما يدانيها

اللؤم والخسة

فلانُ عَصارة لؤم، في قرارة خُبث. ألامُ مُهَجَّة، في أسقط جُثة. حديثُ
النعمة، خبيث الطُّعمة. هو كالكِماء لا أصل ثابت، ولا فرعُ نابت، فلانُ
خبيث المركب، لثيمُ المكتسب. يكاد من لؤمه يُعدي من جلس إلى جنبه، أو
تسمى بأسمه. فلانُ قد أُرضع بلبان اللؤم، ورُبِّي في حجر الشر والشؤم، وفُطم
عن ثدي الخير، ونشأ في عَرصة الخبث. قد طلقَ الكرم ثلاثاً ولم ينطق فيه
استثناء، واعتقَ المجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولاء. فلانُ أتى من اللؤم بنادر لم
تهتد له فطنة مادر. فلانُ قصير الشبر، صغيرُ القدر، قاصر القدر،
ضيق الصدر. لو قذف الليل بلُومه، لطمس أنوار نجومه رُدَّ إلى قيمة مثله في
خبث أصله وفرط جهله. فلانُ لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.

في البخل

سائله محروم، وماله مكتوم. لا يجيز إنفاقه، ولا يحلُّ خناقه. خُبزه كالأروى
يُسمع بها ولا تُرى. خُبزه في حائق، وأدمه في ساهق. غناه فقر، ومطبخه قفر.
يملاً بطنه وألجار جائع، ويحفظ ماله والعرض ضائع. قد أطاع سلطان البخل
بجهده، وأنخرط كيف شاء في سلكه. فلانُ لا يبض حجره، ولا يُثمر شجره.

ما هو إلا حجرٌ لا يُروى، وزندٌ لا يوري. فلانٌ لا يجلب إلا من ضرع بكى،
ولا يسقى إلا من أنضب رُكي. قد جعل ميزانه وكيله، وأسنانه أكيله، وكيسه،
أنيسه، ورغيفه، أليفه، ويمينه، أمينه، ودرهمه شقيقه، ومفتاحه رفيقه، وخطته،
خادمه، وصناديقه، صديقه.

القبح والدمامة والحقارة

وجهٌ كهول المطلع، وزوال النعمة، وقضاء السوء، وموت الفجأة، ما هو إلا
قذى العين، وشجى الصدر، وأذى القلب، وحمى الروح. وجهٌ كأنه تبرقع
بالحنادس، وأكتسى قشور الخنافس. كأن النحاس تطلع من جبهته، وأخل
يقطر من وجنته. وجهٌ مسترق بالحسن، مُنتقب بالقبح. وجهه طلعة ألهجر،
ولفظه قطع الصخر. وجهه يشق على العين، وكلامه لا يسوغ في الأذنين. وجهٌ
كحضور الغريم وحصول الرقيب، وكتاب العزل وفراق الحبيب. خلة
الشيطان، وعقل الصبيان. قد لا يزيد فيه القيام. بيدق الشطرنج في القيمة
والقامة. له من الدينار قصره، ومن الورد صفرته، ومن السحاب ظلمته، ومن
الأسد نكهته.

الثقل والبغض والبرد

فلانٌ ثقيلٌ الطلعة، بغيض التفصيل والجملة. باردٌ السكون والحركة، قد
خرج عن حد الاعتدال، وذهب ذات اليمين وذات الشمال، يحكي ثقل
الحديث العاد، ويمشي على العيون والأكباد. لا أدري كيف لم تحمل الأمانة
أرض حملته، وكيف آجتاحت إلى الجبال بعد ما أقلته. كأن وجهه أيام
المصائب، وليالي النوائب، وكأنما قربه فقد الحبائب، وسوء العواقب،
وكانما وصله عدم الحياة، وموت الفجأة، وكانما هجره قوت المنة، وريح

الجنة. يا عجبى من جسم كَالخيال، وروح كالجبال، كأنه ثَقيل الدِّين، عَلَى وجع العين. ما الجِمام عَلَى الإصرار، ومُواصلة الصُّوم في الأسفار، وحلول الدِّين عَلَى الإقتار، بأثقل من لقاء فلان. هو ثَقيلُ السكون بغيض الحركة، كثيرُ الشُّوم قليلُ البركة. هو بين الجفن والعين قذاة، وبين النعل والأخمص حِصاة. ما هو إلا غداةُ الفراق، وكتاب الطلاق، وموت الحبيب، وطلوع الرقيب. ما هو إلا الأربعاء الأخير في الصِّفر، والكابوس في وقت السحر. هو أثقل من خراج بلا غلّة، ودواء بلا عِلّة، وأبغض من مثل غير سائر، وأبرد من خَشيف عَلَى خيشوم ميزاب، وأجمع للعيوب من بغل أبي دُلّامة، وحمار طيّاب، وطيلسان ابن حرب*.

البخر وترك التنظف

لا يُدرى أفسًا أم تنفَس، وأحدث أم حدّث. مدخل أكله أخبث من مخرج نُقله. لا فرق بين مَجشاه، ومفساه، أنتن من هُدُهدٍ ميتٍ مكفن، في جَوْرَبٍ عَفِن. مالي أرى الأباط حاشنة، والآناف مُعشبة، والعيون منورة، والأزرار مرعى، والأظفار جِمى، واللحى لُبُودا، والأسنان خُضراً وسودا.

الجهل والخرق والسخف

جهلٌ كثيف، وعقلٌ سخيّف، قالِبُ جهلٍ مَسْتورٍ بثوب. فلانٌ جاهلٌ لا يُميز، وأهوجٌ لا يتحرز، أخرقٌ متخلف، أهوجٌ مُتعجرف. لا يستتر من العقل بسجف، ولا يشتمل إلا عَلَى سُخف. يمدُّ يد المُجون فيعرك بها أذن الحزم، ويفتح جراب السُّخف فيصنع بها قفاً للعقل. لا تزال الأخبار تورِد سَفَاحِج جهله وخرقه، والآباء تنقل نتائج سُخفه وحُمقه، قد ظلّ يتعثر في فضول جهله، ويتساقط في ذبول خرقه. قد أتى ما دلّ عَلَى خرقه، وركاكة خُلقه.

الخسة مع الثروة والإقتصار من الانعام والافضال على التنعم والتجمل

وجمع المال وترك التطول

فلان سمينُ المال، مهزولُ النوال. عظيمُ الرُواق، صغيرُ الأخلاق. يصونُ فلسه، ويبدلُ نفسه. الدهر يرفعه، ونفسه تضعه. ثروة في الشريا، وهمّة في الثري. لا يكّدح إلا لتطيب الطّعم، وتنعيم الجسم، ثم يرى المكارم، من المحارم. قد وفر همّه على مطعم يُجوده، وملبس يُجدده، ومرقد يمهده، وبنيان يُشّيده، ثم يُنجدّه، فما يشد للمكارم رحلاً، ولا يحمل للفضل كلاً، همّه أن يتشبع ويتضلع، ويكتسي ويتمشقع، ويتجلل ويتبرقع، ويتربع ويترفع، وقصاراه أن ينصب تخته، ويوطىء آسته دسته، وحسبه من الشرف أن يصهرج أرضها، ويزبرج بعضها، ويكفيه من الكرم أن تعدو الحاشية أمامه، وتحمل الغاشية قدامه، ويجزيه من الفضل أفاظ فقاعية، وثياب مشقاعية. يلبسها ملوماً، ويحشوها لوماً. ما آتست دورهم، إلا ضاقت صدورهم، ولا أوقدت نارهم، إلا انطفأ نورهم، ولا هملجت عتاقهم، إلا قطفت أخلاقهم، ولا صلحت أحوالهم، إلا فسدت أفعالهم، ولا كثر مالهم، إلا قلّ جمالهم.

القلة والذلة

ريخ صيف، وطارق طيف. فوته غنيمة، والظفر به هزيمة. هو العود المركوب، والزند المضروب، يطأه الخف والحافر، ويستضيفه الوارد والصادر. هو كالعصفور إن تركته فات، وإن قبضت عليه مات. يغمض عن الذكر، ويصغر عن الفكر. ذلة لا تؤسم أغفاله، وضعة لا تنفج أفعالها. نهزة الطالب، وفرصة المغالب، وعرضة القاذف والحاذف. أقل من تنبه، في

لبنة، ومن قُلامه، في قُمامة.

خبث الطوية ومخالفة الباطن للظاهر

قَلْبٌ نَغِلٌ، وصدْرٌ دَغِلٌ. طويةٌ معلولة، وعقيدةٌ مدخولة. ظاهرٌ يسُرُّ الناظر، وباطنٌ يسو الخابر. صديقُ العيان، عدُوُّ المغيب. ما أكذب سَرابَ اخلاقه، وأكثر أسراب نفاقه. صَفوه رَنق، وبرُّه مَلق، ووُدُّه مذق. هو لابس من الغش ثوباً لا ينضوه، ولازم من الفعل سَمْتاً لا يعدوه، ينتهز الفرصة كيف ينشر أجنحة الاحتيال، وكيف يُعمل أسلحة الاغتيال. يدب الخمر، ويمشي الضراء، ويُسِرُّ حسواً في ارتغاء. قد ملئ قلبه رينا، وشحن صدره مينا. خبيث النية، فاسدُ الطوية، مقلب لسان الملق، ساترٌ بالتخلق وجه الخلق. عند الرجاء موجود، عند البلاء مفقود. يمشي الضراء في الغيلة، ويتنفق بالنفاق والحيلة. يبثُّ حباثل الزور، وينصب أشراك الغرور، ويدعي ضروب الباطل، ويتحلى بما هو منه عاطل. يدعي الفضل وهو فيه دعي. يُبدي وجه المطابق الموافق، ويخفي نظر المسارق المنافق. دأبه بثُّ الخدائع، والنَّفثُ في عُقد المكاره والمكائد. ضميره خُبث، ويمينه جُنث وعهده نَكث.

ما يختص من هذا الباب بالمرائين من الفقهاء والعدول والقضاة

بيّض لحيته لئسود صحيفته، وأظهر ورعه، ليخفي طمعه، وقصّر سباله ليطيل يده، وتغشى محرابه، ليملاً جرابه. ما ظنك بدئابِ طلس، في ثياب ملس. قومٌ يحملون أمانة على متونهم، ليأكلوا النار في بطونهم، حتى تغلظ قصراتهم من مال أليتامي، وتسمن أكفالههم من غزل الأيامي. عدل يبرز في ظاهر أهل السمات، وباطن أصحاب السبب. فعله الظلم البحت، وأكله الحرام السحت، سوس لا يقع إلا في صوف الأيتام، وجراد لا يسقط إلا على الزرع الحرام، وكردّي لا يغير إلا على الضعاف، ولص لا ينقب إلا على

خزانه الأوقاف، وذئب لا يفترس عبادَ الله إلا بين الرُّكوع والسجود،
وحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود. قاض لا شاهد عندة أعدل من
السلة والجام، يُدلي بهما إلى الحكام، ولا مزكي أصدق لديه من الصُّفر،
الذي يرقص على الظفر، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم، على
الكيس المختوم، ولا كفيل أوقع بوفائه من خُبنة الذيل، وحمال الليل، ولا
خليل أعزُّ إليه من المنديل والطبق، في وقت العشاء والفلق، ولا حكومة
أبغض إليه من حكومة المجلس، وخصومة المفلس، ثم الويل للفقير إذا
ظلم فما يُنجيه مجلس القضاء، إلا بالنار من الرمضاء، وأقسم أن اليتيم إذا
وقع إليه فقد وقع بين مخالف الأسود، وأنياب الحيات السود.

الكذب والبهتان

فلانٌ مُنغمِسٌ في عيبه، يكذب لذيله على جيبه. يقول بهتاً، وزوراً بحتاً.
قد ملئ قلبه ريناً، وقوله مينا، يدين بالكذب مذهباً، ويستلين الزور مركباً،
الفاخته عنده أبو ذر. لا أصغي إلى ما يلفق ويُنمق، ويخلق ويُزوق. أقاويل
يتمشى الزور في مناكبها، ويتردد البهتان في مذاهبها. حسب الكاذب بفعله
شتماً، وبقلبه خصماً، أما يخاف الكذوب، أن يدوب؟

خبث اللسان والفعل

لسانه مقراض، للأعراض. فلانٌ يأكل خُبزه بلحوم الناس. عرضٌ دني،
وفمٌ بدني. لا يزال تخرج من فمه كلمةٌ يَقَطُرُ منها دمه، ويتبرأ منها لسانه
ويده، وتطلقه نفسه. من أعمد فيه سيف الرية، انسل منه لسان الغيبة، ومن
طعن عجانة، طعن لسانه، ومن وارى سوءة أخيه صغيراً، تنقل بأعراض
الكرام كبيراً. فلانٌ مقصورُ الهمة على ما يستهجن ذكره، فكيف ارتكابه
وفعله. فلانٌ فيه بغيٌ مُشتق من البغاء، وبه وجعٌ في الوجعاء. فلانٌ لسهام

الغائبين مُستهدف، ولعصي الفاسقين مُتلقف. فلانُ يخبأُ العصا، في
الدهليز الأقصى. هو أبغى من إبر الخياطين، ومحابر الوراقين.

الاستهداف لسهام الغائبين

فلانُ غرضٌ يُرشقُ بسهام الرّيبة، وعلمٌ يُقصد بالوقية. قد تناولته الألسنُ
العاذلة، وتناقلت حديثه الأندية الحافلة، قد لزمه عارٌ لا يُمحي رسمه، ولزبه
شئارٌ لا يزول وسمه. قد قلّد نفسه عاراً لا يرحضه الاعتذار، ولا يُعفيه الليلُ
والنهار. قد أصبح نقل كلّ لسان، وضحكة كلّ إنسان، وحملت أمهاته سفاتج
إلى البلدان. قد صار دُولة الألسن، ومُثلة الأعين. قد عرض عرضه لسهام
الغائبين، وألينة القاذفين والحاذفين. قد قلّد نفسه عظيم العار والشئار،
وألبسها اللبسة الخالدة على الليل والنهار.

التيه والكبر

قد أسكرته خمرة الكبر، وأستهوته غرة التيه. كأن كسرى حاملُ غاشيته،
وقارون وكيل نفقته، وبلقيس إحدى داياته، وكأن يوسف لم ينظر إلا بمقلته،
ولقمان لم ينطق إلا بحكمته. كأن الشمس تطلع من جبهته، والغمام يندي
من يمينه. كأنه امتطى السماكين، وأنتعل الفرقدين، وتناول النيرين بيدين،
وملك الخافقين، وأستعبد الثقلين. كأن الخضراء له عُرشت والغبراء باسمه
فُرشت.

الحسد

قد دبّت عقارب الحسدة، وكمنت أفاعيهم بكل مرصدة. فلانٌ معجونٌ من
طينة الحسد والمنافسة. مضروبٌ في قالب الضيق والمناقشة. قد وكل بي
لحظاً ينتضل بأسهم الحسد. فلانٌ جسد، كله حسد، وعقلٌ كله حقد.

الحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعينٍ تدرك فائق الفتح. الحسود، لا يسود. الحسد، آفة الجسد.

دناءة النفس مع شرف الأبوة

فلانٌ من الطأؤوس رجله، ومن الوردِ شوكة، ومن الماء زبده، ومن النار دُخانها، ومن الخمر خمارها، ومن الدار كنيفها. يا عجباً أيلدُ البهيم، وولد أزر إبراهيم.

النميمة

لعنَّ الله من يُفسدُ ذات البين، ويسعى بالنميمة بين المحبين. النَّمام يُحاربُ بسيفٍ كليلٍ إلا أنه يقطع، ويضربُ بعضدٍ واهنٍ إلا أنه يُوجع. فلانٌ لا يزال ينمنم حلة النَّمام، وينفث في عُقد المكاره. قد هبت سمامُ نمامه ودبت عقارب مكائده. النميمة من سلاح النساء، وحصون الضعفاء.

الجبن

ليست اليراعة الجوفاء إلا أثبت منه قوة، وأشدُّ منة. فهو يحسب كل صيحة عليه، وكل هيعه عدواً يقبض على يديه. فلانٌ تمثال الجبن، وصورة الخوف، ومقرُّ الرعب، ومن لو سُميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها، وذكرها قبل فحواها، وأسمها قبل مسماها. هو من تخوفه أضغاث الأحلام، فكيف مسموع الكلام. إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل ذهب، وإذا ذكرت الرماح مس جنبه هل ثقب. كانه أسلم في كتاب الجبن صبيًا ولقن كتاب الفشل أعجميا.

خلف الوعد وكثرة المطل

يا له من وعدٍ أخذ من البرق الخلب خلقا، وتناول من العارض الجهم

طبعاً، وتركني أرعى رياض رَجَاء لا تنبت، وأجني ثمرَ أملٍ لا يُورق. هو في ضمائر الانتظار، وإسارِ عِدَّةِ ضِمَار. جعل يلوذ بدمّة المَطل، ويُرجي يوماً إلى غد. وعده بَرَقُ خُلْب، ورَوغان ثعلب. غيمٌ وعده جَهَام، وسيفٌ بذله كَهَام. وعده مُقَرَّمط، ومطله مفرط. حصلتُ معه على مواعيد عُرقوبية، وأحزان يعقوبية. قد حَرَمه ثمرة الوعد، وجَرّه على شوك المَطل. أنبت بوعدة روضَ آلام، ثم حَصَدَه بالخلف والمَطل. وعدُّ كالوعيد، بمَطل شديد، يُشيب الوليد. ولاية فلانٌ وعدُّ وصرفه اعتذار. وعده ضِمَارٌ لا ينجز، وسحابه جَهَامٌ لا يسكب. لا وعدُّ نجيح، ويأسٌ مُريح. سحائبُ الصيف أثبت من قوله، والخَطُّ في صفحة الماء أقوى من عهده، ومواعيدُ عُرقوب أقرب إلى الإنجاز من وعده. خُلْفُ الوعد، خُلُقُ الوعد. فلانٌ يرسل برقه، ولا يسيل ودقه، ويُقدم رَعده، ولا يمطر بعده. وعده الخَطُّ في بسط الهوآء، والرقم على بساط الماء.

صعوبة الجانب

صخرةٌ خَلَقَاء لا تستجيبُ للمُرتقي، وحيّةٌ صَمَاء لا تسمع للراقي. كأنني أستفزُّ منه بالحُداء عوداً، وأهزُّ بالدُّعاء طوداً. كأنني أنادي صخرةً وأرقي حيةً. فلانٌ ثاني العطف، نائي العطف. فلانٌ صعب المَعطف، بعيد المرجع، زُحلي خطو العطف، جمادي حركة الصفح. لا تنحلُّ عُقدَه، ولا تتحافى عن فريسة يده.

العجز

فلانٌ عاجز المُنّة، قاصرُ القوة. يتعلق بأذنان المعاذير، ويحيل على ذنوب المقادير. ما قطع في ذلك شعرة، ولا سقى قطرة، ولا فاه فيه بفصيح ولا أعجم. هو كالنعمامة يكون جملاً إذا قيل طيري، وطائراً إذا قيل سيري. الطيرُ

تغدو خماساً، وتروح بطناً، وهو عاجزٌ عما يقتاتة، قاصرٌ عما تتماسك به حياته. يُقام له نُزل، ولا يُفوض إليه شغل، ويُملاً له وَطْب، ولا يُرفع إليه خطب، وهذا والله عيشُ العجائز، والزمنُ العاجز.

آخر كتاب المساويء والمقايح، والله الحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العيادة وما يجانسها

ذكر التشكي والمرض

عَرَضَ لِي مَرَضٌ أَسَاءَ بِالنَّجَاةِ ظَنِّي، وَكَادَ يَصْرِفُ وَجْهَ الْإِفَاةِ عَنِّي. لَوْ
رَأَيْتَنِي لِرَأْيِي خَلَالًا، وَلَوْ شِئْتَهُ لَطَرَقْتَهُ خِيَالًا. هُوَ شُورَى بَيْنَ أَمْرَاضٍ أَرْبَعَةٍ:
حُمَى لَا تُغَبِّ، وَصُدَاعٌ لَا يَخْفَى، وَزَكَامٌ يَكُدُّ، وَسُعَالٌ لَا يَكُفُّ. عِلَّةٌ هُوَ فِي
أَسْرَهَا مُعْتَقَلٌ، وَبَقِيدَهَا مُكْبَلٌ. أَمْرَاضٌ تَوَالَتْ عَلَيَّ، وَأَسَاءَتْ بِي وَإِلَيَّ، فَأَنَا
أَشْكُوهَا وَأَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِذْ جَعَلَهَا عِظَةً وَتَذَكِيرًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ إِلَّا سِيرًا.
أَحْسَبُ الْأَمْرَاضَ قَدْ أَقْسَمَتْ عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ أَعْضَائِي مَرَابِعَهَا، وَأَلْتِ عَلَيَّ أَنْ
تَصِيرَ جَوَارِحِي مَرَاتِعَهَا. عِلَلٌ لَا يَصْدُرُ مِنْهَا آتٍ إِلَّا لِتَكْرِيرٍ وَرِدِّ، وَلَا يُعْزَلُ
فِيهَا وَالٌ إِلَّا بُولِي عَهْدًا. قَدْ كَرَّتْ تِلْكَ الْعِلَّةُ فَعَادَتْ عَلَلًا، وَسَقَانِي بَعْدَ نَهْلِ
عَلَلًا، حَلِيفُ عِلَّةٍ أَقْعَدْتَنِي عَنِ الْحَرَكَةِ، وَأَلْزَمْتَنِي مِنَ الْمَنْزِلِ عَرْصَةَ الْعَجْزَةِ.
عِلَّةٌ بَرَّتْهُ بَرِي الْأَخْلَةَ، وَنَقَصَتْهُ نَقْصَ الْأَهْلَةَ. تَرَكْتَهُ حَرَضًا، وَأَوْسَعْتَهُ مَرَضًا،
وَعَادَرْتَهُ وَالْخِيَالَ أَكْثَفَ مِنْهُ جُثَّةً، وَالطَّيْفَ أَوْفَرَ مِنْهُ قُوَّةً.

اشتداد العلة وسوء الظن بها

عَرَضَ لِي مِنْ أَلْمَرَضِ مَا صَارَ لَهُ الْقُنُوطُ يُغَادِيهِ وَيُرَاوِحُهُ، وَالْيَأْسُ يُخَاطِبُهُ
وَيُصَافِحُهُ، وَرَدَّ مِنْ سَوْءِ الظَّنِّ أَوْخَمَ الْمَنَاهِلِ، وَبَاتَ مِنْ حُسْنِ الرَّجَاءِ

على مراحل. طالعتُ الكرم يترجح نجمه بين الإضاءة والآفول، وتتمثل شمسه بين الإشراق والغروب: أصبح فلان لا ينقل رأسه، ولا يجرُّ ظله. ويد ألمنية تفرع بابه. ما هو إلا حرض، وليسهم ألمنية غرض. شاهدتُ نفسي وهي تخرج، ولقيتُ رُوحِي وهي تعرج، وعرفتُ كيف تكون السكره، وكيف تقع الغمرة، وكيف طعم البعد والفراق، وكيف يلتف الساق بالساق.

الانزعاج لعارض العلة

مرض فلحقتني روعة، وملكتني لوعة. وجدتُ في نفسي ألمًا مما مسه، وتخونُ أنسه، بلغني من شكاته ما أوحش جناب الأنس، وأراني الظلمة في مطلع الشمس. بلغني ما عرض له من المرض، وألم به من الألم، فتحامل على سوء صدري، وأقذى سواد طرفي. قد أستنفذ القلق لعلتك ما أعده الصبر من ذخيرة، وأضعف ما قواه العزاء من بصيرة. أتقلب على حدّ السيف إلى أن أعرف أنكشاف العارض وزواله، وأتحقق انحساره وانتقاله. أنهى إلي من خبر العارض حسم الله مادته، وقصر مدته. ما أراني آفاق مظلمًا، وطريق العيش مبهما.

تهوين أمر العارض بحسن الرجاء

هذه العوارض قد تكون، ثم تزول بإذن الله وتهون. إن الذي يبلغني من ضعفه قد أضعف المنة، وإن لم يُضعف الظن بالله والثقة. قد استشف العافية من وراء ثوب رقيق، وبات منها على وعد قريب، ربما يُشفى من أشفى، وحسبنا الله وكفى، ما أكثر ما رأينا هذه العليل جلت ثم جلت، وتوالت ثم تولت.

ذكر المشاركة في العلة

خبرني فلان بعلتك فأشركني فيها هماً وقلقاً، ولا أعل الله لك جسمًا ولا

حالا، وردّ إليك العافية وأدامها لك . ليست نكايّة الشّغل في قلبي بأقل من نكايّة الشكاية في جسدك، ولا استيلاء القلق على نفسي بأيسر من اعتراض أسقام لبدنك، ومن ذا الذي يصحّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه، ومن يحلّ محلّها في القرب إليه . ما كنت أعلم خبر العارض لك حتى تحققت ذلك من مشاركتي إياك في علتك وصحتك . ما أنفرد جسمك بألم العلة دون قلبي ولا اختصت نفسك بمعاناة المرض دون نفسي . ليعلم سيدي أني سقيم بسقمه، وواجد بقلبي ما يجده بجسمه .

الاهتمام للعلة ثم الاستبشار بزوالها

أنا مُنزِعج لشكّاتك، مُبتهج لمعافاتك . إن كانت علتك قد قرحت وجرحت، فإن صحتك قد أست وأنست . بلغني شكّاتك فأرتعت، ثم عرفتُ خفّتها فأرتحت . الحمد لله على قرب المدّة بين المِحنة والمنحة، والبلوى والنّعمة، على أنا لم نتهالك بأيدي المخافة، حتى تداركنا الله بحسن الرّافة، ولم نستسلم لخطة الحذر، حتى سلّم من ورطة القدر .

شكاة أهل الفضل والسؤدد

شكّاته التي تتألم لها المرؤة والفضل، ويسقط لها الكرم المحض . شكّاته التي غصّت بها خلوق المجد، وخرّجت لها صدور الأدب، وبدا الشحوب معها على وجه الحرّية، وخرّم عندها البشر على غرة المرؤة، علّته التي أعلّت أكثر القلوب، وطيّرت الأرواح عن جُلّ النفوس، قد اعتلّ بعلته الكرم، وشكا بشكّايته السيف والقلم . شكاة عرضت منه لشخص الكرم الغض، والشرف المحض، لو قبلت مهجتي فديةً دون وعكّة تجدها، وساعة أنس تفقدها، لبذلتها علماً بأني أفدي الكرم لا غير، والفضل ولا ضمير .

أدعية العيادة

أغناك الله عن الطَّبِّ والأطباء، بالسَّلامة والشفاء. كفاك الله بالسَّلامة، وشفاك بالطَّافه الخاصَّة والعامَّة. جعله الله عليك تمحيصاً، لا تنغيصاً، وتذكيراً، لا تنكيراً، وأدباً، لا غضباً، والله يُدرِّلك صَوْبَ العافية، ويُضفي عليك ثوب الكفاية الوافية. أذن الله في شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومَسَحَكَ بيد العافية، ووجه إليك وافد السَّلامة، وجعل علتك ماحيةً لذُنُوبك، مُضاعِفةً لثوابك. أوصل الله إليك من برد الشفاء، ما يكفيك حرَّ الأَدواء.

تنسم الاقبال بعد اليأس

قد شِمتُ بارقةً عافيةً، وشممت رائحة الصِّحة. أقبل صنع الله من حيث لم أرتقب، وجاءني لطفه من حيث لم أحتسب، وتدرجت إلى الإبلال وقد حسبتُه حُلماً، ورضيتُ به دون الاستقلال غُماً. قد تخلصتُ إلى شط العافية، وصافحتُ كف حُسن العاقبة. كما تداركني الله بلطفيةٍ من لطائفه، نوجعل هبة الرُّوح عارفةً من عوارفه. تنسمت روائح الحياة بعد أن أشفيت على الوفاة، وثَّبتت وجهي إلى الدُّنيا، بعد مواجهتي الدار الأخرى. تداركني صنع الله ولطفه فأقالا عثرة ما خلَّنتني أقالها، وأزالا علةً لم يُحتسب زوالها.

ذكر الابلال وحمد الله عليه والدعاء عنده

قد صافح الإقلال والإبلال، وقارب النهوض والإستقلال. سيرويك الله من العافية التي ذوقك ويسبغ ثوبها عليك، ولا يُعيد مكروهاً إليك. المرض قد آنحسر، والألم قد آنحسم. قد استقل استقلال السيف حُودث حدّه، وأُعيد فِرْنُدّه، والقمر آنكشف سراره، وذاعت أسراره. حين استقلت يدي بالقلم، بشرتك بأنحسار الألم. قد أقال الله بالسَّلامة الفائضة، وأدال من الشكاية

العارضة، فأنشِرت الصدور، وشَمَل السرور. أبلّ فَعادت به الصُّدور
مثلوجة، وألْكرِب مفروجة. الحمدُ لله الذي حرس جِسمك وعافاه، ومحا عنه
أثر السُّقم وَعَفَّاه. الحمد لله الذي جعل العافية عقبى ما تشكيت، والسلامة
عوضاً مما عانيت. الحمد لله على أن أعفاك من مُعانة الألم، وعافاك للفضل
والكرم، ونظمني معك في سلك النعمة، وضمّني إليك في مسلك الصِّحة،
وآلله يجعل السلامة ثوبك الذي لا تنضوه، وأسفعك في كل ما تأمله وترجوه،
وآلله يجعل السلامة أطول بُرديك، وأشدهما سُبوغاً عليك، ويدفع في صدور
المكارة دون ربعك، وفي نحور المحاذر قبل الانتهاء إلى ظلك. لا زالت
العافية شعارك، ما وَصَل ليلك نهارك. سَوَّغك الله العافية وهناك العيشة
الراضية.

الاستشفاء بكتب العيادة

كلامك قد أدى روح السلامة في أعضائي، وأوصل برد العافية إلى
أحشائي، تركني كتابك والظلم ينتسب إلى صحتي بعد أمراضٍ اكتنفت،
وأسقامٍ آخلت. قد أستبق كتابك والعافية إلى جسمي، حتى كأنهما فرسا
رهانٍ تباريا، ورسيلا مضمار تجاريا. أبدلني كتابك من حُزون الشكاة،
سهول المعافاة، ومن شدة التآلم، رخاء التنعيم، ومن ضيق الصدر بأضطراب
البدن، سعة الصدر باستقرار الجسد، حتى كأنه مسح مَلَك منزل، أو سبحة
نبيٍ مُرسل.

آخر كتاب العيادة، والله الحمد والمِنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التهاني والتهادي

وما ينخرط في سلكها، ويأخذ مأخذها

ألفاظ التهئة بمولود

مرحباً بالفارس المحقق للظنون، المقرّ للعيون. المقبل بالطالع السعيد،
والخير العتيد. أنجبُ الأبناء، لأكرم الآباء. أنا مُستبشِرُ بطلوع النّجم الذي
كُنّا منه على أمل، ومن تطاول أستسراه على وَجَل. إن يشأ الله يجعله مُقدمة
إخوة في نسق، كالفرد المتسق. قد طلع في أفق الحُرية أسعد نجم، ونجم
في حدائق المروءة أركى نبت. يا بُشراي بطلوع الفارس الميمون جدّه،
المضمون سعده. عليه خاتم الفضل وطابعه، وله سهمُ الخير وطالعه. الحمد
لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه إن شاء الله بداراً لا يُضمِر السرار ضياه،
ولا يبلغ المحاق سناءة وسناه. قد بشرت قوابله بالإقبال وعلو الجدّ، وأقترن
قدومه بالطائر السعد. هناك الله قوّة الظهر، وأشتداد الأزر، بالفارس المكثّر
لسواد الفضل، الموفر لجمال الأهل، المستوفي بشرف الأرومة، كرم الأبوة
والأمومة، وأبقاه حتى نراه، كما رأينا جده وأباه. عرفت أنفاً ما كثر الله به
عدده، وشد عضده، بطلوع الفارس الذي أضاء له أفق النجابة، وطال به باع
السعادة. بُشرت بالنور الساطع في أفق النجابة، والبدر الطالع في فلك
السعادة، فعظمت النعمى لديّ، وأوردت البُشرى غاية المُنى عليّ.

ما يختص منها بالملوك

مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المغانم. سوي الخلق، سامي العرق. تلوح عليه سيما المجد، وتتجاذبه أطراف الملك. وردت البشري بالفارس الذي أوسع ربيع المجد تأهلاً، وأطراف الملك تحصناً، ومناكب الشرف ارتفاعاً، وأعضاء العز اشتداداً. أتتني بشري البشائر، والنعمة المحروسة عن النظائر. في سلالة العز وسليله، وأبن منبر الملك وسريه. الأمير القادم، بغرة المكارم. الناهض إلى ذروة العلياء، بأباء أمره وملوك عظماء. مرحباً بالفارس المأمول لشدة الظهور، المرجو لسدّ الثغور. الحمد لله الذي شدّ أزر الدولة، ونظم قلادة الأمر، وعمر سرير العز، ووطد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشبل الأسد الورد. قد تبسمت المكارم والمعالي، وتباشرت الخطب والقوافي، بالفارس المأمول لشدة أزر الملك، وسد ثغر المجد، وتناول السرير شوقاً إليه، وأهتزت المنابر حرصاً عليه. قد أفرج جفن العالم عن العين البصيرة، وأستغرب مضحكه عن اللمعة المنيرة. أما الأمير المولود فالتاج بجبينه يهوى، والركاب بقدمه يزهى.

الادعية للمولود والوالد

اللهم أرني هذا الهلال بدراً، قد علا آقرا ن قدرا. بلغه الله فيه مناه، حتى يراه وأخاه، منيفين على ذروة المجد، آخذين بأوفر الخطوط من علو الجد، والله يمتعه به، ويرزق الخير منه، ويحقق الأمل فيه. عرف الله مولاي بركة المولود المسعود، وعضد الفضل بالزيادة في عدده، وأقر عين المجد بالسيادة من ولده، عرفه الله من سعادة مقدمه، ما يجمع أعداءه تحت قدمه. عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً باهراً، وبدراً زاهراً. يكثر به عدد حفتك، وتعظم منه غصة حسدتك، من حيث لا تهتدي النوائب إلى

عِزِّاصِكُمْ، وَلَا تَطْمَعِ الْحَوَادِثَ فِي انْتِقَاصِكُمْ. مَتَّعَكَ اللَّهُ بِالْوَلَدِ، وَجَعَلَهُ مِنْ
أَقْوَى الْعَدَدِ، وَوَصَلَهُ بِإِخْوَةٍ مُتَوَافِرِي الْعَدَدِ، شَادِّينَ لِلْأَزْرِ وَالْعَضْدِ. هُنَّاكَ اللَّهُ
مَوْلِدَهُ، وَقَرْنَ بِالْيُمْنِ مَوْرِدَهُ، وَأَرَاكَ مِنْ بَنِيهِ أَوْلَاداً بَرَّةً، وَأَسْبَاطاً وَحَفَدَةً.
عَرَفَكَ اللَّهُ بِرَكَّةِ قَدَمِهِ، وَنَجَحَ مَقْدَمَهُ، وَسَعَادَةَ طَالِعِهِ، وَيُمْنَ طَائِرِهِ، وَعَمَّرَكَ
حَتَّى تَرَى زِيَادَةَ اللَّهِ مِنْهُ، كَمَا رَأَيْتَهَا بِهِ.

ما يختص منها بالملوك والسادة

اللَّهُ يُبْلِغُهُ أَفْضَلَ مَا تَقْسِمُهُ السُّعُودُ، وَتَعْلُو بِهِ الْجُدُودُ، حَتَّى يَسْتَغْرُقَ مَعَ
إِخْوَتِهِ مَسَاعِي الْفَضْلِ، وَيُشِيدُوا قَوَاعِدَ الْفَخْرِ، وَيَزْحَمُوا صُدُورَ الْدَهْرِ،
وَيَضْبُطُوا أَطْرَافَ الْأَرْضِ، وَاللَّهُ يَحْرُسُهُ مِنْ نَوَاطِرِ الْأَيَّامِ أَنْ تَرْتُوِيَهُ، وَأَطْمَاعِ اللَّيَالِي
أَنْ تَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ بِأَعْبَاءِ الْخِدْمَةِ، وَيَنْهَضَ بِأَثْقَالِ الدَّوْلَةِ، وَيَخْفَتَ فِي
الدَّفْعِ عَنِ الْبَيْضَةِ، وَيَتَسَرَّعَ إِلَى حِمَايَةِ الْحَوْزَةِ، وَاللَّهُ يُدِيمُ لِمَوْلَانَا مِنَ الْعَمْرِ أَكْلَاءً،
وَمِنَ الْعَزَاهِنَاءِ، لِيُطَبَّقَ الْعَالَمُ بِفَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، وَيُدَبَّرَ الْأَرْضُ بِالنُّجَبَاءِ مِنْ نَسْلِهِ.

ذكر المولود العلوي

غُصْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَجْرُهُ، حَقِيقٌ أَنْ يَحْلُو ثَمْرُهُ، وَفِرْعٌ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ
مُنْتَهَاهُ. خَلِيقٌ أَنْ يَحْمَدَ بَدْوُهُ وَعُقْبَاهُ. مَرْحَباً بِالطَّالِعِ بِأَيْمَنِ الطَّالِعِ، وَمِنْ
أَشْرَفِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَابِعِ. حَيْثُ الرِّسَالَةُ وَالْإِمَامَةُ، وَالْخِلَافَةُ وَالزُّعَامَةُ. أَبْقَاهُ
اللَّهُ حَتَّى تَتَهَنَأَ فِيهِ سَوَابِغُ الْمُنَنِ، وَيُعَدُّ حَسَنَةً فِي بَنِي الْحَسَنِ.

ذكر التوأمين

تَيْسَرَتْ مِئْخَتَانِ فِي مَوْطِنِ، وَانْتَضَمَتْ مَوْهَبَتَانِ فِي قَرْنِ. طَلَعَ فِي أَفْقِ
الْمَلِكِ نَجْمًا سَعْدًا، وَشِهَابًا عِزًّا، وَكوكبًا مَجْدًا، فَتَاهَلَتْ بِهِمَا رِبَاعُ الْمُحَاسَنِ،
وَوُطِّئَتْ لَهُمَا أَكْنَافُ الْمَكَارِمِ، وَاسْتَشْرَفَتْ إِلَيْهِمَا صُدُورُ الْأَسْرَةِ وَالْمَنَابِرِ. عَرَّفَهُ

الله السَّعادة في طلوع بدرين انبعثا من نُوره، واستنارا في دُوره. بلغني خبر
الموهبة المشفوعة بمثلها، والنعم المقرونة بعدلها، في الفارسين المقبلين
رضيحي العزّ والرّفعة، وقريعي المجد والمنعة، فشملني من الاغتباط ما يوجبه
ازدواج البُشرى، واقتران عارِفةً بأخرى.

في التهئة بالبنت

هنا الله سيدي وُرود الكريمة عليه، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه،
وجعلها مؤذنة بإخوة برّرة، يعمرون أندية الفضل، ويعمرون بقية الدهر.
اتصل بي خبر المولودة كرم الله غرّتها، وانبتها نباتاً حسناً، وما كان من تغيرك
عند اتضاح الخبر، وإنكارك ما اختاره ما اختاره لك سابقُ القَدَر، وقد علمت
أنهن أقربُ من القلوب، وأن الله بدأ بهنّ في الترتيب، فقال جلّ من قائل:
﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، وما سمّاه الله هبةً فهو بالشكر
أولى، وبحسن التقبل أحرى. أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأمّ الأبناء، وجالبة
الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

والله يُعرفك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادّرع اغتباطاً، واستأنف
نشاطاً، والدنيا مؤنثة والناس يخدمونها، والنار مؤنثة والذكور يعبدونها،
والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة وقد
زُينت بالكواكب، وحُليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة، وهي قوامُ الأبدان،
وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عُرف الأنام،
والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت،
وأوزعك الله شكر ما أعطيت، وأطال بقاءك ما عُرف النسلُ والولد، وما بقي

الأبد، وكما عُمِّرْ لُبْد، إنه فعَّالٌ لما يشَاء وهو عَلى كلِّ شيءٍ قدير.

ألفاظ التهئة بالاملاك وما يقترن بها من الأدعية

من أتصل بمولاي سببه، وشرف به منصبه. كان حقيقاً بالرغبة إلى الله في توفيره وتكثيره، وزيادته وتثميته، لتزكو منابت الفضل، وتنمي مغارس الفخر، وتطيب معادن المجد. بارك الله مولاي في الأمر الذي عقده وأحمده إياه وأسعده، وجعله موصولاً بنماء العدد، وزكاء الولد، واتصال الحبل، وتكثير النسل، والله يخير له في الوصلة الكريمة، ويقرنها بالمنحة الجسيمة. قد عظم الله بهجتي، وضاعف غبطتي، بما أتاحه من سرورٍ ممهد، بجمع شملٍ مُجدِّد. فلا زالت النعمُ به محفوفة، والمسارُ إليه مزفوفة. جعل الله هذه الوصلة وكيدة العقدة، طويلة المدة. سابغة البركة والفضل، طيبة الذرية والنسل. وصل الله هذا الاتصال السعيد، وألعدد الحميد. بأكمل المواهب، وأحمد العواقب، وجعل شمل مسرتك به مُلتثماً، وسبب أنسك مُنتظماً. عرفك الله تعجيل البركات، وتوالي الخيرات، ولا أخلاك في هذه الوصلة من التهاني بنجباء الأولاد، وكبت بكثرة عددك جميع الحساد. هنا الله مولاي الوصلة لتتصل بكثرة العدد، ووفور الولد، وأنبساط آلباع واليد، وعلو القدر والجَد.

ألفاظ التهئة بالولايات

عَرَفْتَ خير البلد الذي أحسن الله إلى اهله، وعطف عليهم بفضله، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إبالته، وينفي خلله بفضل أصالته. من سر في الولاية يلبس مولاي ظلالها، ويسحب أذيالها، بنعمٍ مُستفادة، ورُتب مُزدادة، فسُروري بما يكتسبه من كل عملٍ يُدبِّره، وأمرٍ يقدره، من أحداثٍ جميلة، ومثوبةٍ جزيلة، ويؤثره من إحياء عدل، وإماتة ظلم، وعمارةٍ لسُّبل

الخيرات، وإيضاح لطرق المبرات. التهئة بالأعمال وأن كبر عنها موقعه، وكان بحمد الله يرفعها ولا ترفعه، فالرسوم تحفظ تحدثاً يولي الله مسوغاً، ويؤتي مسبغاً. سيدي يوفي على الرتب التي يهنأ ببلوغها، ويزيد على المنازل التي يدعى له بحلولها. فهنيئاً تجملها بولايتها، وتحليها بكفايته. الأعمال، وإن بلغت أقصى الآمال، فكفاية مولاي تتجاوزها، والرتب وإن جلّت قدراً، وكبرت ذكراً، فصناعته تسبقها وتשאها، غير أن للتهاني رسماً لا بد من إقامته، وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته. الأعمال، وإن بلغت الآمال، فكفاية سيدي توفي عليها إيفاء الشمس على النجوم، وترتفع عنها ارتفاع السماء عن التخوم. سيدي أرفع قدراً، وأنبه ذكراً، من أن نهته بولاية وإن جلّ أمرها، وعظم قدرها، لأن الواجب تهئة الأعمال بفائض عدله والرعية بمحمود فعله، والأقاليم بآثار سياسته، والولايات بسيمات رئاسته.

ما يختص منها بالوزراء

أنا أهني الوزير بالنعمة التي عمّت أهل الأرض، وخصت بني الفضل، وإن كان فوق كل ولاية توكل إليه، وراية تخفق عليه. أهني سيدنا بالحال التي جددها الله له كما يهنأ ناشد الضالة إذا وجدها، لا كما يهنأ طالب الغنيمة إذا ظفر بها. قد أعطيت قوس الوزارة منه باريها، وأضيفت إلى كفوها وكافيها، وفسخ بها شرط الدنيا الفاسد في إهداء جظوظها إلى اوغادها، ونقض بها حكمها الجائر في العدول بها عن نجباء أولادها. قديماً ألقى إليه الوزارة بالمقاليد، ونصت عليه بالتقليد، وتجملت منه تجمل من سواه بها، وسمت إليه سمو غيره إليها. الدنيا أيد الله الوزير مهنةً بانحيازها إلى رأيه وتنفيذه، والممالك مغبوةً باتصالها إلى أمره وتدبيره. قد كانت الدنيا متطلعة لرئاسته، مستشرفةً لوزارته، إلي أن سعدت بما كانت الآمال عنه مخبرة،

وحظيت بما كانت الظنون به مبشرة. وانحيازها إلى جنته واضحة الفجر،
وتوشُّحها من كفايته بغرة سائرة إلى وجه الدهر. الحمدُ لله الذي أقر عين
الفضل، ووطأ مهاد المجد، وترك الحُساد يتعثرون في ذبول الخيبة،
ويتساقطون في فضول الحسرة، وأراني الوزارة، وقد استكمل الشيخ خِلالها،
ووفاء جمالها

فلم تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

ما يختص منها بالقضاة

القاضي عَلِمُ العلم شرقاً وغرباً، ونجم الفضل غوراً ونجداً، وشمسُ
الأدبِ بَرّاً وبحراً، فسبيل الأعمال أن تهناً إذا رُدت إلى نظره الميمون،
وعُصِبَتْ برأيه المأمون. أسعد الله القاضي بما جدد له من رأي مولانا
وآرتضائه، وأعتماه لأجل أمور الشريعة وآنتضائه، وأسعد المسلمين والدين
بما أصاره إليه، وجعل زمامه بيديه.

الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات

عرّف الله سيدي من سعادة عمله، أفضل ما ترقاه بأمله، ولقاه من مناجح
أمره أبلغ ما أنتحاه بفكره. خار الله له فيما تولاه وتطوّقه، وبلغه في كلّ حال
أمله وحققه. عرفه الله من يُمن ما باشره تدبيره الخير والخيرة، والبركات الحاضرة
والمنتظرة، وجعل المنائح إليه أرسالا، لا تملّ توالياً واتصلاً. أسعده الله أفضل
سعادة قُسمت لوالي عمل، وأحضر بركة أسهمت لمسامي أمل. أحضر الله السداد
عزمه، وألزم الرشاد همه، وكنفَه بالعصمة وأيده، وقرن به التوفيق ولا أفرده. هناة
الله الموهبة التي ساقها إليه، ومدّ رواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب، مُسفرة
عن خصائص المراتب، وحلّت منه محل الإستيجاب، لا الإيجاب،
والإستحقاق، دون الإتفاق. هناة الله نعمة الفضل التي الولاية أصغر آلاتها

والرئاسة بعض صفاتها.

ذكر الخلع والأحبية ووصفها

أهنيء سيدي بمزيد الرفعة، وجديد الخلعة، آلتى تخلع قلوب المنازعين،
واللواء الذي يلوي أيدي المنابذين، والحُمَلاَن الذي لو امتطاه إلى الأفلاك
لحازها، أو سامى به الجوزاء لجازها. بلغني خبر ما تطوّعت به سماء المجد،
وجادت به أنواء الملك، فتضمن من الخلع اسناها، ومن السيوف أمضاها،
ومن الأفراس أجراها، ومن المراكب أبهاها، ومن الإقطاعات أنماها. لبس
خلعته متجللاً منها ملابس العزّ، وامتطى فرسه فارعاً ذروة المجد، وتقلد
سيفه حاصداً بحده طلى أعدائه، وغامطي نعمائه، واعتنق طوقه متطوقاً عزّ
الأبد، واعتصم بالسوارين المؤذنين بقوة الساعد والعضد، وساس أوليائه
ولوأوه عليه خافق، ولسان النصر والظفر ناطق. قد لبس عبده خلعته، التي
تعمد بها رفعتة، وامتطى حُمَلاَنه، الذي واصل به إحسانه، وتنطق بحسامه،
الذي ظاهر أثواب انعامه، وتختم بخاتميته، اللذين بسطا من يديه، ووقع من
دَوَاتِهِ، التي أعلا بها من دَرَجَاتِهِ، وتمهد له آلدست المحمول إليه. فدرت
سماء الشرف عليه. الخلعة التي تتراءى صفحات العزّ على أعطافها، وتمتري
مرايا المجد من أطرافها، والحُمَلاَن الذي تتناول قاصية المني من ناصيته،
والمركب الذي تستجدي حُلي الثريا بحليته، وآلسيفُ والمنطقةُ الناطقان عن
نهاية الإكرام، الناظران قلائد الأنعام. خلعُ تخلع قلوب الأعداء عن
مقارها، وتغمرُ نفوس الأولياء بمسارها، وسيفُ كالقضاء مضاءً وحدًا،
وكالأقدار غراراً وحدًا، ولوآء تخفق قلوب المنازعين إذا خفق، وحُمَلاَن يصرم
منكب الدهر إذا انطلق.

في التهئة بالقدوم

أهنيء نفسي وسيدي لما يسره الله من قدومه سالمًا، وأشكر الله على ذلك

شكراً دائماً. قد أعفيت ظهور ركابه، وآبت البركة بإيابه. جعل الله قدومك مقروناً بالخيرة التامة العامة، والكفاية الشاملة الكاملة. غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النعم موصولة بأوبتك، فوصل الله قدومك من الكرامة، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة. هناك الله إياك وبلغك محابك، ما زلت أيام غيبتك - لا أوحش الله ربك منك - بذكرك مستأنسا، وللشوق إليك مجالسا، إلى أن من الله من أوبتك بما عظمت عليّ به النعمة، وجئت لدي معه المنحة. ما زلت معك بالنية مسافراً، وباتصال الفكر وبالذكر ملاقياً، إلى أن جمع الله شمل سروري بوبتك، وسكن نافر قلبي بعودتك، فأسعدك الله بمقدمك سعادة تكون بها للإقبال مقابلاً، وبالأماني ظافراً، ولا أوحش منك أوطان الفضل، ورباع المجد، بمنه.

ألفاظ في التهئة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك
والمشاعر

وما يتصل بهما من الأدعية

قصد البيت العتيق، والمقام الكريم، والمطاف الشريف والملتمزم النبيه، والمستلم النزيه، ووقف بالمعرف العظيم، وورد زمزم والحطيم. حرم الله الذي أوسع كرامته، وجعله للناس مثابة، وللخليل خطة، وللذبيح حلة، ولمحمد ﷺ قبلة، ولأمتة الهادية كعبة، ودعا إليها حتى لبي من كل طرف سحيق، وتسرع نحوه من كل فج عميق. يعود عنه من وفق وقد قبلت توبته، وغفرت حوبته، وسعدت سفرته، وأنجحت أوبته، وحمد سعّيه، وزكا حجه، وتقبل عجه وثجه. انصرف مولاي عن الحج الذي انتضى له عزائمه، وأنضى فيه رواحله، وأتعب نفسه بطلب راحتها، وأنفق ذخائره، يشتري سعة الجنة وساحتها، قد زكيت إن شاء الله أفعاله، وتقبلت أعماله، وشكر سعّيه، وبلغ

هديه . قد أسقطت عن ظهرك الثقل العظيم، وشهدت الموقف الكريم،
ومحضت من نفسك بالسعي من الفج العميق، إلى البيت العتيق . حمداً لمن
سهّل لك قضاء فريضة الحج والمشعر والمقام وبركة أدعية الموسم، وسعادة
أفنية الحطيم وزمزم . قصد أكرم المقاصد، وشهد أشرف المشاهد . فورد
مشارع الجنة، وخيم بمنازل الرحمة . قد خصتني مواهبُ الله لديك في الحج
أديت فرضه، وحرم الله وطئت أرضه، والمقام الكريم قُمته، والحجر الأسود
استلمته، وزرت قبر الرسول عليه السلام مشافهاً لمشهده، ومباشراً لمسجده،
ومشاهداً لمبديه ومحضره، وماشياً بين قبره ومنبره، ومُصلياً عليه حيث صلى،
ومتقرباً إليه بالقراية العظمى، وعُدت وثوابك مسطور، وذنبك مغفور،
وتجارتك رابحة، والبركات إليك غادية رائحة . تلقى الله دعائك بالإجابة،
وآستغفارك بالرضا، وأملك بالنجح، وجعل سعيك مشكوراً، وحجك مبروراً .
عرّف الله مولاي من مناجح ما نواه وأتاه، وقصده وتوخاه، ما يسعده في دنياه،
ويُحمد عُقباه .

في ألفاظ التهئة بالاطلاق من الحبس

الحمدُ لله حمد الإخلاص، على حُسن الخلاص . قد فكّ من حلق الإِسار
وأُنقذ من حد الشِفار، وأقضى من ذلة رِق، إلى عزة عِتق . من تصلية جحيم،
إلى جنة نعيم . خرج من العِقال، خروج السيف من الصِقال، خرج من
إِساره، خروج البدر من سَراره . الحمدُ لله الذي فكّ أسرا، وجعل من بعد
عُسْرٍ يُسرا . خرج قمرُ الفضل من سَراره، وأنار في فلك مداره، خرج من
البلاء، خروج السيف من الجلاء . أرخي عنه ضيق الخناق، وأطلق من أسر
الوُثاق . قد جعل له من مضايق الأمر مخرجاً نجيحاً، وفي مغالق الأحوال
مسرحةً فسيحاً .

التهنئة باقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية

ساق الله إليك سعادة إهلاله، وعرفك بركة كماله. أسهم الله لك في فضله، ووفَّقك لفرضه ونفله. لَقَّاكَ اللهُ فِيهِ مَا تَرْجُوهُ، وَرَقَّاكَ إِلَيَّ مَا تَحِبُّ فِيهِ مَا يَتْلُوهُ. جعل الله ما أظلك من هذا الصَّوم مقرونًا بأفضل القبول. مُؤَذِّنًا بِدَرْكِ الْبُغْيَةِ وَنُجْحِ الْمَأْمُولِ، وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ بِرِّ مَرْفُوعٍ، وَدُعَاءِ مَسْمُوعٍ. قابل الله بالقبول صيامك، وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك. عرفك الله من بركاته ما يُرَبِّي عَلَى عَدَدِ الصَّائِمِينَ وَالْقَائِمِينَ، وَوَفَّقَكَ لِتَحْصِيلِ أَجْرِ الْمُتَهَجِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ. أسأل الله أن يُضَاعَفَ يُمْنَهُ لَكَ، وَيَجْعَلَ وَسِيلَةً مَقْبُولَةً إِلَى مَرْضَاتِهِ عِنْدَكَ. أعاد الله إلى مولاي أمثاله، وتقبَّلَ فِيهِ أَعْمَالَهُ، وَأَصْلَحَ فِي أَلْدِينِ وَالْأَحْوَالِ، وَبَلَّغَهُ مِنْهَا آمَالَهُ. أسعده الله بهذا الشهر، ووفاه فيه أَجْزَلَ الْمَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ، وَوَفَّرَ حِظَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ دُعَاءِ الدَّاعِينَ، وَيَنْزِلُ مِنْ ثَوَابِ الْعَامِلِينَ، وَتَقَبَّلَ مَسَاعِيَهُ وَزَكَاهَا، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِ وَأَعْلَاهَا، وَبَلَّغَهُ مِنْ آوَامَالِ مُنْتَهَاهَا، وَأَظْفَرَهُ بِأَبْعَدِهَا وَأَقْصَاهَا.

الأدعية في التهنئة بالعيد

عَاوَدْتِكَ السُّعُودَ، مَا عَادَ عِيدٌ وَأَخْضَرَ عَوْدٌ. عاد السرور إليك في هذا العيد، وجعله الله مُبَشِّرًا بِالْجَدِّ السَّعِيدِ، وَالْخَيْرِ الْعَتِيدِ، وَالْعَمْرِ الْمَدِيدِ، جَعَلَكَ اللهُ مِنْ كُلِّ مَا دُعِيَ وَيُدْعَى بِهِ فِي الْأَعْيَادِ، آخِذًا بِأَكْمَلِ الْحِظُوظِ وَالْأَعْدَادِ، أَفْطَرَ وَأَكْبَادَ أَعْدَائِكَ تَنْفَطِرَ، وَالْأَلْبَانِيَا بَعِينِيكَ تَنْظُرَ وَبِالسُّعُودِ تُبَشِّرَ. أسعد الله سيدي بهذا العيد سعادةً توفّر من الخير أقسامه، وَتَقْصُرُ عَلَى النَّعْمَى أَيَّامَهُ، وَتَحَقِّقَ آمَالَهُ، وَتَزَكِّيَ أَعْمَالَهُ. جعل الله أيامه توارِيخَ وَأَعْيَادًا، وَجَعَلَ لَهُ السَّعَادَاتِ آمَادًا وَأَمْدَادًا.

ما يختص منها بالاضحى

يا أكرم من أمسى وأضحى، سعدت بطلعة الأضحى. عرفك الله فيه من

السَّعَادَاتِ مَا يُرَبِّي عَلَيَّ عِدَدٌ مِنْ حَجٍّ وَأَعْتَمِرُ، وَسَعَى وَنَحَرَ، وَمَا يُرَبِّي عَلَيَّ عِدَدٌ مِنْ حَجٍّ، وَعَجَّ وَثَجَّ. أَسْعِدُ اللَّهَ مَوْلَايَ بِهَذَا الْعِيدِ سَعَادَةً تَجْمَعُ بِهِ حِظُوظَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَصَالِحَ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَجَعَلَ أَعَادِيهِ كَأَضَاحِيهِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمَسْرُورِينَ الْمَحْبُورِينَ فِيهِ، وَقَضَى لَهُ بِكَفَايَةِ الْمَهْمِ، وَالْحَيَاظَةَ مِنَ السُّوءِ الْمُلْمِ.

التهنئة بالنيروز وفصل الربيع

هذا اليوم من الأيام، كسيدنا في الأنام. هذا اليوم غرة في وجه الدهر، وتاج على مفرق العصر. أسعد الله مولاي بنيروزه الوارد عليه، وأعادته كيف شاء ما شاء إليه. أسعد الله سيدنا بالنيروز الطالع عليه ببركاته، وأيمن طائرته في جميع أيامه ومُتصرفاته، ولا زال يلبس الأيام فيلبسها وهو جديد، ويقطع مسافة سعدا ونحسها وهو سعيد. أقبل النيروز إلى سيدنا ناشراً حُلله التي استعارها من شيمته، ومُبدياً حُليه التي أخذها من سجيته، ومستصبحاً من أنواره ما أكتساه عن محاسن أيامه، ومن أمطاره ما أقتبسه عن جوده وإنعامه، ومؤكداً الوعد بطول بقائه حتى يُملَى العُمر، ويستغرق الدهر. سيدنا الربيع الذي لا يذبل شجره، ولا ينقطع ثمره، ولا يُقلع غمامه، ولا تُبتذل أيامه، فأسعد الله بهذا الربيع المُتَشَبِّه بأخلاقه وإن لم ينل قدرها ولم يُحصَل فضلها، ولم يجد بداً من الإقرار لها. سيدنا الربيع الذي يتصل مطره، من حيث يُؤمن ضرره، ويدوم زهره، من حيث يُتَعَجَّل ثمره. فلا زال أمراً ناهياً، سامياً عالياً، تتهنأ الأعياد بمصادفة سُلطانه، وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه. أسعد الله سيدنا بهذا النيروز الحاضر، واليوم الجديد الناضر. سعادة تستمر له في جميع أيامه على العموم دون الخصوص، لتكون مشتبهات في أكتناف المواهب لها، واتصال المسار فيها، لا تفرق إلا بمقدار يزيد التالي، على الخالي، وتدرج الآتي، إلى الماضي.

التهنئة بالمهرجان

عرّف الله سيدنا بركة هذا المهرجان، وأسعده فيه وفي كلّ أوانٍ وزمان وأبقاه ما شاء في ظلّ الأمان والأمان. هذا اليوم من محاسن الدهور المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة، فلقى الله سيدنا بوروده، وأجزل حظّه من أقسام سعوده. هذا اليوم من غرره الدهور، ومواسم السرور، مُعظّم في الأصل الفارسي، مستطرف بالملك العربي. فوفّر الله فيه على مولاي السّعادات، وعرفه في سائر أيامه البركات، على الساعات واللحظات.

اقامة رسم الهدية في النيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر بمثل هذا اليوم الجديد، والأوان السعيد، سنة على مثلي فيها أن يُهدي ويُلاطف، وعلى مثل سيدنا ولا مثل له أن يقبل ويُشرف. لليوم رسم إن أحل به الأولياء عدّ هفوة، وإن منع منه الرؤساء حسب جفوة، ومولاي يسوغني الدالة فيما اقترن بالرقعة، ويكسبني بذلك أتم التشرف والرفعة، الهدايا تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل، ومن النظراء مقارضة بالمثل، ومن الأولياء ملاطفة. بالقل، وقد سلكت مع مولاي في إقامة رسم هذا اليوم سبيل أهل طبقتي من الأتباع، مع أهل طبقتي من الأرباب. قد حملت إلى مولاي هدية الملاطف، لا هدية المحتفل، والنفس له والمال منه. العبيد تلاطف ولا تكاثر الموالي في هداياها، والموالي تقبل الميسور منها قبولا محسوبا في عطاياها. أنا في المودة لمولاي كنفسه، وفي الطاعة كئده، وفي الاختصاص به كأحد أهله، وإنما أطفه من فضله، وقد بعثت بما يستخدمه في سفره.

اهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والآداب والعلوم

حضرة مولاي تجل أن يُهدي إليها غير الكتب التي لا يترفع عنها كبير، ولا يمتنع منها خطير. قد أفكرت فيما أتقرب به مقيماً الرسم في جملة الخدم،

حافظاً الاسم في غمار الحشم . فلم أجد إلا الرق الذي سبق ملكه له ،
والمال الذي منحه وخوله ، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا
ولا تكسُد ، وتهبُّ ريحه في جنبه ولا تُركد ، وأنفذت كتاب كذا راجياً أن
أشرف بقبوله ، ويوقَّع إلي بحصوله . لما حظر على ذوي الاختصاص سيدنا
إهداء ما جرت العادة بتسامي الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه ، وجب العدول
في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع ما صدر عنه من الرخصة في ما تسهل كلفته ،
وتجلُّ عند ذوي الاخطار قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهو علمٌ يُقتنى ، وأدبٌ
يجتنى .

آخر كتاب ألتهاني وألتهادي وما ينخرط في سلكهما ، والله الحمد
وبه الحول والقوة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التعازي

وما يليق بها

وصف الخبير الهائل المزعج

خبرٌ عزَّ عليّ مَسْمَعُه، وأثر في القلب مَوْقِعُه. خبرٌ تستك له المَسَامِعُ، وترتجُّ له الأضالع. خبرٌ تسقط منه الحَبَالِي، وتصحو له السُّكَارِي. خبرٌ ما تلتقي شفتاي بذكره، ولا يثبت بالي بخطرِه. خبرٌ يَهْدُ الرواسي، ويفلق الحجر القاسي. خبرٌ كادت له القلوب تطير، والعقول تطيش، والنفوس تطيح. خبرٌ يخفض الناظر ويُقْذِيه، ويقبض الأمل ويقدح فيه. خبرٌ أخرج الصِّدْرَ، وأحلَّ البُكَاءَ وحرَّم الصبر، وأطار واقع السكون، وأثار كامن الوجوم، وثقلت وطأته على أجزاء النفس، وتآدت معرته إلى سوء القلب. خبرٌ يُشيب الوليد، ويذيب الحديد.

الكناية عن موت الرؤساء والأعزة

انقضت أيامه، استأثر الله به. انتقل إلى جوار ربِّه. انقلب إلى كرامة الله وعفوه. خانه عمره. لم تسمع النوائب بالتجافي عن مُهْجَتِه. أجاب داعي ربِّه. نفذ قضاء الله فيه. لحق بالسبيل التي لا احتزار منها، ولا مجاز عنها. قبضه الله إليه. أسعده الله بجواره. دعاه الله فأجاب دُعَاه، ولبى نِداءه. نقله الله إلى دار رضوانه، ومحل غفرانه. ناداه الله فلَبَّاه وفارق دُنْيَاه. قضت عليه

المشيئة، فارتجعت تفي العطية، وخانته الأمنية، واستأثرت به المنية. كتبت له سعادة المحتضر، وأنتهى به الأمر إلى الأجل المنتظر. علةً ترامت به إلى أنقضاء نَحْبِهِ، ولقاء ربه. طرّقه طارق المقدار، وأختار الله له النقلة من دار البوار إلى دار القرار. تداولته العِلَلُ المتطاولة، وآلت به إلى ما كل نفسٍ إليه آيله. أفضى من غضارة هذه الدنيا، إلى قرارة داره بالآخري.

ذكر النعي بالفقد

قد كان من الحق أنه تنقبض الألسن عن هذا النعي لفادح وتخرس، وتقصر الأيدي عن التعزية بهذا الرّزء الفادح وتيبس، يا سوء صباحٍ أتى فيه الخبر فرأينا الرّجاء قد أنقطع، وأصم به الناعي وقد أسمع. نعيٌ ورد فأكمد وفجع. ناعي الفضائل قائم، وأنف المحاسن راغم. نعيٌ من لا أُسميه إكباراً، ولا أكنيه إعظاماً. فحقيقٌ هو بأن تخرس نعاةً فقده، وتحرم رسوم التعازي من بعده.

نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم

أتى الناعي بأنهداد الطود المنيع، وزوال الجبل الرفيع. قد نعتته السماء صائحة، والأرض نائحة. كتبت والأرض راجفة، والشمس كاسفة، للرّزء العظيم، والمصاب الجسيم، في فلّك المُلْك، ورُكن المجد، وقريع الشرق والغرب. ماعسى أن يقال في الفلّك الأعلى إذا أنهار من جوانبه، وتهافت من مناكبه. أتى الناعي، ونُذبت المساعي، وقامت بواكي المجد، وكُسفت شمس الفضل، وعاد النهار أسود، وألعيش أنكد. غرب بموته نجم الفضل، وكسدت سوق الأدب، وقامت نواذب السّماحة، ووقف فلّك الكرم، ولطّمت عليه المحاسن خُدودها، وشقّت عليه المناقب جيوبها. قد كانت الرّزية بحيث مارت السّماء مورا، وسارت الجبال سيرا، حتى شوهدت الكواكب

ظُهِرَا، ثُمَّ تَهَافَتَتَا شَفَعَا وَوَتَّرَا. قَبِضَهُ اللهُ فَارْتَاعَتِ الْأُمَّةُ، وَأَنْبَسَطَتِ الظُّلْمَةُ، وَوَقَفَتِ الرَّحْمَةُ وَأَضْطَرَبَتِ المَلَّةُ، وَقَامَتِ نَوَادِبُ المَجْدِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مِنَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَعْدٍ. إِنَّ المُصَابَ بِهِ فَتَّ الْأَعْضَادَ، وَفَتَّتِ الْأَكْبَادَ. إِنَّ المَجْدَ بَعْدَهُ لِحَارِي الدَّمْعِ، وَإِنَّ الْفَضْلَ لِمَزْعَجِ النَّفْسِ، وَإِنَّ الْكِرْمَ لِحَرِجِ الصَّدْرِ، وَإِنَّ المَلِكَ لَوَاهِي الظَّهِرِ. كِتَابِي وَأَنَا مِنَ الْحَيَاةِ مُتَذَمِّمٌ، وَبِالْعَيْشِ مُتَبَرِّمٌ. بَعْدَ مَا هَوَى السُّطُودَ الشَّامِخَ، وَزَالَ الجِبَلَ البَاذِخَ، وَنَطَقَتِ نَوَادِبُ المَجْدِ، وَأُقِيمَتِ مَاتَمُ الْفَضْلِ. نَعِي فَلَانٌ فَتَنَكَرَ وَجْهَ الدَّهْرِ، وَقُبِضَتِ مُهْجَةُ الْعِزِّ وَالْفَخْرِ. فَلَا قَلْبَ إِلَّا قَدْ تَبَيَّنَ صَدْعُهُ، وَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ تَرشِحُ بِالدَّمِّ.

مَا يَخْتَصُّ مِنْ ذَلِكَ بِأَبْنَاءِ النُّبُوَّةِ

قَدْ نَعِي سَلِيلٌ مِنْ سُلَالَةِ النُّبُوَّةِ، وَفَرَعٌ مِنْ شَجَرَةِ الرِّسَالَةِ، وَعُضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الرُّسُولِ، وَجِزءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الوَصِيِّ وَالبَتُولِ، كَتَبْتُ وَلِيْتَنِي مَا كَتَبْتُ فَإِنِّي نَاعِي الْفَضْلَ مِنْ أَقْطَارِهِ، وَدَاعِي المَجْدَ إِلَى شِقِّ ثَوْبِهِ وَصَدَارِهِ، وَمَخْبِرٌ بِأَنَّ شَمْسَ الشَّرْفِ كَاسَفَةٌ، وَأَرْضَ الْكِرْمِ رَاجِفَةٌ، وَالْمَآثِرَ مَوْدَعَةٌ، وَبَقَايَا النُّبُوَّةِ مُرْتَفَعَةٌ، وَأَمَالَ الْإِمَامَةَ مُنْقَطَعَةٌ، وَالْدِّينَ مُنْخَزَلَ وَاجِمٌ، وَلِلتَّقْوَى دِمْعَانٌ هَامٌ وَسَاجِمٌ. كِتَابِي وَقَدْ شَلَّتْ يَمِينُ الدَّهْرِ، وَفُقِّتْ عَيْنُ المَجْدِ، وَقُصِرَ بَاعُ الْفَضْلِ، وَكَسَفَتْ شَمْسُ المَسَاعِي، وَخَسَفَتْ قَمَرُ المَعَالِي، وَتَجَدَّدَ فِي بَيْتِ الرِّسَالَةِ رُزْءُ جَدِّ المَصَائِبِ، وَأَسْتَعَادَ النُّوَابِثُ، كُلُّ هَذَا لِفَقْدِ مِنْ حَطَّ الْكِرْمُ بِرَبْعِهِ ثُمَّ أُدْرِجُ فِي بُرْدِهِ، وَأَمْتَرُجُ المَجْدَ فُدْفُنَ بِدَفْنِهِ. إِنَّهَا المَصِيبَةُ عَمَّتْ بَيْتَ الرِّسَالَةِ، وَغَضَّتْ طَرْفَ الْإِمَامَةِ، وَتَحْيَيْتْ جَانِبَ الوَحْيِ المَنْزَلِ، وَأَذْكَرْتُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ المَرْسَلِ. كَتَبْتُ تَنَعِي مُهْجَتَا وَالمَجْدَ يَنْدُبُ بِهَجْتِهِ، وَمَهَابِطِ الوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ تَحْنِي ظُهُورَهَا أَسْفَاءً، وَمَعَادُنُ الوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ تَذْرِي دُمُوعَهَا لَهْفَاءً، وَذَلِكَ لِأَنَّ حَادِثَ قَضَاءِ اللهِ آسَتْأَثِرُ بِفَرْعِ النُّبُوَّةِ، وَعُنْصُرُ الدِّينِ وَالمُرُوءَةِ.

ذكر البكاء

كُتِبَتْ وَالْأَحْشَاءُ مَحْتَرِقَةً، وَالْأَجْفَانُ بِمَائِهَا غَرَقَةً. الدَّمْعُ وَاكْفٌ، وَالْحُزْنُ عَاكِفٌ. مُصَابٌ أَطْلَقَ أُسْرَابَ الدُّمُوعِ وَفَرَقَهَا، وَأَقْلَقَ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَأَحْرَقَهَا. مُصَابٌ فَضَّ عُقُودَ الدُّمُوعِ، وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضُّلُوعِ. مُصَابٌ أَذَابَ الدُّمُوعَ الْجَامِدَةَ، وَأَلْهَبَ الْهَمُومَ الْخَامِدَةَ. تَحَلَّبَتْ سَحَابَاتُ الدُّمُوعِ الْغِزَارَ، وَأَنْسَدَتْ مَسَالِكَ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ. كُنِبْتُ عَنْ عَيْنٍ تَدْمَعُ، وَقَلْبٍ يَجْزَعُ. وَنَفْسٍ تَهْلَعُ. قَدْ أَذَلَّتْ حِصُونَ الْبَرَّةِ، وَحَجَبَتْ وَافِدَ الْحَبْرَةِ. قَدْ مَدَّ الْهَمُّ إِلَى جِسْمِي يَدَ السُّقْمِ، وَجَرَّ الدَّمْعُ عَلَى خَدَيَّ ذِيُولَ الدَّمِّ. لَوْلَا أَنَّ الْعَيْنَ بِالْدَّمْعِ وَالْدَّمَّ أَنْطَقَ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَقَلَمٍ، لَأَخْبَرْتَ عَنْ بَعْضِ مَا أَوْهَنَ ظَهْرِي، وَأَوْهَى أَرْزِي.

ذكر الاستراحة بالبكاء والجزع

إِنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تَحَارِبْ بِجَيْشٍ مِنَ الْبِكَاءِ، وَلَمْ يُخَفَّفْ مِنْ أَثْقَالِهَا بِالنَّشِيجِ وَالْإِسْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَأْوُهَا، وَزَادَتْ أَعْيَاؤُهَا، وَعَزَّ وَأَعْوَزَ دَوَاؤُهَا. قَدْ شَفِيتُ غَلِيلِي بِمَا أَسْتَدْرِرْتَهُ مِنْ أُسْرَابِ الدُّمُوعِ الْمَتَحِيرَةِ، وَخَفَّفْتُ عَنِّي بَعْضَ الْبُرْجَاءِ بِمَا أَمْتَرِيْتَهُ مِنْ أَخْلَافِهَا الْمُتَحَدِّرَةِ. إِنَّ فِي إِسْبَالِ الْعَبْرَةِ، وَإِطْلَاقِ الزَّفْرَةِ، وَالْإِجْهَاشِ بِالْبِكَاءِ وَالنَّشِيجِ، وَإِعْلَانِ الصِّيَاحِ وَالضَّجِيجِ تَنْفِيساً مِنْ بُرْحَاءِ الْقُلُوبِ، وَتَخْفِيفاً مِنْ أَثْقَالِ الْكُرُوبِ.

وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها

أَتَى الدَّهْرُ بِمَا هَدَّ الْأَصْلَابَ، وَأَطَارَ الْأَلْبَابَ مِنْ النَّازِلَةِ الْهَائِلَةِ، وَالْفَجِيعَةِ الْفَظِيْعَةِ. يَا لَهَا مِنْ حَادِثَةٍ كَارِثَةٍ حَسَّنَتْ لِي الْغُلُوفَ فِي الْإِعْتِمَامِ، وَأَذَكَّرْتَنِي بِفَقْدِ الْأَعْزَةِ وَالْأَعْمَامِ. رُزُّهُ أَضْعَفَ الْعِزَائِمَ الْقَوِيَّةَ، وَأَبْكَى الْعَيُونَ الْبِكِيَّةَ، مُصِيبَةً زَلْزَلَتْ الْأَرْضَ، وَهَدَمَتْ الْكُرْمَ الْمَحْضَ. مُصِيبَةٌ سَلَبَتْ الْأَجْفَانَ كِرَاهَا، وَالْأَبْدَانَ قُورَاهَا. فَجِيعَةٌ لَا يُدَاوِي كَلِمَهَا آسٌ، وَلَا يَسُدُّ ثَلْمَهَا تَنَاسٌ. مُصِيبَةٌ

ألمت فألمت، وثملت فكلمت، وتركت النفوس مؤلّهة، والعقول مدلهه. رزء هضّ وهاض، وأطال آلانخزال والانخفاض، ولم يرض بأن فضّ الأعضاء حتى أفاض الدماء. رزء ملاً الصّدر آرتياعاً، وقسم الألباب شعاعاً، وترك العقول مجروحة، والدموع مسفوحة، والقوى مهذودة، وطرق العزاء مسدودة، ورزء نكاً القلوب وجرحها، وأحر الأكبأ وأقرحها. مُصيبة أقرحت الأكبأ، وأوهنت الأعضاء، وسودت وجوه المكارم والمعالي، وأعادت الأيام في صور اللّياالي.

ذكر الانخزال وكسوف البال والجزع والتوجع والاكئاب لحادث المصاب

كتبت عن أجفانٍ شَرِقةٍ بالدموع، ونيرانٍ مُتقدّةٍ بين الأحشاء والضلوع، وبنانٍ تودُّ لو بانّت قبل أن تخطّ بذكر نازل الخطة، ونفسٍ أشاطت بها بلابلُ الهموم المُشتتّة. كتبتُ والنفسُ في شدة الانخزال والكمء، وفقد الاصطبار والجلد، على ما لا يستطاع ذكره، فكيف يتحمل ثقله. ما لي يدٌ تخطُّ إلا بكلفة، ولا نفس تتردد إلا على غصة، ولا عينٌ تنظر إلا من وراء قذى، ولا صدرٌ ينطوي إلا على أذى. الدموع واكفة، والقلوب واجفة، والهم وارد، والأنس شارد، والناسُ ماتمهم عليه واحد، اين مني كندة تأسف على حجر، أم الخنساء تبكي على صخر. كم عُبرة وزفرة، وأنة وحسرة، وكم تملُّم وأضطراب، وكم اشتعال وآلتهاب. مُصيبةٌ أصبحت لها وقيد غمة، وأخيد كربة، ما أم سبعة ركبوا الجياد، وشهروا السيوف الحداد نُعوا إليها قتيلا بعد قتيل، وعرضوا عليها صريعاً بعد صريع، بأشد مني انخزالاً وأضعف بالاً، وأصدق تَقَلُّلاً، وأكثر تملُّماً. ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري في إصار بُكائي، فالقلب دَهِشٌ، وآلبنان مُرتعشٌ، وأنا من البقاء مُستوحش. كتبت عن قَلْبٍ يَزِيدُ ولا يَفْتُرُ، وجَزَعٍ يتضاعف ولا يضعف. انتهى بن الهلع إلى حيث لا التآسي مُصحب، ولا آلتناسي مُصاحب. انزعاجٌ يحلُّ عُقود

الحزم، وأكتتاب ينقض شروط العزم. قد بلغ الحزن مني مبلغاً لم أبتذله
للنوائب وإن جلت وقعاً، وبلغ مني منالاً لم يؤمله طروق المصائب وإن
عظمت فجعاً. كتبت عن اضطراب نفس، واضطراب صدر، والتهاب قلب،
وانتهاب صبر.

التأين والندبة

ما أعظمه مفقوداً، وأكرمه ملحوداً. إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه
مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع المحاسن والمعالي، وأثنى عليه بثناء المآثر
والمساعي. ليت يمين الدهر شلت قبل أن فتكت بمهجة الفضل، وعين
الزمان كفت قبل أن رأت مصرع الفخر. لقد رزئنا من فلان عالماً في
شخص، وأمة في نفس. مضى والمحاسن تبكيه، والمناقب تعزى فيه، لَمَّا
قرت به العيون، أسخنت فيه المنون، ولما أنشرحت به الصدور، قبضها
لفقده المقذور. على المحاسن من بعده العفاء، ولا أنبت الأرض ولا جادت
السماء. قد ركب الأعناق، بعد العتاق، وعلا الأجياد، بعد الجياد، وفاح
فتيت المسك من سآثره، كما كان يفوح من مجامره. كان منزله مألّف
الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الركب، ومقصد الوفد. فاستبدل بالأنس
وحشة، وبالنضارة عبرة، وبالأضياء ظلمة، واعتاض من تراحم المواكب تلادم
المآثم، ومن ضجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعويل. هذي المكارم
تبكي شجوها لفقده، وتلبس جدادها من بعده، وهذه المحاسن قد قامت
نوادبها مع نوادبه، وأقترنت مصائبها بمصائبه. ما أقبح العيش من بعده، وما
أنكر العمر مع بعده.

في أن الفدية لا تغني

لو قبلت في فلان الفدية لوقيته بنفسي، وأيام عمري. علما بأن العيش

بمثله من إخوان الصفاء يصفو، وبظعنه عن الدنيا يكدر ويجفو. لو أمكن
أفتداؤه بأنفس الذخائر، وأعز الاملاك والممالك لكننا أحقاء بإرخاص كلّ علق
نفس، وبذل كلّ مُلك كريم. لو وُقي منه عزيز قوم لعزته، أو كبير أهل بيت
بولده وأسرته، أو قوي سلطان باستطالته وقدرته، أو زعيم دولة بحشده وعدده
لكان الماضي أولى من فُدي، وأحقّ من وُقي، وكُنّا أقدر الناس على دفع ما
حدث وطرق، وذبّ ما كَرث وأرهق، لكنه الأمر المُسوى فيه بين من عزّ جانبه
وذلك، وكثر ماله وقلّ، حتى تأسى المفضول بالفاضل، والناقص بالكامل.

ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر

هو الدهر فلا تعجب من طوارقه، ولا تنكر هجوم بوائقه، عطاؤه في ضمان
الارتجاع، وجباؤه في قران الانتزاع. الدهر ما عرفت، وعلى ما خبرت، فلا
نكر إذا فجع بالذخائر، ولا غرو إذا استأثر بالأخاير. هو الدهر وعلاجه الصبر
لا تهناً فيه المواهب، حتى تتخللها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب، حتى
تكدرها الشوائب. من عرف الزمان، لم يستشعر منه الأمان، وتصوّر تصرف
الحوادث بين المورث والوارث. الدهر مشحون بطوارق الغير مشوب صفو
أيامه بالكدر، مجروح صابه بالعسل، موصولة حبال الأمل فيه بأسباب
الأجل، يفطم أمام تكامل الرضاع، ويفرق قبل الامتاع بحسن الاجتماع. هي
الأيام ترتجع العارية، وتتلقى بالمنية الآمنية.

ما يقع فيها من ذكر الدنيا ودمها

قد جعل الله الدنيا دار قُلة، ومحل نُقلة. فمن راحل ليومه، ومن مدعو
لغده، وكلُّ مُستوفٍ لأجله، وجارٍ لأمله. ما الدنيا إلا دارُ النقلة، وما المقام
فيها إلا للرحلة. إن المرء حقيقٌ إذا طرقه ما يتحيف صبره، ويتطرف صدره أن
يعود إلى علمه بالدنيا، كيف نُصبت على النقلة، وجُنبت طول المهلة،

وَأَبْتَدَتْ لِلنَّفَادِ، وَشُفِعَ كَوْنَهَا بِالنَّفْسِ، وَإِنْ الثَّأْوِي بِهَا رَاحِلٌ، وَالْأَيَّامُ فِيهَا مَرَّاحِلٌ. مَوْهُوبُ الدُّنْيَا مَسْلُوبٌ، وَإِنْ أُرْجِيءُ إِلَى مَهَلٍ، وَمَمْهُودَهَا مَحْرُوبٌ، وَإِنْ أُخِرَ إِلَى أَجَلٍ. لَوْ خَلَدَ مِنْ سَبْقٍ لَمَا وَسَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ لِحْقٍ، وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الدَّارُ الْأُولَى مَنْزِلَ قُلْعَةٍ، وَمَحَلُّ نُجْعَةٍ، وَمَجَازاً إِلَى أُخْرَى تَزِيدُ، وَلَا تَبِيدُ. خَيْرُهَا عَتِيدٌ، وَعَمْرُهَا تَأْيِيدٌ. نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَيَّ وَفَازٌ، وَمَجَازٌ وَجِدَارٌ وَأَنْتَظَارٌ. الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِمَوَاهِبِهَا، وَلَمْ يَتَضَاعَلْ لِنَوَائِبِهَا، وَلَمْ يَرِ شِيَاكِلَهَا (كَذَا) إِلَّا كَالْخِيَالِ الْمِلْمِ، وَالْفِيءِ الْمُنْتَقِلِ، وَالْعَارِيَةِ الْمُرْتَجِعَةِ، وَالسَّحَائِبِ الْمُنْتَشِعَةِ، مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْغَدَارَةُ الْغَرَارَةُ؟ وَهِيَ تَرْتَجِعُ أَعَزَّ مَا تُعْطِي، وَتَنْتَزِعُ أَحَبَّ مَا تُؤَلِي. قَدْ تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا، وَأَصْغَرَ ذُنُوبَهَا فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ يَمَنَةً هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟

الامر بالصبر والنهي عن الجزع

لو كان في الجزع فضلٌ لَمَا تَقَدَّمت فيه ذوات الحجول والرجال، على الفحول من الرجال. ما تضع والقضاء نازل، والموت حُكْمٌ شامل، وإن لم نُدَّ بعصمة الصبر، فقد أعترضنا على مالك الأمر. اعلم أن الجزع للرب مسخطة، وللأجر محبطة. عليك عزيمة الصبر، وصريمة الجلد، فإنهما في العين حتم، وفي الرأي حزم، وليس في خلافهما للحي انتفاع، ولا للमित ارتجاع. اعلم أن المتوفي لا ترده نارٌ تلهبها من الهم على كبدك، ولا يرجعه أنزعاجٌ تسلطه بالحزن على جسدك، وخيرٌ لك من ذلك أن تفعل ما يفعله الذَّاكرون، وتقول إنا لله وإنا إليه راجعون. أنت تعلم أن شوائب الدهر لا تُدفع إلا بعزائم الصبر. اجعل بين هذه اللوعة الغالبة، والدمعة الساكبة، حاجباً من فضلك، وحاجزاً من عقلك، ومانعاً من يقينك. أنت أعرف بالدهر ومصارفه، والزَّمان ومخاوفه، من أن تدع التماسك وهو مرجع الليب ومثواه،

وتتهالك في الجزع وهو منزع الجهول ومغزاه. إن المِحن إذا لم تُعالج بالصبر، كانت كالمِنح إذا لم تُعالج بالشكر. إذا رأيت أن تأتي في توخي الصبر، واحراز الأجر ما يوجبه الحجا، فإنه أحرى بك وأحجى، صبراً صبراً ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها، كما أن مُتون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها. المرء لا بُدَّ سال، ولو بعد أحوال وأحوال. فما عليك أن تعجل ما يغتنمه البررة، وتقدم ما يؤخره الفجرة؟

ذكر الموت

إن الله قد سوى بين البرية، في ورود حوض المنية، وحملهم فيها على عدل الحكومة والقضية، لنظر كل احدٍ لنفسه، ويعلم أنه مستثمر ما أنبت من غرسه. ما حيلة الإنسان وقد خانته أملة، وجاءه أجله، فبينا هو في رجاء، فسيح الأرجاء، إذا به قد دُعي فأجاب من دون تعريج على استعداد، ولا تنفيس لأخذ زاد. الموت مَشْرَعٌ لا بدَّ مورود، وكلُّ وإن طال المدى مفقود. ما دوام أمرٍ آخره انقطاع، وأتصال عطاءٍ عاقبته أنتزاع؟ معلومٌ أن الموت كلُّ شاربٍ بكاسه، ومُكتسٍ من لباسه، وإنما هو تقدم أيام، وتأخر أعوام. وكلُّ ذي نهاية يصير كأن قد قطعت مراحل، ولحق بعاجله أجله. الموت خطبٌ عظيم حتى هان، ومس خشنٌ حتى لان، فطنٌ أنه مؤخر لتمام، ومُنسأٌ لأيام وأعوام، والمُنون تطلبه حثاً وحضاً، حتى تدركه خبياً وركضاً. هذه سبيل، فيها تعجيل وتأجيل، وإلا فالدهر كله أمس، والنفوس في مُصافحة المنية كنفس، لله ما أغوص الموت على حبات القلوب، وأعرفه بمودات الصدور، وأخلصه إلى مكانم الروح، وأيقظه لأناسي العيون، فإننا لله وإننا إليه راجعون. معلومٌ أن المورد فيه واحد، وسيان فيه ولد ووالد. هذه فرقة محتومة على كلِّ شمل منتظم، ومكتوبة على كلِّ حبلٍ متصلٍ وقديماً نُعييت على الناس غربانها، وطارت في دورهم عقبانها.

في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه

ما الحيلة وقد حلّ القضاء، وفرض العزاء لِقَدَرِ اللَّهِ، ونزل البلاء الجسيم وكتب الرضاء والتسليم. لا تَسَخُّطَ لِقَدَرِ اللَّهِ وهو عدل، ولا تَكْرَهَ لِقضاءِ اللَّهِ وهو فضل. لِيُعْلَمَ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ عَدْلٌ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ الْأَقْدَارُ، ووقعت من كراهة واختيار. القضاء غالب، والزمان مُعْطٍ وسالب، ولا خيار على القدر، ولا إثارة على الغير. والله العدل، وحكمه الفصل، ومن عنده الفضل، قضاء الله ماض، وهو عدل قاض. يُولِي، وَيَبْتَلِي، وَيَسْلُب، وَيُعْطِي، وَيُعِير، ويرتجع، ويُمْتَع، وَيَنْتَزِع. له الخلق، وفعله الحق. أمرُ اللَّهِ لا يُقَابَلُ إِلَّا بِالرَّضَا، وَالصَّبْرَ عَلَى مَا قَضَى وَأَمْضَى.

في حمل قضاء الله على الاصلح لعباده

مولاي أُولَى مَنْ سَلَّمَ، وقد عَلِمَ من عَدَلِ اللَّهِ ما عَلِمَ، وأيقن أنه يحيى ما دامت الحياة أنفع وأروح، ويميت إذا كان الممات أصلح. لولا أن الموت طريق يسلكه البريء والسقيم، ومشرع يردّه البر والآثيم، لَمَا أَنشَرِحَ بِالْعِزَاءِ صَدْرًا، ولا صَحِبَ مع البلاء صبر. غير أنه سُنَّةُ اللَّهِ في عباده وأنبيائه وأوليائه. يبقئهم ما كان البقاء أعمر لمكانهم، ويتوفاهم ما كانت الوفاة أصلح لأديانهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، عِلْمًا بَأَنَّ مَقَادِيرَهُ لا تَجْرِي إِلَّا عَلَى مَوْجِبَاتِ الْحِكْمَةِ، وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة، أو ظاهر النعمة. في بقاء مولانا ما يوجب التسليم لما قضى الله وأمضاه، إذا كان يُدَبِّرُنَا بِأَصْلِحِ ما يختار ويؤثر، وأحكم ما يُقَدِّمُ وما يؤخر عِلْمًا مِنْهُ تَعَالَى بِالْعَوَاقِبِ، وإحاطة بالشاهد والغائب. أحقُّ النَّاسِ عِنْدَ حَدُوثِ النِّوَابِ، وأعتراض الشوائب، بقصد التَّجَلُّدِ، وترك التَّبَلُّدِ، من عَلِمَ أَنَّ أَقْضِيَةَ اللَّهِ جَارِيَةٌ مَعَ الصَّلَاحِ، ماضية على الرِّشَادِ، يبقى ما كان البقاء للعبد أنظر، ويتوفى إذا كان الفناء في الحكم

أوجب. معلوم أن الله يُبقي ما كان البقاء أنجح، ويتوفى إذا كان الفناء أصح، ولذلك قبض الأنبياء والمرسلون، وأنزل على المصطفى إنك ميت وإنهم ميتون.

ذكر الاعمار والأجال

إن أيام العُمر وساعات الدَّهر كمراحل معدودة، إلى وجهةٍ مقصودة. فلا بد مع سلوكها من انقضائها، وبلوغ الغاية عند انتهائها. للنفوس مواعيدٌ تطلبُ آجالها، وللموت تغدو الوالدات سخالها. وما نحن إلا كالركب. فمن ذي منهلٍ قُصدٍ يبلغه دانيا، ومن ذي منزلٍ شحط يُلحِّقه مُتراخيا. مولاي يعلم أن الأعمار مُقدَّرةٌ لآمادها، والآجال مؤخرةٌ لميعادها. فلا استزادة ولا استنقاص، ولا فوات ولا مناص. الآجالُ أمادٌ مضروبة، وأنفاسٌ محسوبة ولذلك استأثر الله بوجوب البقاء، وآثر لخلقه صلة الوجود بالفناء. الآجال بيد الله، فإذا شاء مدَّها بحكمةٍ وافية، وإذا شاء قصَّرها بلطفية خافية.

في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي

نعمةُ الله في فلانٍ عظيمة. قد جبرت الكسر، وأوجبت الصبر، وأقامت الظَّهر، وألزمت الشكر، والحمد لله الذي أولى كما ابتلى، وأعطى بإزاء ما اقتضى. لئن كانت المصيبة بمصرع فلانٍ عظيمة، لقد سدَّها الله من سيدي بأفضل خلف، لأمجد سلف، وأنجب فرع، لأكرم أصل. في بقاء مولاي مسلاةٌ للجازع، وأسؤللفجائع. يا لها من حادثةٍ كارثة، وفجيرةٍ فظيعة. لولا أن الله سدَّ ببقائك ثلَمها، وداوى بالدفاع عن حوائك كلمها. في بقاء مولاي ما يلزم تخطي الأحزان، إلى شكر الله للإحسان. اللهم لا كُفران فقد أبقيت من فلان من ضمنت به شمل الأمم، وجلَّوت وجه الكرم. قد أعان الله على الرزية، بحسن البقية، وسهل سبيل التسلية، بعظم المزية، وجعل الموهوب،

أفضل من المسلوب. في بقاء مولاي ما سدَّ ثلم المرزية، وأغنى عن إطالة التعزية. إذا تحامت النوائب جانب مولاي وتوقَّته وبقَّته، وهبنا ما أنتهكت، لما تركت، وتسلينا عما آحتنكت، بما كفت عنه وأمسكت، والشمسُ تسليك عما حلَّ بالقمر. مامات من خلفك، ولا غاب عن أهله من استخلفك. إن تكُ أيدينا بالأمس أمسكت على القلوب خوف أنصداعها وأنزعاجها، لقد مسحت اليوم على الصدور عند أنشراحها وأنفراجها، ولئن سخنت عيون عند حدوث الحادث، لقد قرَّت عيون عند أنتصاب الوارث. تأملت في أثناء الرزية، جزيل العطية. بقاء مولاي، فرأيت الموهوب، أكبر من المسلوب، والمبقي، أجل من المضي، فعطفت على البلوى بالصبر، وتلقيت النعمى بالشكر. من كان مثلك القائم من بعده، السادُّ ثلثة ففَّده، فهو في حكم الخالد، وإن أصبح فانيا والمقيم في أهله وإن أمسى بالعراء ثاويا. إن الزمان لا بدُّ خائن، والمقدور لا محالة كائن، وإذا وقى الله أكرم النفوس، وحرس أجل محروس. فالرز وإن جلَّ جلال، وما أتى الدهر، وإن كبر هذر. سيدي يعرف أحكام الليالي والأيام، وتصرفها بين الإعطاء والإخترام. فإذا تعدت أكرم الأنفس، وتجاغت عن الأنفس، وجب تجاوز الصبر، إلى الحمد لله والشكر.

فيما يجمع بين التعزية والتهنئة

قد لزنا رفع اليدين إلى الله: واحدة تستنزل الصبر، وأخرى تتحمل الشكر. الحمد لله الذي لَمَّا آرتجع أكرم العواري، بلغ أفضل الأمانى، ولما امتحن بأعظم الأهوال، تطول بأشرف الأبدال. ما آكتأبنا للمنعى إلينا، حتى اغتبطنا بالمستخلف علينا، ولا أجهش باكيا عند الرزية حتى آستهل ضاحكاً للعطية. الفجيجة فظيعة وجيعة. كادت تُذهل العقول، وتحبس الألسنة عن أن تقول، والأقلام عن أن تجول. إلا أن الله لطف فجعل سيدنا وارث الماضي كبراً عن كابر، وحافظاً بعده لغر الآثار والمآثر. فلم يحسر الظل حتى مده،

ولا مكن الثلم حتى سدّه، ولا نقل الإحسان حتى رده، ولا أوهن العقل حتى شدّه. قد كان الرزء أعظم من أن يوصف هدًا للأركان، وإفاضة للأحزان، في كل قُطرٍ ومكان. إلا أن الله بلطفه كَشَفَ الظُّلْمَةَ، وأحيا الأمة، وأنزل الرِّحْمَةَ، وحسم النِّقْمَةَ بعودِ مولانا إلى سرير سلطانه، واستقراره في عالي مكانه. لئن كانت المصيبةُ أصابت سُوداءَ القلب، فقد تدارك الله العالم بما أقرَّ سواد العين. يا لها من رزية ناحت لها السماءُ على الأرض، وأفل معها قمر الملك والمجد، حتى تلافى الله الملك بمولانا فأعاد به الشمل جميعاً، وألعاصي مطيعاً، فقرَّ الأمر قراره، ولزم فلك التدبير مداره.

استظهار المشاركة والمساهمة

أنا أقاسم مولاي الهموم والمسار، وأساهمه المكاره والمحاب. فلا يعرض له ما يشغل فكره إلا أزعج قلبي، كما لا يتفق عنده ما يشرح صدره إلا وفر أنسي. قد شاركت سيدي في المصيبة مشاركة من لا يتميز عنه في منحه ومحنه، وسروره وحزنه. كتابي وأنا لا أعلم أعزبك أم نفسي، فليس المصاب عندك بأعظم منه عندي. أنا وإن كنتُ أقاسمك المسار، وأساهمك المضار، فإنني لا أحاسب الأيام إذا تخطتكَ، ولا أناقش سهامها إذا أخطأتك. لئن فقدت من فلان أباً وعمًّا. لقد أوفيتُ عليك أسفاً، وعليه هما. أنا أقاسمك مصارف الأحوال ومجاريها، وعوائد الأيام وعواديها، فأخذ مما شرح صدرك بحظ المبتهج، ومما شغل قلبك بقسط المنزعج. قد تحملت لمشاركتك أثقالاً من الوحشة تنقص الصبر، وتنقض الظهر، وما أعزبك إلا والعزاء لي معجز، ولا أسليك إلا وأسلو عندي معوز، لاشتراكنا في الافراح والأحزان، وتعادل أقساطنا من الزيادة والنقصان.

عظات التعزية

لا مُصيبة مع الإيمان، ولا مُعزي مع القرآن، وكفى بكتاب الله معزياً،

وبعموم الموت مُسلياً. إِنَّ الَّذِي يُخَفِّفُ ثِقْلَ النَّوَائِبِ، وَيُحَدِّثُ السُّلُوَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، تَذَكَّرُ حُكْمَ اللَّهِ فِي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ. لِيَذَكَّرَ مَوْلَايَ فَقَدَ الرَّسُولِ وَالْوَصِيِّ وَالْبِتُولِ وَالْحَسَنَيْنِ مِنْ مَسْمُومٍ وَمَقْتُولٍ، ثُمَّ لِيُحَصِّنَ الْأَجْرَ الْمَسُوقَ إِلَيْهِ وَلِيَحْصِلَهُ، وَلِيُنْصِبَ أَدَبَ اللَّهِ إِزَاءَ قَلْبِهِ وَلِيَمَثِّلَهُ. الْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا لَا يُؤْمَلُ، وَالْفَنَاءُ لَا يُؤْمَنُ، وَلَا سَخَطُ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَا وَحْشَةٌ مَعَ خِلَافَتِهِ، وَالْأُنْسُ بِطَاعَتِهِ، فَأَدِّمَا أَسْتَرِدَّ صَابِرًا، وَأَسْمَحْ بِمَا اسْتَرْجِعُ مُسْلِمًا. أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ شُرُوطِ الزَّمَانِ وَعَادَاتِهِ، وَتَخْبِرُ مِنْ شَأُونِهِ وَتَارَاتِهِ وَتَمْلِكُ مَعَهُ حَلْمَكَ، وَتَرَاوِجُ لَهُ حَزْمَكَ، مَتَى أَتَى اللَّيَالِي بِمَا تَعَاقَبَتِ الْقُرُونُ عَلَى مِثْلِهِ، وَأَعَيْتِ الْحِيلَ دُونَ دَفْعِهِ. حَمْدًا لِلَّهِ بِتَفْضُلِ فِيهِ، وَيَسْتَرِدُّ فَيَأْجُرُ، وَيُبْقَى الثَّوَابُ، وَيُفْنَى الْحَزَنُ. كُلُّ مُصِيبَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَصَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ، ضَمِيلَةٌ بَيْنَ نَعَمِ اللَّهِ قَبْلِهَا وَبَعْدَهَا.

الادعية للمتوفي

غفر الله ذنبه، وخفف حسابه، وجعل رحمته حسبه تغمده الله بغفرانه، ومهد له في أعلى جنانه. تغمده الله من عفوه بما يفوت آمال المؤمنين، ويوجب له مرافقة الأنبياء والمرسلين. جعل الله فرطاته مغفورة وحسناته مشكورة. قدس الله ثراه، وأكرم مأواه. أكرم الله مرجعه، ورحم مصرعه، وبرد مضجعه. رحمه الله رحمته للأبرار، وحط عنه ثقل الآوزار. نور الله برهانه، وألبسه رضوانه، وفسح له جنانه. غفر الله له مغفرة تحف بالروح والسلام، وتفسح له في دار المقام. جعل الله ما نقله إليه، خيراً مما نقله عنه. قدس الله ضريحه، وبرد صفيحه، وأفاض الرحمة السابغة عليه، ولقنه الحجة البالغة بين يديه. سقى الله ضريحه ولقي (كذا).

ما يختص منها بالملوك

والله يُبَوِّئُهُ مِنْ جَنَّاتٍ عِدْنَةٍ، وَمَقَارٍّ أَمْنَةٍ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ رَفَعَ إِلَيْهِ عَبْدًا مُخْلِصًا

هداه، ومؤمناً آجتباه، وولياً مكن له في أرضه، فقام فيها بفرضه، وأصلحها بعدله، وغمر أهلها بفضله. نسال الله أن يرحمه أتم رحمة وأوسعها، ويلقيه أفضل مغفرة وأفسحها، ويبوئه جنات النعيم التي أعدّها لأمثاله داراً، ولأشكاله قراراً، ممن أحسن السيرة في عباده وبلاده، وأنتهى إلى رضاه بوسعها وأجتهاده.

ما يختص منها بالاشراف

اللهم صلّ على شجرة هذا الغصن من كرائم أغصانها، وخصائص أفنانها، صلاة ترفع الذخر، وتعلي القدر، وتمهد في جنة المأوى، والدراجات العلى. قدس الله تلك التربة الزكية، والأرض المرضية. إذ أودعت نفس الشرف والأشرف، وسير هاشم بن عبد مناف، وكيف أستسقي لها الغمام، وبحر المكارم في بطنها، وغيث الأمحال في ضمنها، وثم القبر الذي لو كُتِم لَنَم عليه عرف الكرم، ورياً حسن الشيم. نقله الله إلى خِطّة الغفران، وعرصة الرضوان، حيث الرسول، والوصيُّ والبتول، والحسانان، وسائر شجر الجنان. صلواتُ الله عليهم ما طلع الفرقدان، وتعاقب الملوان. أقر الله عينه في عرصة الموقف المحذور، وأصبح المشهود المشهور بقاء جده، وخيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، وأداء حقه، ووفاه من حظوظ شفاعته، ما يزيد في علو الدرجات وسبوغ الكرامات، وشرف الوقوف على الحوض المورود، وعزّ النشور في اليوم الموعود. رضي الله عن شقيق الكرم والمجد وعقيد الشرف المحض، وسلالة الرسالة، وسليل الإمامة، وقدس رُوحه وقد قدس، وألبسه ثوب الغفران وقد ألبس.

في الدعاء للمعزي بالصبر والاجر

ربط الله على قلبك بالتماسك الذي يؤمن من التهاك في القلق، والتمالك الذي يدفع عوادي الحرق. أفرغ الله على سيدي تجلداً يضاهي اجتماع رأيه

ولبّه، وتصبراً يحفظ عليه ذخائر حلمه، حتى يمنحه في الثواب ما لم يحتسبه كما امتحنه من المصاب ما لم يرتقبه. ورث الله مولاي عمره، وأحضر سلوانه وصبره، وشرح بالتسليم صدره. أعظم الله لسيدّي من الذخر، وجزيل المثوبة والأجر، وبعدهد محاسن من فُقد، ومحامد من عُدم. وفقك الله لما يحصن الأجر، ولا يُحبطه، ويوفّر الثواب، ولا يُسقطه. ثقل الله به ميزانك، كما ضاعف بفوته أحزانك. أحسن الله لك العزاء وأجمله، ولقّك من الصبر أكمله. جبر الله مصابك، وعظم ثوابك. آتاك الله صبراً يأسو كلوم المصاب، ويحلّ عقود الإكتئاب. كتب الله لك من جسيم الثواب، ما يصغر عنده عظيم المصاب. كتب الله لك من الأجر أفضل ما كتبه لمن سلّم له أمره وحكمه، ولم يتسخط قدره وحتّمه.

سائر الادعية للمعزى

أطال الله مدتك، وجعل الشكر في التعمي مادتك، والصبر على البلوى عدتك. حرس الله مهجتك، وحرّم على الحوادث أعزتك. وجعل ما عرض خاتمة الرزايا قبلك، وبلغك في دينك ودنياك أملك. ورث الله مولاي عمر من قدمه، وغفر لمن اختار له جواره فاستقدمه، جعل الله الأعمار صلة لعمره، وفقاً عنه عيون الصروف من دهره. وقاك الله في أعزتك ونفسك، وجعل مسرة غدك ماحية مساءة أمسك. لا أصبت إلا بمن الخيرة لك في البقاء بعده، وله في التقدّم قبلك. مدّ الله في مدّتك، وغضّ لواحظ الأيام عن عقوتك. لا نقص الله لك عدداً، ولا أثكلك ولداً، ولا أشمت بك أحداً.

ما يختص منها بالملوك

أبقى الله مولانا وارثاً للأعمار، مصرفاً للأقدار. وجعل ما عرض خاتمة ما

يوزع له فكرا، أو يُخرج له صدرا، وقدّم العالم عنه، فدية له. رغبتُ إلى الله في إطالة بقاءه، كاشفاً بدوام مُدته الغم، وساداً بنضارة دولته الثلم، والله يُطيل بقاءه وارثاً للأعمار، مفسوحاً له في الامهال والإنظار. مُحصن الدولة عن النوائب اللاحقة، مَحْمِيَّ العرصة عن المصائب الطارقة. أطال الله بقاءه، وارثاً للأجال، حائزاً للأمني والآمال، ينسخ مُدّة الملوين، ويُخلق جِدَّةَ الجديدين، وعمّره عمر النَّسرين، وأبقاه بقاء العصرين. عمّره الله محوط النفس والساحة، مُبشراً للخيرات المُتاحة. مُصْرِفاً عِنان الملوين، مقلباً زمام الزمان بكلتا أيدينا.

ما يختص منها بالاشراف

أحسن الله عزاء مولاي عن الشريف، وورثه عمره، كما ورثه فخره، وذخر الله له الأجر عليه، كما أعلى ذكره بالانتساب إليه، والله يجبر مصابه كما أكرم نصابه، ويقيه المحاذر، كما ورثه المفاخر، ويبارك له في إحسانه الجسيم، وفضله العميم، كما بارك على إبراهيم، وآل إبراهيم صلى الله عليه وعلى محمد وآله أجمعين.

مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية

أحقُّ الناس بالتسلي عند طروق المصائب، وأولاهم بالتسليم مع هجوم النوائب، من آتاه الله من العلم ذخيرة، وجعل على نفسه بصيرة، وهذه حال الشيخ في فقد فلان. ورثه الله عمره، وأبقاه ما شاء بعده. إذا كان الشيخ هو القدوة في العلم وما يقتضيه، والأسوة في الدين وما يجب فيه، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه، ويؤخذ في تارات الأسى والاسى بمذهبه، فكيف لنا بتعزيته، عند حادث رزيته، إلا إذا رويناه له، بعض ما أخذناه عنه، وأعدنا إليه طائفة مما استفدنا منه. قد عَلِمَ الشيخ أن من خُلق للعرض

العظيم، وعُرض للشوَاب الجسيم. وطَن نفسه عَلى تحمل الحوادث، ومرَّ ن قلبه عَلى تجرُّع النوائب، وكان تأسُّفه عَلى ما يفقدُ من رياحين دُنياه قليلاً، وتصبُّره لما يُنقل من موازين أجره جميلاً.

ذكر موتهم وتأبينهم

قد فَقدت عينُ الفضل منه قُرَّة، وجبهة العلم منه غُرَّة. للفجائع، اختلاف مواقع، وللمصائب، تباين مراتب، ومن أشدّها لُدعا، وأعظمها وقعا. فجيعةٌ أخرجت صُدور قوم مؤمنين، ومصيبةٌ خصت العلم والدين كفقد فلان، فقد كان للإسلام جمالاً مُمتدداً، وللدين رُكناً مُشتداً، وللعلم شهاباً لا يخبو، وللأدب سهماً لا ينبو. تمثّلت كيف يضام العُلى وتُقام مآتم الحجى، وتبكي أعينُ الدين والتقوى. قد فجعنا بشيخ الفضل، وشهاب العلم، والناضح عن آلدين ناظراً لعُقباه، والصادع بالحق رافضاً لرُقباه. قد أخل ليثُ العلم بغيله، ومضى شيخ آلدين لسبيله. فاضت عليه عيونُ المحاريب في جنح الظلام، وبكته عُيون المحاسن في وضح النهار. رَجِم الله فلاناً وهل خُلقت الرّحمة إلا لأمثاله آلدين خافوا الله، فخافهم آلناس من دون ملكٍ قاهر، ولا سلطانٍ غالب، ولكنها هيبةُ العلماء، في نفوس آلدهماء. اللهم محص عنه سيئاته. فطال ما أنتصب في آذنب عن دينك، وآناس في اشتغالٍ بمعاشهم، عن معادهم، وبعقدهم، عن اعتقادهم.

ذكر موت الادباء والكتاب

نجمٌ من نجوم العلم هوى، وغصنٌ من أغصان الأدب ذوى. قد عادت لفراقه الآداب سُعثاً، ووجوه الفضل غُبرا. شابت بعده لِمَمُ الأقلام، وجفّت غُرر الكلام. قامت نوادبُ الأدب، وتعطّلت حوالي الكتب. قد نضب ماء

أفضل، وركدت ریح العقل، وصدىء رونق التبيين والبيان، وأنثلم حدّ القلم
واللسان.

ذكر موت الاولاد الصغار والكبار

بلغني خبرٌ مُصابك بالريحانة التي اختار الله لك المثوبة عنها، على الممتعة
بها. لَمَّا قوي فيه الأمل، عاجله الأجل، فكسفته أيدي الأيام، هلالاً آتسراً
قبل التمام. أطلت التلهف على ظلٍ عاجلته الأيام أن يكون فناً زائلاً،
وأكثرت التأسف على هلالٍ فاجأته الليالي أن يصير بدرًا كاملاً. يا لهفي على
غصنٍ هُصِرَ قبل أن يورق، وكوكبٍ أفل قبل أن يُشرق. هلال آتسر قبل
التمام، وثمره آجتنتها يدُ الحمام. فجعله الله أجراً مذخوراً، وثواباً موفوراً.
كيف يستقرُّ على الأرض وفلذته في بطنها، ويراجع الأيام ومهجته في كفها.
يا أسفي على غصنٍ مهصورٍ بالموت، معصورٍ في الترب. قد كنت فيه قوي
الأمل، لو لم تطاولني يدُ الأجل، ومستحكِمَ الرجاء، لو لم تغالبني يمينُ
القضاء. تصورت حالك وقد أخذت من قبلك ثمرته، ومن نفسك زهرتها،
ومن ناظرِك قوته، ومن كبدِك فلذتها. عارية سرك الله بمدتها، وأثابك عند
ارتجاعها. فأبشر بعاجلٍ من صنعه وإخلافه، وأجل من مثوبته وجزائه. لئن
حُرِمَ الأجر ببك، لقد كُفِيَ الإثم بعقوقك، ولئن فجعت بفقده، لقد أمنت
الفتنة به. الرُزء ما كان أوجع، كان الأجر عليه أوسع، وأنت وإن آحتجت إلى
الأولاد، فحاجتك العظمى إلى حُسن المعاد. أسأل الله أن يجعل لوعة
مُفارقته، أنفع لك من فتنة مُقاربتة، وحسرة الرزية فيه، أجدى عليك من حبرة
الإمتاع به.

ما يختص من ذلك بأولاد الملوك

كتبتُ والأحزان مُستولية على الخلق والزمان، والأرواح متبرمة بالأجسام

والأبدان. مُنذُ أفل النَّجم الزاهر في أفق المِلك وذوي الغصن الناظر من
دوحة المجد، خوى نجمٌ طلع في أفق المِلك. وهوى بيد القضاء، عند
انتهاء العمر، فاستوحش ربع مولانا بفقده، وذوى عود النجاة من بعده. على
حين قويت فيه الظنون، وقرت به العيون. عرفت نادرة الزمان، في قرة عين
الدَّهر، وثمره فؤاد الملك، وقد خانت فيه يد الدَّهر، وأختطفته من جمى
الملك، وإنما نقله الله إلى جوار كرامته مَثوبةً بمولانا مُقدِّمةً، وأعدَّ له معوضةً
مُسومةً، وجعله فرطاً صالحاً، ومتجرأً رابحاً. قد خبا ذلك الشهاب المضيء،
وخوى ذلك الكوكب الدريء، فأغربت وجوه النجاة، وأستوحشت معاهد
الإمارة.

ذكر احتضار الشبان

يا أسفي على فلان، وقد آحتضر شبابه، ولم تُغن عنه طراوته في العيون،
وحلاوته في القلوب. قد آحتضر فلان أنصر ما كان غصنا، وأكمل ما كان
حسنا، ما أتذكر إقبال شبابه مع اكتهال فضله، وجِدَّة أيامه مع وفور عقله، إلا
رأيت التعزي مُستقبحا، والتسلي مُستهجنا. يا لهفي على شباب مُقتبلٍ
آحتضر، وفضلٍ مكتهلٍ فُقد، وجانبٍ من المجد آحتل وأنتشر، ونجمٍ من
فلك الفخر هوى وغرب. قد آخترم عنفوان شبابه آختراما، نبهنا من سنة
الآغترار وهدانا لوجه الآعتبار. انتقل إلى جوار ربه نقيَّ الصحيفة من سواد
الدُّنوب، بريَّ الساحة من درن العيوب. لم تُطل في الدنيا مُدته، ولا آسودت
في جرائدها صحيفته، ولا علقته به أجرامها، ولا جذبته أشطانها، لكنه
وردها نجيباً رشيداً، وأنصرف عنها مهدياً سعيداً. قد صانه الآحتضار، عن
مُلابسة الأوزار، وحاطه الآخترام، عن مُقارفة الآثام. لو كان هذا الجِمام يبدأ
بإدارة كأسه في الأسلاف، ويتجافى عن الآخلاف، لآخفت أعبأه، بل طاب
لقاؤه، ولكنه يذنو فينا ويَبعد، ويهتصر منا ويحتطب.

في التعزية عن الاب

قد أصبت من أبيك بمن لا لوم إذا بكيت عليه ملء الشؤون، ووجعت له مدى الظنون (كذا). فالأب سماء مظلة، وأرض مقلّة، وأصل أنت فرعه، وشجر أنت غصنه، ولكن أدب الله أحرى بالاستعمال، من بواعث الرقة والانخزال. لو خير أبوك لاختار ما اختار له تقدماً بين يديك، وتعويضاً للبقاء إليك. إذ كنت مع عقلك وبصيرتك أبا، ولأهلك وعشيرتك نسبا. سدّ الله بك مكانه، وورثك عمره وفضله، وعوضك الأجر عنه، وأيدك بالعصمة بعده. بقي أن نجعل هذه النوائب عبراً تبصرنا العواقب، ونقول ما حال شجر أوهنت أصوله، ثم أخذت غصونه، وننظر في أصل البقاء، بعد فناء الآباء والأبناء، فنأتي ما فيه حصول النجاة، تخليصاً لهذه الأنفس من التبعات.

في التعازي عن الحرم

نبّهت بموعظة، ورزقت ثواباً، وسترت عورة، وكفيت مؤونة. فعظم الله أجرك فيمن أمضى، وأخلف عليك الإمتاع بما أبقى. لا ستر أستر من أرض، ولا ختن أكرم من جنن. بهذا أتى الشرع، وعليه أجمع العقل والسمع. ستر العورات، من الحسنات، ودفن البنات، من المكرمات، وتقديم الحرم، من النعم، وقد قاسمتك الفجائع، فأعطتك أوفر الحظين، وساهمتك النوائب فوفتكم أجزل القسطين، ورضي الحمام بأن يتخطى نجباء ولدك، وإن أنتقص الإناث من عددك، فالشكر أوجب عليك، من الصبر أن تدعى إليه. إن كان الله قد سلب لمولاي ريحانة وروضة، فقد وعده في كتابه بشاراً وصلاةً ورحمةً وهداية. قد كفيت مؤونة، وصنعت حرمة، وسترت عورة، وقدمت إلى الجنة بضعة، وبعثت على مقدمتك إلى الآخرة شفيحاً ووسيلة، ورجعت إلى شبابك مرحلة. فليس بشيخ من لا بنت له، ولو كان ابن مائة سنة، وليس

بشآب من وراءه بنت ولو كان آبن يوم وليلة. طوبى لمن صاهره ألقبر وخطب
إليه ألدهر.

آخر كتاب ألتعازي وما يليق بها، والله الحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الإخوانيات

وما يأخذ ماخذها

ذكر المودة

مودةٌ سكنت سواءَ الصُّدر، وحلت سوادَ القلب. مودةٌ تلوح عليها غُررُ
الخلوص، وتبدو فيها آثارُ الخصوص. مودةٌ طالت بها المدة، وأستحكم
غرسُها، وتمهد في القلب أسُها. صحيفةٌ ودُّ يملئها عليّ المَلوان، وأنطق فيها
بلسان الزَّمان. مودةٌ لا يضطرب حبلها، ولا ينحسر ظلُّها. ودُّ سليم الصَّفحة،
ألمس الجلدة، مشرقُ السُّحنة، واضح الجبهة. مودةٌ أدين بها عن خالصة
النفس، وأودعها واسطة القلب، وأجمع عليها نواحي الصدر، وأحرسها عن
لواحق الدهر. قد آخذنا المودةَ بيننا ديناً وخليفة، ورأيناها بين الناس مجازاً،
فأعدناها حقيقة. صدرُ الودِّ سليم، وطريقُ العهد مُستقيم. ودُّ أنتهى الصَّفاء
إليه وقد بلغ أقصاه، وعهدُ خيم الوفاءِ عليه فألقى عصاه. قد ملك مودتي
عذراء، حين القلب فارغ، وحاز طاعتي بكرا، وظلُّ الصبي سابغ. بيننا مودةٌ
تتصل مُدتها، ولا تنقطع مادتها.

حسن المخالصة

لا أحولُ عن عهدك وإن حالت النُّجوم عن ممارها، ولا أزول عن ودك وإن
زالت الجبال عن مقارها. عهدك سجير فكري، وودك سميرُ ذكري. عهدُ

كعهده لا يميل، ووُدُّ كحاله لا يستحيل. نفسي وقاء نفسك، كما صدري وعاء وُدِّك، ولساني ناشرُ فضلك، وضميري وقْفٌ على عهدك. بيننا عصمٌ لا تُنقض، ودممٌ لا تُرفض. الله يعلم أن مودتك شعارُ ضميري، والاعتصام بعهدك بُنيةٌ معتقدي. نلي قلبٌ قريح، حشوه وُدٌ صحيح، وكبِدٌ دامية، كلُّها محبةٌ نامية.

لطف الحال وتشبهها بالقرابة

حالٌ هي القُربى أو أخصّ، وأمتزاجُ النفوس أو أمسّ. الحالُ بيننا أربت على المودة والحُرمة، وأرمت على المشاركة والخُلة، وعُدَّت في شواجر الرّحم واللّحمة، ومزجت الدّم بالدم، والمُهجة بالمُهجة. المودة إذا استمرت قواها، واستحصفت عُراها، لم تبعد أن تزيد على الرّحم وقرباها. قُربى لا كقُربى خالصة الوداد، ولا رَجِمَ أصدق وأدنى من صدق آنية والاعتقاد، وبيننا من ذلك ما يضمنه الدّوام والتّأبيد، وتفتقر إليه القربات والمواليد. ربّ طارفٍ مودةٍ يفوق في الخلوص والصفاء، منازل التّشابك في القُربى والإخاء. المعرفة عند الكرام ذمة، والمودة لُحمة. زاد في أمري على ما يبلغه الأخ وابن العم، والمتناسبون باللّحم والدّم. صورته لدي صورة الأخ، ووُدّه أرسخ، ومحلّه محلّ العمّ، أو اشتراكه أعمّ.

الاختصاص والاتحاد

محبةٌ لا تتميز معها الأرواح، إذا ميّزت الأشباح، ومخالصةٌ لا تتباينُ بها النفوس والمهج، وإن تباينت الأشخاص والصور. نحنُ كالنفس الواحدة لا تجزؤ ولا أنقسام، ولا تميّز ولا انفصام. النفوس ممتزجة، والأملالك مُشتركة، والنعمُ متفاوضة، وذات آلبين صافية، ودخائل الصدور خالصة. نحن نرتضع لبيان الممازجة، ونأوي إلى ولاء المودة، ووراثه الإخاء والمشاركة، أرى به

القمرين، وأعدّه ظهيراً على الملوّين، ولا أعظم كحق مودّته حقاً، ولا أرى
بين النَّفسين فكيف بين المالين فرقا. أنت جارٍ مني مجرى أبعاض جسمي
وأعشار قلبي. أنت جزءٌ من نفسي، وناظم شَمْلٍ أنسي. أنت تحلُّ مني محلَّ
العُضو من الجسد، واللب من الكبد. فلانٌ يعزُّ عليّ، ويكبرُ لدي، ويحلُّ
مني محلَّ عينيّ ويديّ. أنت مني كالعين الناظرة التي تصان عما يُقذيتها،
وآليد الباطشة التي تُحفظ مما يُدويها. هو شقيق رُوحه، وعديل حياته،
وشريك دولته، وقسيمُ نعمته. ما زال مُستودع سري وجهري، ومُشتكى بشي
وحزني. هو مني بمنزلة الولد، والعُضو من الجسد. قد أحله الله مني محلاً
بعيداً في رفعته، قريباً في أثرته.

المنادمة والمؤانسة

له مدخلٌ في المُداخلة، يثبت في مواقف الأُنس قدمه. هم إخوان كما
أنفج المشط، وندماء كما أنتظم السِمْط. إذا اعتقت المُنادمة، صارت نسباً
دانيا، وكانت رضاعاً ثانيا. العِشرة رِضاعٌ تثبت حُرمتُه، والمودّة لِيان تلزم
ذِمّته. قد تقلبنا في أعطاف العيش بين الوقار والطيش، وارتضعنا ثدي
العِشرة، إذ ألزمان رقيق القشرة. كلفة الودّ هينة، وفروضه مُتعينة وأرض
العِشرة لينة، وطريقها بينة. أفضنا في العِشرة كيف نضع قواعدها، والأخوة
كيف نُحکم مقاعدها. فلانٌ يخرج في العِشرة، من القشرة. أنسي به أنس من
نشد الضالة فوجد، وناهض الأمل فبلغ ما قصد. المرء مقيسٌ بقريته
وسميره، ومحمولٌ على حُكم جليسه وعشيرته. إخوانٌ مُتوافقون، قد تطابقوا
في الآراء، وتآلفوا في الأهواء، وتمالحوا في الطعام، وتراضعوا بالمُدام.

التودد والافصاح عن صدق المحبة والموالاة

أنا أتهم عليك عيني وإن كنت لا أتهم قلبي. وأرضي لمودّتك نيتي، وإن
كنت لا أرضي لها طاقتي. أنا ما غبت كالمضل الناشد، وإذا رجعت فكالغانم

الواجد. أنا أودُّك بأجزاء قلبي، وأُحبك من سواء نفسي. لا مرحباً بعيشٍ
أُتفرد به عنك، ويوم لا أكتحلُّ فيه بك، ووددت أن أضرب بحضرتك أطناب
عمري، وأنفق على خدمتك أيام دهري. لا أزال أحنُّ إليك، وأحنو عليك.
يا ليت قلبي يترأى لك، فتقرأ فيه سطور ودي لك، وتقف منها على رأيي
فيك. إني لأسف على كل يومٍ فارغٍ منك، وكل لحظةٍ لا تؤنسها برويتك.
يعزُّ عليّ أن ينوب في خدمتك قلبي، قبل قَدَمي، وخطي، دون خطوي،
ويسعد برويتك رسولي، قبل وُصولي، ويردُّ مشرَع الأُنس بك كتابي، قبل
ركابي. أنت من لا يسافر وُدِّي إلا إليه، ولا يُرفرف طيرٌ محبتي إلا عليه. لو
التبستُ بك التباساً، يجعلُ رأسينا راساً، ما زدتك ودّاً. ولو حال بيني وبينك
سور الأعراف ما نقصتك حُباً. قد ملتُ إليك فما اعتدل، ونزلت بك فما
أرتحل، ووقفت عليك فما أنتقل، مسكنك الشَّغاف وحبّة القلب، وخبُّب
الكبد وسواد العين. أنت سابقُ الإخوان البررة، وصاحبُ بيعة الرضوان
والشَّجرة. أنا أتصبح بأسمك، وأتفأل بذكرك، وأحلم بوجهك، وأحتلب ضرع
الشَّعر بذكرك. أنا أعد نفسي بعض إخوانك في العدد، وأفوقهم بالتودُّد. ما
في نفسي بقعةٌ أعر من محلك، وأنصر من مسكنك، ولا في قلبي مكانٌ إلا
موشي بذكرك، مُطرزٌ بأسمك. المحبة ثمن لكل شيء وإن غلا، وسُلمٌ إلى
كل شيء وإن علا. أنا والله أجتني قُربك، وأجتوي بُعدك. دوري، هي دُورك
وحللك، ووُكلائي هم وُكلاؤك وخولك. والله ما تُظلل الخضرَاء، ولا تُقلُّ
الغبرَاء. عبداً هو أشدُّ مني لك مخالفة، وأقلُّ مخالفة. عهدي لك أكرم
العهود، ووفائي لك وفاء العرق للعود. أسباب المودَّة بيننا موصولة، وطرقُ
الإخلاص عامرةٌ مأهولة.

العبودية والخدمة

عَبْدُهُ حَقًّا، ومملوكه رِقًّا. عبده الصَّريح، وخادمه المُشيع، ووليه

النصيح . عبده الذي سبق له رِقُّه ، ولا يجوز بيعه ولا عتقه . ستجدني متصرفاً
مع أمرك حتى تقول خادماً ، وطوعاً ليدك حتى تقول خاتماً . هو له المملوك
والوكيل المكترى ، والعبد المخلص ، والخادم المتخصِّص . ما أنزع عن
عُنُقِي رِباقَ الرِّقِّ ، ولا أُخرجُ إلاَّ اتِّساعَ العِتقِ (كذا) .

المناسبة بالعلم والادب والمذهب

كلمةُ الأدبِ جمعُنا ، ولُحمةُ العِلْمِ نظمُنا . قد اشتَرَكنا في العقيدة ،
وأستَهَمنا في السَّريرة . فأكثرُ من تراه من إخواني ، بنو عَلاَّت أنا وهو من بني
الأعيان الأدبِ نسبٌ واشج ، والعلم سببٌ مَمازج . الأدبُ أقربُ الأنساب ،
والعِلْمُ أوكَدُ الأسباب ، الشُّكولُ أقارب ، وإن تباعدت بهم المناسِب . فرحةُ
الاديب بالاديب ، كفرحة المحبِّ بالمحجوب ، والعليلِ بالطبيب .

وصف الشوق

الشوقُ إليك سَميرٌ ذكري ، ونديمٌ فكري . شوقي إليك زادي في سَفري ،
وعَتادي في حضري . شوقٌ لا يُعدى عليه صبر ، ولا يستقلُّ به صدر . شوقٌ
يكاد يكون لزاماً ، ويُعدُّ غراماً . الشوقُ إليك أمامي وورائي ، وحشو ثوبي
وردائي . شوقٌ جرحَ جوانحي ، وجنحَ عَلى جوانحي . شوقٌ استخف نفسي
وأستفزها ، وحركَ جوانحي وهزَّها . شوقٌ قد استنفذ جَلدي ، ومَلِكَ خَلدي
شوقٌ لو أعلجه الأعرابي لما صبا إلى رَمَلٍ عالِج ، أو كابده الخليُّ لانشي
عَلى كَبِدِ ذاتِ حُرقٍ ولواعج . شوقٌ تركني أرى الصبر حَسرة ، وألوجد يَمنةً
ويَسرةً . شوقٌ يتلهب في الأحشاء قَدحه ، ولا يبرح الجوانح برحه . قلبي
عَلى جمرة الغضا يتقلَّب ، وكجناح الطير يضطرب . شوقٌ لو خُوف المجرمون
بحرّه ، وتُوعدُّ المشركون بجمره . لَمَّا عبَد صنمٌ ، ولا نُقلت في الضلال قَدَم .
شوقٌ يجيل قَداحه ، ويُديمُ اقتداحه . شوقي إليك شوقُ الروض إلى الغيث

والمهلوف إلى الغوث.

سوء آثار الفراق والاشتياق وما يتصل بذلك

حالي بعدك حالٌ عودٍ ذوى بعد آرتوائه، ونجمٍ هوى بعد اعتلائه. ما حال
ذاوي نبتٍ أمسك مطره، وساري ليل غاب قمره. قد تركني فراقك، وأنا
أشتاقك، وغادرني بُعدك، أقاسي بُعدك. قد تحملتُ مع يسير الفرقة عظيم
الحرقة، ومع قليل البعد، كثير الوجد. قد آثنت بجسم ناحل، وبت من
صبري على مراحل. فارقتني فأرقتني، وفرقت جمع صبري، وأستصحب
فريقاً من قلبي. فارقتك وقد تفرق عني شمل أنسٍ منتظم، وتمكن مني برح
شوقٍ مضطرم. فارقتني ففرقت بين الروح والبدن، وتركتني والنزاع في قرن. ما
فارقتك بعيداً، حتى أصحبتك من نفسي فريقاً، ولا سرت ميلاً حتى مال
صبري جميعاً. فارقتني ففرقت بين جنبي والمهاد، وجمعت بين عيني
والشهاد. من شاهدي شهدت له حيرتي، دون محاورتي بما ألقىه، وأخبرته
عبرتي، دون عبارتي عما أعانيه. ما أعول إلا على العويل لو كان يُغني، ولا
أستنصر غير الوجد لو كان يُجدي. لولا حصانة الأجل، لخرجت رُوحِي على
عجل. قد صرتُ حليفَ وحشةٍ وإن كنت ثاوياً في وطن، وقرين كربةٍ وإن
كنت بين جيرةٍ وسكن. لا آنس بسكنى دار عنك بعيدة، تولا أستوطنها وهي
منك غير قريبة.

ذكر الوداع

أودعتني إذ ودعتني شوقاً يجور حكمه، وقلقاً ينفذ سهمه. قد ودعت
بوداعك العافية، وفارقت مع فراقك العيشة الراضية، لا أقول إنه بان مني
بينك سيدٌ وعضدٌ وعميدٌ وسندٌ، ولكني أقول ودعت أيام وداعك دُنياي التي
كنت أستمتع بها، وحياتي التي كنت أنتفع بعوائد النعم معها. ودعت بوداعك

ألدعة، وألروح وألسعة. ملكتني حُرقة تتغلغل بين اللهأة والترافي، وخنقتني لوداعك عبرة تتحير بين الجفون والماقي.

تذكر ايام اللقاء وصفوها

يا أسفي على غفلات العيش، ولحظات الأنس. إذ ظهائرتنا أسحار، وليالينا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار. يا أسفي على رداءٍ من الأيام دقيقٍ ما لبسناه، حتى خلعناه، وروض من الزمان مريع، ما حللناه حتى فارقناه. أيامنا والذهر غافل، والباع قاصر، وروض التلاقي ناضر، حين الذهر غلام، والجلم حرام. كانت أيامنا من غرر العمر، وغرر الذهر. كيف أنسى تلك اللمة من عمري، والصفوة من شربي، وهما غرة في أدهم، وشهاب في ليل مظلم. سقى الله أياماً لو كان دهري عقداً كانت واسطته، أو كان عمري جيداً لكانت قلاوته. أيامنا وطرف البعد أرمد لا يطرف، ويد الزمان مغلولاً لا تعسف. أيامنا، والذهر كال المينسر، لين المكسر لا يسود أعتنانه، ولا يجمع عنانه. أيام طابت مشارعها، ولانت أخادعها. أيام في عود النوى خور، وليال في باع الدجى قصر. أيام حسنت فكانها أعراس، وقصرت فكانها أنفاس. أيام مغم رياها، وطاب جناها، وصفا نسيمها، وخلص نعيمها، وقد خفض الذهر جناحه لنا، ولين الزمان مهاده بيننا، نأخذ ما نشاء ونُدع، ونلعب كيف شئنا ونرتع، أيامنا التي حازت أيام الشباب حسنا ورقة، وفاتت أعلام المطارف لينا ودقة، التي تخجل حدود الرياض، وتفصح حواشي الحلل، وساعاتنا التي هي أطف من مسارقة النظر، ومخالسة القبل.

الادعية الاخوانية

أعادنا الله للالتقاء فما أرق نسيمه، وألذ نعيمه. أسأل الله أن ينتقم من أيام

النزاع، برد أيام الاستمتاع بالاجتماع. جمع الله شَمَلَ سُروري بك، وعَمَّر عمري بالنظر إليك، وجَعَلَ باقي عيشي معك، وآلله يُطيلُ مُدَّتَكَ، ويحرسُ مَوَدَّتَكَ، وَيَصِلُ جناحي بما ينشره عليك من جناح العِزِّ، وَيَمُدُّ عَلَيَّ ساحتك من ظلِّ الكفاية والوقاية. أغناك الله عن إخوانك، ولا أغناهم عنك. إن من أباح لي وُدَّكَ وهو أكرمُ موهوب، قادرٌ عَلَيَّ أن يُيسرَ لي قُربَكَ وهو أنفسُ مطلوب. لا وَكَلَّ اللهُ إِلَيَّ الزمان ما جمعنا عليه من إخاءٍ ومصادقة وِصْفَاءٍ ومُخالصة فتبعث بنا أحكامه، وتعيث فينا أيامه. أعاذ الله سيدي من الأسواء، وسقى ربه غُرر الأنواء.

ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق

شكوتُ الشُّوقِ فكانما عَبَّرتَ عن قلبي، وقرأت وصفه من صحيفة وُدي. ذكرت يا مولاي الشُّوقَ فهيجتَ ما يُهيجُه تغريدُ الأَطيارِ بالأسحار، والوقوفُ بعد الأَحبابِ عَلَيَّ الدِّيارِ. أما ما شكاه مولاي من الشُّوقِ وأستطالة سُلطانِه، وآلبين وأستطالة زَمانِه. فهو عِبارة أَحشايَ لو نَطَقْتَ، وتعبيرُ رُؤيائي إذا صدقت. أما ما شكوت من الشُّوقِ فأحلف بالله إنك صادقٌ فيه، مُستغنٍ عندي عن إقامة شاهده، بما أجده من مثله. أما شكوى الشُّوقِ فقد شكوت إلى شاك، وتوجَّعت إلى متوجِّع.

اهداء السلام

أهدي له السَّلامَ غُصناً طرياً، وورداً جَنِيّاً، وأحملة أنفاس السَّمالِ. فطال ما تردَّدت بين مُحبِّ ومحبوب، وأستودعه نسيم الصبا، فنعم السَّفيرُ بين شائقٍ ومشوق. سلامٌ كأنفاس الأَحبابِ، وأيام الشَّبَابِ. فلانٌ مخصوصٌ بالسَّلامِ الراهن، كما هو مخصوصٌ بالمحاسن. سلامٌ عليه ملء عراضه، وتحية بحسب إخلاصي وإخلاصه. أخص من السلام بأوفر الأقسام، وأجزل

السِّهَامِ، وَأَسْتَدِيمُ اللَّهَ مُدَّتَهُ بَقَاءَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ. أَخَصَّهُ مِنَ السَّلَامِ بِمَا يُضَاهِي
مَحَاسِنَهُ كَثْرَةً، وَأَشْكُو قَلْقًا لِفِرَاقِهِ وَحَسْرَةً. سَلَامٌ كَأَيَّامِي عِنْدَهُ نَضْرَةٌ، وَأَيَّادِيهِ
عِنْدِي كَثْرَةٌ. أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ عِدَدَ مَحَاسِنِهِ وَمَعَالِيهِ، وَأَثَارِهِ الْحَمِيدَةَ
وَمَسَاعِيهِ. أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ مَا يَفُوتُ الْعَدَّ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حَدِّ. سَلَامٌ
عَلَيْهِ كَأَخْلَاقِهِ الْعَذَابِ، وَمَحَاسِنِهِ الرَّحَابِ.

ذِكْرُ الْعِتَابِ

الْعِتَابُ جَلَاءٌ لِلْمَوَدَّةِ، وَصِيقَلٌ لِلْأُخُوَّةِ، يُسْتَثَارُ رَوْنَقُهَا، وَيُسْتَخْرَجُ
فِرْنِدُهُمَا. بَيْنَمَا عِتَابٌ جَحِطَةٌ، كَعِتَابِ لِحِظَةٍ. مِنْ مَنَافِعِ الْعِتَابِ أَنَّهُ يُطْرِي
خَلْقَ الْوُدِّ، وَيَجْلُو غُبْرَةَ الْعَهْدِ، وَيَدَاوِي أَدْوَاءَ الْقُلُوبِ، وَيُتْرَجَمُ عَنْ خَفِيَّاتِ
الْغُيُوبِ. الْعِتَابُ حَدِيقَةُ الْمُتَحَابِّينَ. وَرَوْضَةُ الْمُتَاصِفِينَ. الْعِتَابُ نِعْمَ الدَّوَاءُ
إِذَا عَرَّضَ فِي الْوُدِّ دَاءً وَلَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يُصَادَفِ الْعِلَّةَ، أَفْسَدَ الصِّحَّةَ، وَمُعَاتَبَةُ
الْبَرِيِّ وَالسَّلِيمِ، كَمُعَالَجَةِ الصَّحِيحِ غَيْرِ السَّقِيمِ.

شِكْوَى الْأَعْرَاضِ وَالْجَفَاءِ وَسُوءِ الْعَهْدِ

قَدْ رُمِيتُ بِسُوءِ إِعْرَاضِهِ، وَنَصَبِنِي جَفَآؤُهُ أَقْرَبَ أَغْرَاضِهِ. صِرْتُ عِنْدَكَ مِنْ
مَحَا النَّسِيَانِ صُورَتَهُ مِنْ صَدْرِكَ، وَأَسْمَهُ مِنْ صَحِيفَةِ حِفْظِكَ. أَدْرَجْتَنِي فِي
أَثْنَاءِ الْغَفْلَةِ، وَطَوَيْتَنِي فِي أَدْرَاجِ الْجَفْوَةِ. نَسَيْتَنِي وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّي أَنْ أُنْسَى،
وَطَوَيْتَنِي فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. بَعْتَنِي بَيْعَ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ فَيَمَنْ زَادَ،
وَلَكِنْ فَيَمَنْ نَقَصَ. أَظُنُّ الدَّهْرَ قَدْ فِطَنَ لَصِفَائِكَ فَكَدَّرَهُ، وَأَهْتَدَى لِإِخَائِكَ
فَأَفْسَدَهُ. قَدْ هَجَرَنِي هَجْرَةً مُرَّةً، وَقَطَعَنِي قَطِيعَةَ فَطِيعَةٍ. أَنْتَ تَتَذَكَّرُ إِخْوَانَكَ
مَعَ أَهْلِ الْأَعْوَامِ، وَتُظْهِرُ لِأَصْدِقَائِكَ مَعَ ظُهُورِ الْإِمَامِ. أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ فِي
الْصَّدُودِ آيَةً؟ أَمْ رُفِعْتَ لَكَ فِي النَّبِيِّ رَايَةً؟. فَلَا نَعْلَى قَدْرَ عُلُوِّ سِينِهِ،
أَنْخَفَاضِ وُدِّهِ. وَبِحَسَبِ عِبَالَةِ جَسْمِهِ، نَحَافَةِ عَهْدِهِ. قَدْ تَرَكْنِي بَدَارِ ضِيَاعِ،

ومدرجة أنضاع. أدرجني في أثناء الغفلة، كما طوي ثوبٌ على غيره،
وأهملني إهمال النسي الذي نُهي عن ذكره، صدَّ صدود المخمور عن
الخمير، وأعرض إعراض الغواني عن بياض الشعر أراني كلما بُعدت صُحبة،
رَجَعَت رُتبه، وكلما طالت خدمة، قصرت حِشمة حرُّ شوقي لا يصبر على يرد
جفائك، ورفقة قلبي لا تقاوم غِلظة إعراضك. كأن الزمان يستملي انواع
الجفوة من طبعك، ويستقي أصناف القسوة من بحرك لا أدري هل أشكوك
إلى الدهرام أشكوه إليك؟ فإنكما في قطيعة الصديق رضيعا لبان، وفي
استيطاء مركب العقوق شريكا عنان.

سائر ألفاظ العتاب والاستزارة

لايكادُ خيالكُ يُغبني نوما، فما لكتابك لا يسرنِي يوما. أنت سخيٌّ بمالك
على من يُطالبك. بخيلٌ بكتابك، على من يُكاتبك. تتوسع في ألوف فتضايق
في حروف. قد طواني مُنذُ نشرته، وجفاني حين بررته، وترك أن يُطالع
بحرف، أو يطيل المودة إلا على حرف. إن لم يكن لنا مطمع، في درك
درك، فأعفنا من شركٍ شرك. في الأرض مجالٌ إن ضاقت ظلالك، وفي
الناس واصلٌ إن رثت حبالك. كنتُ أحسبك تهتز إذ لوحتُ فصرت ترتز وإن
صرحت. قد قام بيني وبين أصلك حاجز من فعلك، سيستحيي لك فضلك
من فعلك، وكفى بك نائبا عني في عدلك. هنيئا لك من جمانا ما تحله،
ومن عُرانا ما تحله، ومن أعراضنا ما تستحله. أين يا سيدي ذمار العشرة،
وذمام الصُحبة. أتميل عمّن يميل إليك، وتصرف وجهك عمّن وجهه لك،
وتولي عمّن قبلته أنت. هذا ألفناء خصب المراد، فما بالي فيه عسر
المراد، وتوفر مولاي على غير مُستزاد، فما بالي حصَلتُ على غير زاد. ما
بالك تبخل علي بالألف من خط قلمك، وتجود على سائلِك بالألف من
كرمك، وتناقشني بالسطر من حوارك، وأنت تسامح الإخوان بشطر يسارك.

وصف العتاب عند الجواب عنه

عتابٌ سماؤه تمور، ومراجله تفور. تعتابٌ يهزُّ الفوارع، وتقريع يحكي القوارع. قد قرع سمعي من عدله، ما جاوز خفق الرعود، وصكَّ قلبي من توبيخه. ما أنسى زئير الأسود. وصلَّ كتابك بعتبٍ كالعضب، وملامٍ كالحسام. عتابٌ يفلق الحجر، ويقطع الماء العد. عتبٌ مقانبه تكرر كرة الأقدار، وعدلٌ كتائبه تصول كالفلك المدار، حتام هذا التوبيخ والتهجين والعتاب الهجين. وصلَّ كتابك الذي كله عتب وليس ذنب، وعدلٌ وليس عدل، وتقريع وليس تضجيع، وتأنيب وليس تثريب، وتظلم وليس تألم وشكاية وليست نكاية.

لبس الصديق على علاقته والاضضاء عن هناته

قاربته إذا جاذب، وواصلته إذا جانب، وشربته على كدورته، ولبسته على خشونته، وكاتبته أستمداً وداً، وأستلين قياده، وأستميل فؤاده. قد تركته بعرة، وطويته على غرة. جررت أذيال التغافل دون فرطته، وسترت بأجنحة التجاوز على سقطته. أعرته أذناً صماء وهي سمیعة، وعيناً عمياء وهي بصيرة. سحبت عليه ذيل التغافل، وغضضت دونه طرف التساهل.

وصف الغيظ والحدرد

اضطرب وأضطرم، وأحتد وأحتم. جاء بأوداج لا يسعها الزران، وعيناه في رأسه تدرانه. فلان يتصلى بنار الصبر ويتصلب، ويتقلّى على جمر الغيظ ويتقلّب. يفور غيظاً، ويتميز حقدًا، ويتلظى غضبًا، ويتزيد حنقًا. غالب غيظه وهو يغلبه، وكظمه وهو يشغله. قد التهبت جمره الغيظ في صدره، ونطقت ترجمه الحقد عن عينه. يغالب نفسه على الاغضاء، ويتلوى تلوي الحية في الرمضاء. فلان غضبان حتى ما تنفع فيه حيلة، ولا تصلحه رقية، ولا تهزه

نادرة، ولا تبسطه مُضحكة. إن أقبلتُ عليه أعرض عني، وإن حدثته
ازورّ عني، وإن قبلت في عينيه دفع في صدري.

الاعتذار والاستصفاح والاستعطاف

الكرِيمُ إذا قَدِرَ غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أسَرَ أعتق. قد هربت منك
إليك، وأستعنت بعفوك عليك، فأذقني حلاوة رضاك عني، كما أذقتني مرارة
انتقامك مني. الحرُّ كريم الظفر. إذا نال أقال، وألثيم إذا نال استعطال. قد
هابك من أستتر، ولم يذنب إليك من أعتذر. تكلف الاعتذار بلا زلة، كتكلف
الدواء بلا علة. لا تُضيقن عني سعة خلقك، ولا تكديرن علي صفة وُدك،
مثل بين يديه، وأذرى مطامع الاستعطاف لديه. إذا شاهدت تلك الشمائل لم
تهب بيننا شمال موجدة، ولم يسكب علينا سحب معتبه. مولاي يوجب
الصّفح عند الزّلة، كما يلتزم البذل عند الخلة. مولاي يوليني صفحة صفحه،
ويوليني العفو من عفوه. مالي ذنب يضيق عنه عفوك، ولا جرم يتجافى عنه
تجافيك وصفحك، قد زللت وقد يزل العالم الذي لا أساويه، وعثرت وقد
يعثر الجواد الذي لا أجاريه. ينبغي أن يكتفي في من التأديب بما لا يتجاوز
حدّ الإصلاح والتهذيب. العفو عن المُجرم من مواجب الكرم، وقبول
المعذرة من محاسن الشّيم. أعيد مولاي من أن يغلظ وقد لطفته، ويقسو وقد
استعطفته.

ذكر العذر الضعيف النافذ

هذا عذرٌ إن كنت عوّلت عليه، وأصترحت إليه. فقد قطع بك وقت الحاجة
قطعك في موقف المُحاجة. عذرك ما زال ينقبض فأبسطه، ويقلق فأمهده
ويتأخر فأقدمه، ويعثر فأنعشه. تلقاني بعذرٍ كنار الحباحب، ونسج العناكب.
عذرٌ يتعذر قبوله، ويتلاشى محصوله. عُذرٌ متضائلُ الشخص، تلوح عليه

سِمَةُ النَّقْصِ. هَذَا عُدْرٌ مُنَمَّقٌ، وَأَحْتِجَاجٌ مُلَفَّقٌ. كَمْ هَذَا أَلْتَعَثَّرُ فِي أَذْيَالِ
الْمَعَاذِيرِ، وَأَلْتَعَلُّقُ بِأَسْبَابِ الْمَقَادِيرِ. مَعَاذِيرٌ تَتَعَثَّرُ فِي أَذْيَالِهَا، وَتَنْكُصُ عَلَى
أَعْقَابِهَا، وَتَطْمَسُ وُجُوهَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا، وَتَرُدُّ رُؤُوسَهُمَا إِلَى أَذْنَابِهَا. عُدْرٌ لَكِنَّهُ
لِسَانُ الزُّورِ، وَحَاكَّتُهُ يَدُ الْغُرُورِ. أَتَانِي عُدْرٌ يَتَعَثَّرُ فِي ذَيْلِ الْخَجَلِ، وَيَتَلَقَّعُ
بِقِنَاعِ الْعِيِّ وَالْوَجَلِ. عُدْرٌ لَمْ يَتَوَلَّ الْحَقُّ نَسَجَهُ، وَلَمْ يُوَضِّحِ الصِّدْقُ نَهْجَهُ.

ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة والموجدة

قَدْ نَزَعَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي صَدْرِي مِنْ غَلٍّ، وَجَعَلْتُ فَلَانًا مِمَّا سَلَفَ فِي حِلٍّ.
قَدْ أَنْطَفَأَتْ تِلْكَ الْوَقْدَةَ، وَأَنْحَلَّتْ تِلْكَ الْعُقْدَةَ، وَزَالَ سُكْرُ الْغَيْظِ، وَسَكَتَ
لِسَانُ الْغَضَبِ. كَمْ نَابٍ بَعَطْفِهِ أَنْابٌ، وَمَزُورٌ بِجَانِبِهِ تَابٌ. وَصَلَ فَلَانٌ حَبْلٌ
الْأَخْوَةَ، وَرَمَّ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ، وَطَوَى بَسَاطَ الْوَحْشَةِ، وَطَرَى مَا كَانَ يَنْهَجُ مِنْ ثُوبِ
الْثِّقَةِ. قَدْ رَأَيْتُ بَأْنَ أَطْوِي بَسَاطَ الْوَحْشَةِ، وَاخْفَضَ عِمَادَ النَّبْوَةِ، وَأَخْرَجَهُ
وَأَخْرَجَ مَعَهُ عَنْ ضَيْقِ الْمُنَاقَشَةِ، إِلَى فُسْحَةِ الْمَسَامِحَةِ، وَعَنْ حَزُونَةِ الْمَعَاشِرَةِ،
إِلَى سُهُولَةِ الْمَعَاشِرَةِ. قَدْ زَالَ عَتْبُنَا، وَأَنْقَطَعَ مَلَأْمُنَا، وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى
وَرَقَّ كَلَامُنَا. قَدْ أَنْطَفَأَتْ نَارُ عَتْبِهِ، وَسَكَتَتْ شِقْشِقَةُ سَبِّهِ. أَمَا سَوْرَةُ الْغَضَبِ
فَقَدْ بَرَدَتْ، وَفُورَةُ الْغَيْظِ فَقَدْ خَمَدَتْ. أَمَا الْعُدْرُ فَقَدْ تَصَرَّفَتْ مِنْهُ فِيمَا لَوْ أَتَى
الذَّهْرَ بِمِثْلِهِ، لَصَفَحَ عَنْ صُرُوفِهِ، وَأَمِنَ الْمَحْذُورُ مِنْ مَخُوفِهِ. لَا جَرَمَ أَنَّهُ
عَفَى مَعَالِمَ الْجُرْمِ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْ أَلْعَتْبِ عَلَى رَسْمٍ وَلَا اسْمٍ.

آخر كتاب الإخوانيات وما يأخذ مأخذها، والله الحمد والمِنَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب السلطانيات

وما يأخذ مأخذها

ذكر الخلفاء

قد خصَّه الله بشرف الولادة ، وحاز له إرث النبوة ، وبوَّاه محلَّ الخلافة ،
وأسترعاه أمرَ الأمة . لا دُنْيا إلاَّ به ومعه ، ولا دينَ إلاَّ لمن تولَّاه وآتبعه . قد
أجْتباه الله لوراثَةِ الرِّسالة ، وجعل طاعته فرقاً بين الهدى والضلالة ، وجعل
آيَتَه الكبرى ، ورايته أعلِيا ، إذ كان راعيَ دينِ الله وإمامه ، ووارثَ عِلْمِ
رسولِ الله ومقامه . كافلُ الأمة وراعِيها ، وسائسُ اللِّة وحامِيها . سليلُ النُّبوة ،
وعَقِيدُ الخِلافة ، وسيدُ الأنام ، والمستنزل بوجهه دُرُ الغمام . إنَّ الله شَفَعَ
النُّبوةَ بالخِلافة إكمالاً للرحمة والرِّفة ، وقرن الرِّسالة بالإمامة نظراً للخاصَّة
والعامَّة . قد حاز الله لمولانا أمير المؤمنين موارثَ آبائه الراشدين الذُّائدين
عن حوزته ، اللَّاحنين بحجَّتِه ، العامرين لبِلاده ، الرَّاعين لعباده ، الأمرين بما
أمر ، الناهين عما حُظِر . مولانا كَفُو المَلِك ، وكافي الخَلْق ، ورب السُّرير ،
ورب التَّدبير .

ذكر السلطان وطيب ثمرة من والاه وسوء مغبة من ناواه

السلطان ظلُّ الله في أرضه ، والمؤتمِنُ علي حَقِّه ، وألِيْدُ المبسوطةِ علي
خَلْقِه ، يَرَحِم ما وَسِعَت الناس النِّعمة ، ويُعاقب إذا أَصْلحتهم النِّقمة ، عالماً

أَنَّ اللَّهَ قَرَنَ وَعَدَهُ بِوَعِيدِهِ وَثَوَابَهُ بِعِقَابِهِ مَنَحَةً سَابِغَةً، وَحِكْمَةً بِالْغَةِ. السُّلْطَانُ زِمَامٌ عَلَى الْمِلَّةِ، وَنِظَامٌ لِلجُمْلَةِ، وَجَلَاءٌ لِلْغُمَّةِ، وَرِبَاطٌ لِلْبَيْضَةِ، وَوَعِمَادٌ لِلْحَوْزَةِ. مَنْ عَصَى السُّلْطَانَ فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ. السُّلْطَانُ يَدَافِعُ عَنِ سِوَادِ الْأُمَّةِ. وَبِيَاضِ الدَّعْوَةِ. مَنْ شَايَعَهُ حَمِدَ يَوْمَهُ وَغَدَهُ، وَرَعَى مِنَ الْعَيْشِ أَرْغَدَهُ، وَمَنْ نَابَذَهُ كَانَ فِي الْأَشْقِيَيْنِ مَكْتُوبًا، وَلِلْغَمِ وَالْيَدَيْنِ مَكْبُوبًا. مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ لِأَجِيءٍ إِلَّا سَعِدَ جَدُّهُ، وَوَرَى زَنْدُهُ، وَنَفَذَ حَدُّهُ، وَزَادَ عَلَى يَوْمِهِ غَدُهُ، وَلَا يُفَارِقُ الْاِعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ مَفَارِقٌ إِلَّا حَالَفَهُ الْخُسْرَانُ، وَعَانَقَهُ الْخُذْلَانُ، وَرَصَدَتْ لَهُ الْمَنُونُ، وَلَمَحَتْهُ الْحَرْبُ الطَّحُونُ.

العدل وحسن السيرة

سَطَعَتْ مِصَابِيحُ الْعَدْلِ وَأَنْوَارُهُ، وَطَلَعَتْ شَمُوسُ الْأَمْنِ وَأَقْمَارُهُ. قَدْ أَحْيَا سُنْنَ الْعَدْلِ، وَأَمَاتَ سِيرَ الْجَوْرِ فَحَمَى الدِّينَ مَنِيعًا، وَجَنَابُ الْمَلِكِ مَرِيحًا. قَدْ بَسَطَ لِرَعِيَّتِهِ فِرَاشَ الْعَدْلِ، وَرَدَّ إِلَيْهِمْ رِيَابِشَ الْفَضْلِ. قَدْ أَنَامَ الْأَنَامَ فِي ظِلِّ عَدْلِهِ، وَوَسِعَهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ. رَعِيَّتُهُ نِيَامٌ نَوْمَ الْأَمْنَةِ، وَسُكَارِي سُكْرِ الثَّرْوَةِ، وَمَتَكْتُونٌ عَلَى فِرَاشِ الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ، فِي يَدِهِ خَاتَمَ عَدْلٍ، وَفِي حُكْمِهِ صَارِمُ فَصْلِ. نَفُوسُ الرُّعِيَّةِ فِي ظِلَالِ السُّكُونِ وَادْعَةُ، وَفِي رِيَاضِ الْأَمْنِ رَاتِعَةٌ. أَقْلَعَتْ غَمَائِمَ الشَّرِّ فِي أَيَّامِهِ، وَأَنْقَطَعَتْ سَمَائِمُ الظُّلْمِ بِأَحْكَامِهِ. بَرَزَبَهُ الْحَقُّ فِي أَحْسَنِ مَلَابِسِهِ، وَنَجَّمَ الْعَدْلُ فِي أَزْكَى مَغَارِسِهِ. أَطْلَعَ كَوْكَبَ الْعَدْلِ وَكَانَ خَافِيًا، فَأَوْضَحَ مَذْهَبَ الْأَمْنِ وَكَانَ عَافِيًا.

حسن السياسة وتصريف أئنة المملكة

قَدْ صَرَّفَهُمْ بَيْنَ مَبْعَادِهِ، وَخَشُونَةِ إِعْبَادِهِ، وَأَرَاهِمُ بَرِيقَ حُسَامِهِ، مَشْفُوعًا بِبُرُوقِ إِعْنَامِهِ. صَرَّفَهُمْ عَلَى مَا هُوَ لِشَمْلِ الدِّينِ أَجْمَعِ، وَلِكَلِمَةِ الضَّلَالِ أَقْمَعِ. مُسْتَقِرٌّ فِي ذُرْوَةِ عِزِّهِ، مُسْتَقِيلٌ بِأَعْبَاءِ مُلْكِهِ. يَتَصَرَّفُ لِلسِّيَاسَةِ بَيْنَ رِفْقٍ مِنْ غَيْرِ

ضَعْفٌ، وَخُشُونَةٌ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، عَلَى بِلَادِ مَمْلَكَتِهِ، مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ. حَرَسٌ تَتَبَعَ الْمَرْقَةَ بِشُهْبِ الْإِرْدَاءِ وَالْإِتْوَاءِ، وَرَصَدُ يَعْقِبِ الْفَسَقَةَ بِرَجُومِ الْإِبَادَةِ وَالْإِفْنَاءِ. لَا يَدْعُ الْفَسَادَ يَسْرِي، وَدَاءَ الضَّلَالِ يَسْتَشْرِي. قَدْ عَوَّدَ فِي مَمَالِكِهِ الْحَيَاظَةَ حَتَّى لَا يُحَلَّ حَرَامُهَا، وَلَا يُنْفَذَ سَوَامُهَا، وَلَا تُذْعَرُ جَوَانِبُهَا، وَلَا تَدُبُّ عِقَارِبُهَا. قَدْ بَسَطَ ظِلَّهُ عَلَى النَّهَارِ حَتَّى لَا تُشَبُّ نَوَائِبُهُ، وَعَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدُبُّ عِقَارِبُهُ. رَعَاهَا وَهِيَ تُغْرُ يُرَاعِ، وَحَمَاهَا وَهِيَ سَرَّحَ يَضَاعُ، هُوَ عَلَّمَ فِي الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ، وَجَامَعَ مَصْلِحَةَ الْعَامَّةِ إِلَى مَصْلِحَةِ الْخَاصَّةِ.

يَمِنُ النَّقِيْبَةُ

قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ الْآمَنَ، وَبَسَطَ بِمَكَانِهِ عَلَيْهِمُ الْإِيْمَنَ، وَعَرَفَهُمْ بِطَلْعَتِهِ الْيَمْنَ. أَوْلِيَاؤُهُ مِنْهُ بَيْنَ ظِلِّ مَمْدُودٍ، وَنَجْمٍ مَسْعُودٍ. قَدْ أَهْدَى إِلَى الْبِلَادِ أَمْنًا، وَقَدْ خَيَّمَ فِيهَا الذِّعْرَ، وَأَسْتَحْفِظُ عَلَى الْبِلَادِ خَيْرًا، وَقَدْ حَوَّمَ عَلَيْهَا الشَّرَّ. أَيَّامُهُ تُشْرِقُ إِشْرَاقَ الصَّبْحِ اللَّامِعِ، وَأَثَارُهُ تَضِيءُ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ الطَّالِعِ. جَرَى مَجْرَى الْغَيْثِ إِذَا عَمَّ وَطَبَقَ، وَقَرْنَ الشَّمْسُ إِذَا ذَرَّ وَأَشْرَقَ، حَلَّ مَحَلَّ الْغَيْثِ عِنْدَ اللَّذْبَةِ، وَالْغَوْثُ عِنْدَ الْكُرْبَةِ. أَفْضَلُ الْخَيْرِ وَدَوَاعِيهِ، وَحَسَمَ الشَّرَّ وَعَوَادِيهِ.

اتساع المملكة والإستظهار بالرجال وكثرة الأموال

قَدْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ ثَرَوَةً مِنَ الذِّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ، وَكَثْرَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَبْطَالِ، اسْتَظْهَرَ بِكُلِّ مَا أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَوْدًا، أَوْ هَاضَ مِنْ عَدُوَّةِ جَنَاحًا وَيَدًا. قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيَا أَزْمَتَهَا، وَمَلَكَتْهُ الْأَرْضُ أَعْنَتَهَا. قَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ مِهَادَ الْمُلْكِ، وَأَعْطَاهُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ لِأَنَّ لَهُ أَخَادِعُ الْبِلَادِ، صَفَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا، وَدَانَتْ لَهُ الْجِيُوشُ بِجَمَاهِيرِهَا. قَدْ أَعْلَى اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَرَفَعَ حِكْمَتَهُ، وَأَعْلَى يَدَهُ وَجُنْدَهُ، وَجَمَعَ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ عِنْدَهُ، قَدْ مَلَكَهُ اللَّهُ أَقْطَارَ بِلَادِهِ، وَنَوَاصِي عِبَادِهِ، قَدْ عَوَّدَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ثَبَاتَ الْأَرْكَانِ، وَتَظَاهَرَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ، وَاسْتَظْهَرَ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ.

بنود مرفوعة بالنصر، وجنود كعدد القطر وأموال ككثبان الرمال، وذخائر أملاء
الهمم والآمال.

ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجد الميمون الطالع

لأن أمره كلُّ مُتَصَعَّر، ودانَ لحكمة كلِّ مُتَوَعَّر، وأستجاب لإرادته ما
أرتاد، وأنضاف إلى مملكته ما أستضاف وأزداد. سعادته تستخدم الأفضية،
وتعيد الدروب أفضية. أفضى به فتحٌ إلى فتح، وقضى الله بنجح إلى نجاح،
ووزع منابذيه بين أظفار الدهور، وقسم مخالفيه كأعشار الجزور. البلادُ
تتزاحم على قصده، والفتوح تتسابق إلى يده. صولته سيان عندها المفاتيح
والمغالق، والمندح والمضايق. سعادته تدع الدروب صحاصح، وتذر البحور
ضحاصح. هو من يخدمه النصر والنصل، ويقدمه القضاء والفصل. لورقى
إلى الفلك حتى يتناول السعدين بيديه، ويطأ النحسين بنعليه، لكانت همته
تعدوعدة بأزيد من ذلك وأكثر، وأعلى وأفخر. ما يهيمُ بأمرٍ إلا أنفتح رتاجه، وهان
علاجه، ولأن شديده، وقربُ بعيده. لم تُرد له قطُّ راية، ولا فاتته من مطالبة
غاية. مخاطبٌ من تفضل الله بالسنة الظفر، موعودٌ في مناوئيه بتصاريف
الغير. ما يتعدر على أمره معتاص، ولا يكون عن رأيه مناص. العز شامل،
والتمكن متكامل، والعدو مُذال، والولي مدال. قد ساق الله إليه عظام
المناجح والمنايح، وكتب له في صحائف النصر بأقلام الصفائح. السعاداتُ
إلى حضرته تتوالى توالي القطار، وتعم كافة العراص والأقطار. الملائكة
جنوده، والخادئات عبيدة. آراؤه مفاتيح كل فتح، وراياته ضوامن كل
نُجح.

اصلاح المملكة وإحسان الآثار وتطبيب الأخبار فيها

أحمد جمر الفينة، ومحا رسم الفرقة وجمع شمل الألفة. أقام قناة الدين،

وَمَدَّ رِوَاقَ الْمَلِكِ، وَبَسَطَ بَاعَ الْعَدْلِ، وَأَطَالَ عِنَانَ الْإِحْسَانِ. تَوَفَّرَ عَلَيَّ
 الْأَطْرَافَ فَحَرَسَهَا، وَأَنْتَدَبَ لِأَثَارِ السُّوءِ فَطَمَسَهَا. لَمْ يَدْعَ لِلْبَاطِلِ عِلْمًا إِلَّا
 وَضَعَهُ، وَلَا رُكْنًا إِلَّا ضَعَعَهُ. أَذْكَى مِنْ نَوْرِ الْحَقِّ مَا خَبَا، وَأَنْهَضَ مِنْ نَوَى
 الْعَدْلِ مَا خَوَى، وَحَاطَ مِنْ جِمَى الْخِلَافَةِ مَا وَهَنَ وَوَهَى، ثَقَّفَ قَنَاةَ الصَّلَاحِ
 فَلَا تَنَادَ، وَقَطَعَ مَوَادَّ الْفُسَادِ فَلَا تَعْتَادَ. حَقَّنَ الدَّمَاءَ، وَسَاسَ الدَّهْمَاءَ، وَأَقْبَلَ
 عَلَيَّ مَصْلِحَةَ الْكَافَّةِ، وَبَسَطَ الْمَعْدِلَةَ وَالرَّأْفَةَ. كَمْ مُهَمِّ كَفَاهُ، وَدَاءَ فَسَادِ
 شِفَاهُ، وَجَنَاحِ ضَلَالِ حَصِّهِ، وَرَائِشِ خَبَالِ عِمَّةِ بَالِنِكَالِ وَخَصِّهِ. قَوِّي كَاهِلَ
 الدِّينِ وَسَاعَدَهُ، وَمَهَّدَ أَسَاسَ الْمَلِكِ وَقَوَاعِدَهُ. قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ
 الْأَجْرِ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ، مَا لَا تَزَالُ الرِّوَاةُ تَدْرُسُهُ، وَالتَّوَارِيخُ تَحْرُسُهُ. رَفَعَ اللَّهُ
 بِمَعَالِيهِ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ، وَدَفَعَ بِمَسَاعِيهِ صَوَاعِقَ الْأَيَّامِ. اجْتَثَّ أُصُولَ الضَّلَالَةِ
 وَفُرُوعَهَا، وَحَصَدَ نَجُومَهَا وَزُرُوعَهَا، وَأَبْطَلَ الْبَاطِلَ، وَأَحَقَّقَ الْحَقَّ، وَأَحْلَى
 النُّقْمَةَ بِمَنْ فَارَقَ الْعَصَا وَشَقَّ.

ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها

سَافِرَ رَأْيِهِ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَنْزَحْ، وَسَارَ تَدْبِيرَهُ وَهُوَ ثَائِلٌ لَمْ يَبْرَحْ. النِّجَاحُ مَقْصُورٌ
 عَلَيَّ تَدْبِيرِهِ، وَالصُّوَابُ مَقْرُونٌ بِإِمْضَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ، فَمَا قَدَّمَ فَعَنْ عَجْزِ أَمْرِ حَدِّثِهِ
 بِهِ صَدْرَهُ، وَمَا أَخَّرَ فَلَعَزْمِ حَزْمِ تَحَقُّقِ لَدَيْهِ قَدْرَهُ. وَرِثَ ذَلِكَ الْمَقَامَ بِحَكْمِ
 الْإِسْتِحْقَاقِ الزَّائِدِ، لَا الْإِتْفَاقِ الْمُسَاعَدِ، وَالْإِسْتِثْنَاءِ بِالْمَحَامِدِ وَالْمَنَاقِبِ، دُونَ
 الْإِثَارِ بِالْهَوَى الْغَالِبِ. سَهَّلَ الْمَتَعَدِّرَ، وَذَلَّلَ الْمَتَوَعَّرَ، وَأَنَالَ الْبَعِيدَ، وَأَلَانَ
 الشَّدِيدَ. هَدَى إِلَى إِجْهَادِ النَّفْسِ فِي الْمَصَالِحِ، وَوَقَفَهَا عَلَيَّ سَبِيلَ الْمَرَاشِدِ
 وَالْمَنَاجِحِ، وَأَسْتِيفَاءِ الْحَقِّ بِأَقْصَى الْإِسْطَاعَةِ، وَإِعْطَاءِ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِضَاعَةٍ. هُوَ
 بَيْنَ صَدْعِ يُشْعَبِ، وَثَأْيِ يُرَابِ، وَشَعْتِ يُلْمِ، وَشَتَاتِ يُجْمَعِ، وَخَرْقِ يُرْقَعِ،
 وَذِمَامِ يُوكَدِّ، وَعَهْدِ يُؤَيِّدِ، وَثَغْرِ يُسَدِّ، وَعَضْدِ يُشَدِّ، وَعَقِيرِ يُوسَى، وَمُهْجَةِ
 تَسْتَحِي، وَحُشْنَاشَةٍ تُسْتَبْقَى. هُوَ بَيْنَ نُصْحِ يُؤْثِرُهُ، وَجَمِيلِ يُؤْثِرُهُ. هُوَ مُدَبَّرٌ

الأمر ومقدّره، وموردُ الرّأي ومُصدره ليس قلمه إلا أوضح من السيف غرّاً،
وأحسن من الذّب عن البيضة أثراً، قلمه ناسج وشي مملكته، وناظم عقْد
دولته .

ذكر حضرة الملك وساحة السلطان

حضرته موقعُ الوُفود، ومَطْلَعُ الجود، حضرتته ملقى الرّجال، وقبلةُ الآمال،
مَثَابَةُ المجد، وكعبة الملك . محطُّ رَحْلِ الكرم، وغاية مبلغ الهمم . مَنْزَعُ المجد،
ومَطْلَعُ الفضل، ومَرْجِعُ الأمل، ومَوْضِعُ الإحسان، ومَرْبَعُ الملْك، وموقع
الرّجاء قد حطّ بأخصب رِبْع، وأقربه من زَرْع وضرع . حضرة ينصبُّ إليها
موادّ الرّغبات، وتُنشد فيها ضوَالُ الطلّبات . مثابة الجود، ومَطْلَعُ الوُفود،
وموسمُ الآداب، ومَوْكَبُ الكتاب . كعبةُ الأمل، وقبلةُ الطّلب، والحاكمةُ
ببلوغ الأرب، وحُسنُ المُنقلب . عرْصه هي حضرة العُدل، وساحةُ الفضل،
ومَقْرَعُ الشكر، ومَضْرَعُ الفقر . مجمعُ الفضائل ومعدنها، ومَرْتَعُ المحامد
وموطنها . هي كعبةُ المحتاج، إن لم تكن كعبةُ الحجاج، ومشعرُ الكرم، إن
لم تكن مشعرُ الحرم، ومُنَى الضيْف إن لم تكن مِنَى الخيف وقبلة الصّلات،
إن لم تكن قِبلة الصّلاة .

ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيل الأرض واليد

وصَلَ إلى رِواقِ العِزِّ، ومستقرُّ الملْك . حلّ برَبْعِ مانوس، وملكٍ
محروس، وأستقرُّ بساحةِ خِضرة، وحصل على عيشةِ نِضرة، مثلُ إزاء
السّرير، وأقبل على الأرض بالتقبيل . فرَشَ الأرض بيديه فرشاً، ونقش
التراب نقشاً . أقبل على أداء الفُرْض، بتقبيل الأرض . لما رأى قِبلة الأمل،
أقبل على الأرض بالقُبَل مسح الأرض بتعفيره، ووصل سجوده بتكفيره، قبل
اليد العالية بالمكارم، الطاهرة من المآثم . قبلٌ من أنامله مفاتيح الآفاق،

وينابيع الأرزاق. قبل اليد التي هي قبلة القبل وكنز الأمل.

ما يقع في هذا الباب

من ذكر العُصاة والأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم

البطر وكفران النعمة والضميم والإستيلاء

فلانٌ قد أثرى فبغى، وأستغنى فطغى. أرضته الموهبة فتسخطها، وشملته
النعمة فغمطها. نعمٌ ترتع في أكلائها، وتغفل عن شكر آلائها. ما زالت
الأيام تكشف لنا عن مساويه، وغلط رأينا فيه، وتدلل على أن الإحسان إليه
يفسده بقدر ما يصلح من النجيب، والإنعام يضر فيه بقدر ما ينفع في
اللبيب. انكشف عنه حس الإصطناع، عن قبح الإمتناع، وكثرة البر، عن قلة
الشكر أشر حين أنست وحشته، وغدر يوم صفت عيشته، جحد النعمة بعد أن
رفعته عن حمول، وغمط الصنعة وقد أطلعت عن أفول. غمط النعمة التي
أوجدته عن عدم، وحلته عن عطل. أساء مجاورة النعم فكفرها، وجلل
صفحة الصنعة بالغموط فأنكرها. لبس ثوب الخذلان، وجاهر بالبغى
والعدوان، وقابل النعمة بالكفران. حسب أن الغنم في الكفران والكنود، وأن
الثعالب تسطو في مرائب الأسود.

ركوب الهوى وطاعة الأمانى الكاذبة والآراء الفاسدة

قد ركب أضاليل الهوى، وأباطيل المنى، وأحاديث النفوس الكواذب،
ووساوس الآمال الخوائب، هيهات ما أضل ذلك من رأيٍ وأسوأ من اختيار
وأبعده من سدادٍ وصواب، وأخلقه بعائدة وبالٍ ونكال. يفتل في حبل المنى
غارباً وذرى، ويخبط خبط العشواء سبراً وسرى. قدر أن مغمز رأينا يلين له،
وأيدي انتصارنا تقصر عنه، فركب راسه، وأطاع وسواسه. يتمنون الأمانى

الكاذبة، ويظنون الظنون الخائبة. وقد غرته نفسه، وكذبه أمله وحسه. حسب أنه يزاحم ليوث الشرى، بنعام القرى، وآساد الغابة، بأعيار العانة. تأمروا بنجوى الضلالة، وترددوا في كواذب الآمال. رَعَوْا مَرَاتِعَ الظُّنُونِ، ولم يَرَوْا مَطَالِعَ المَنُونِ.

المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر

قد طالت للدولة مُداجاتُهُ، ودامت لأوليائها مماراته. يوهم طاعةً يُضمِرُ خلافها، ويتربص فتنةً يَسْتَدِرُّ أخلافها. ما زال يُوهِمُ وِفاقاً، ويُضمِرُ نفاقاً، ويبدل صدق طاعةٍ وولاء، ويُسِرُّ حَسَواً في ارتغاء. قد تحلّى بموالاتٍ وموافقةٍ لِيَسْتَهْمَا عَلَى مُداجاةٍ ومُناقفةٍ وتجلب طاعة شاكِر طائع، قد أفاضها على جثمان خالع. هو يوكي على الغش عيابه، ويخنو على النكث ضلوعه وحجابه، ولا يُبدي لنا بادية وفاق، إلا عن خافية نفاق، ولا يُطلع طالعة وداد إلا عن خيبة عناد، ولا يبرز في شيمة من شيم التقرّب إلى قلوبنا، إلا كانت غطاءً على حيلة يعملها، وغيلة يرصد لها، وغشاء على فرصة ينتهزها، وغرة يهتلها. طاعة تُبدي صفحتها، وإن لم تُخلص صفتها، يُظهر المُعاضدة، ويبطن المعاندة. هو مُضِبُّ على النفاق، مُعدُّ للشقاق. يلقي الأولياء بوجه، والأعداء بقلب، ويكشر لهؤلاء عن بُغض، ولهؤلاء عن حب. أظهر تسليماً يتخلله لجاج، وأبدي استقامةً يكدرها أعوجاج.

تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان

قد نعي الشيطان في آذانهم فاستجابوا لدُعائه، وحسن لهم إسقاط سلطانهم فأسرعوا إلى ندائه. أوسعهم الشيطان تسويلاً، وأستهواهم تغريراً وتضليلاً. نفخ الشيطان في سحره ومناخره، وضرب بالأسداد بين أوائل أمره وأواخره، وحبب له العناد حتى شيط بلحمه ودّمه، وكره إليه الرشاد حتى ألقاه وراء ظهره وتحت قدمه. صافح الخذلان فغادره رهينا، وقارن الشيطان وساء

قرينا. استزل الشيطان قدمه، وعرض دمه، وأطال ندمه، نزع له شيطانه، وأمتدت في الغي أشطانه، وجد الشيطان بينهم منزعا، ولصائب سهمه فيهم منزعا. عاد الشيطان يسدي ويلجم في إلقاح الشحناء، ويسرج ويلجم في إلقاء العداوة والبغضاء. طوع شيطانه إذ أظله، وزل معه حين استزله. قد أنخرط في سلك، وأظهر كلمة العصيان. أبا إلامتداد عناه، في الانقياد لسيطانه، وأشرداد قواه، في الاستسلام لهواه.

ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان

أقام على الغي الذي هو له موضع، والبغي الذي هو فيه موضع. حلف على الموالاة فحنث، وعهد في المصافاة فنكث، علمت حال فلان في حينه وشقائه، وسفاهة عقله ورأيه ودخوله في ظلمة المعصية، وخروجه من نور الطاعة، وركوبه المركب الذي لا بُد أن يترجل راكمه، بل يتخذل فارسه. فلان قد عصى، وشق العصا، وخلع ربة الطاعة، وفارق ظل الجماعة، جن قلب المجن. عكف على استضلال الغواة، وصار مجنا دون الجناة. قد مد يدا قصيرة، ليتناول غاية بعيدة. فض ختام العافية بالعدر، وبدد شمل الخبر بقلة الشكر. قد شرب كأس الجهالة، وأستوطأ مركب الضلاله، عاد زندق شرة قادحا، وفتي ضره قارحا. قد شملت معرته، وعظمت مضرته. راغ عن المذهب القويم، وزاغ عن الصراط المستقيم. أضله عماه، وزلت به قدماه. تسنم وعد الخطاة العظيمة، وركب ظهر الفتنة الجسيمة. طار في ضلاله ووقع، وتاه في غيه وتسكع. امتطى ظهر الإغتراب، وأطاع داعي البوار ذهب في العصيان شر مذهب، وامتطى من الطغيان أصعب مركب. رشح أطفال الضغائن، وأحيا أموات السخائم، وأدب عقارب الشر، وأدر لقاح الجور، وأيقظ نائم الفتنة، وأوقد نار الحرب. قد نزت به نوازي البطنة، وهدرت على يده شقاشق الفتنة.

في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة

ذكرتُ حديثُ الباحث عن مديته، الأكل لديته، المُتبرِّمُ بعمره، المنتهي إلى آخر أمره. تعرّض لاحتلاب أبلية، وتحكك بأجتذاب المنية. ما هو إلا الفراشة دنت من التبار، فحامت حول النار، والنملة قُرب اجتياحها، فنبت جناحها. قد ثنى إلينا عنقا أعنقت إليه الحتوف، وأبرقت نحوه السيوف. امتطى ظهراً لا ينجو راكمه، ولا يُفضي إلى نُجح صاحبه. فهو بين هلاكٍ ويُرهُقه، وأشراكٍ توثقه وتوبقه، يستعين بالأعناق المنتصبة، على السيوف الملتهبة. مثله في مخالفته طرائق الحزماء، وخلائق الحُصفاء، مثل الفراش المتهافت في الشهاب، والنقد المتهجم على ليوث الغاب. قد خاطر بالنفس، وتصرف مع النُحس. تهافت ألبق في الشهاب، وولوغ الذباب في الشراب. يترددون في مرابض الضراغم، ومكامن الأرقام. تردّد القانص في مراتع الغزلان، ومسارح الظلمان. لا ينهائم عن جيشنا زئير أسوده، ولا يصدّهم عن حمانا ديب أسوده، ما هو إلا دريئة الرماح، وعرضة الحين المتاح فَعَلَ فِعْلُ الباحث عن مديته، المتعجّل إلى انقطاع مُدته، وطار في رأسه. ما أظنه يطيره عن جسده، ويقتطعه ليومه بالجهل عن غده. أعماه غليان دمه، عن موقع قدمه، وأغشاه اشتياق الحتف إلى قبضه، عن شمس أرضه، لم يذر أن عريسة الأسد، ليست من مراسم النقد. هم أعمارُ تناهت بهم الأعمار. هو أول جانٍ على نفسه بيده، ومتعرضٌ لهلاكه بجهد. فلانٌ قد قرع باب البلاء، ووطيء ذنب الحية الصماء، ونطح برأسه الجبل، وأستبطأ الأجل، وطرده العافية عن داره، وأنزل النُحس في جواره، وأستهدف لسهام الحيف، ومشى على حدّ السيف.

في ذكر الظلم وسوء آثارهم على العباد والبلاد

ظلمٌ صريح، وجورٌ فسيح، وأعتداءٌ قبيح. ظلمٌ تراكمت مظالمه وظلمه

وَاَتَصَلَّتْ غَمَائِمُهُ وَغُمَمُهُ . قَدْ مَلَكَتْهُ الْهَزَّةُ لِلظُّلْمِ ، وَأَخَذَتْهُ الْعَزَّةُ بِالْإِثْمِ . بَسَطَ
 يَدَهُ فِي الْمَظَالِمِ يَحْتَقِبُهَا ، وَالْمَحَارِمِ يَرْتَكِبُهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ أَمْلَاكَ مَغْصُوبَةً
 وَمَنْهُوبَةً ، وَرَعَايَا مَأْكُولَةً وَمَشْرُوبَةً ، وَضَرَائِبَ ضَرَبْتَ الْأَمْوَالَ بِالْتَمَحِيقِ ، وَالْبِضَائِعَ
 بِالْتَمْزِيقِ . تَلَّكَ الْبِلَادُ تَلْتَهَبُ بِجَمْرَاتِ ظُلْمِهِ ، وَتُتْنَهَبُ بِبَدْرَاتِ غَشْمِهِ . فَالْحُرْمُ
 مَنْتَهَكَةٌ ، وَالرَّعِيَّةُ مَحْتَنَكَةٌ . رَعِيَّةٌ مَدْفُوعُونَ إِلَى فَقْدِ الرِّيَاشِ ، وَضَيْقُ الْمَعَاشِ .
 قَدْ أَدَاهُمُ الْغَلَاءُ إِلَى الْبَلَاءِ ، وَالْبَلَاءُ إِلَى الْجَلَاءِ وَالْإِضَاقَةِ ، إِلَى الْفَاقَةِ ،
 وَصَارَتِ الْخِصَاصَةُ فَوْضَى بَيْنِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، أُمْرًا وَهُمْ عَجْزَةٌ قُعْدَةٌ ،
 وَكُتَابُهُمْ خُونَةٌ مَرَقَةٌ ، فَالْأَعْرَاضُ بَيْنَهُمْ مَنهُوكَةٌ ، وَالْأَسْتَارُ مَهْتُوكَةٌ . وَالْدَّمَاءُ مَسْفُوكَةٌ ،
 وَالْأَمْوَالُ مُجْتَاخَةٌ ، وَالْدِّيَارُ مُسْتَبَاحَةٌ ، وَالْحُرُّ بِالْعَرَاءِ مَنبُودٌ ، وَالْوَعْدُ مُكْرَمٌ
 مَصْفُودٌ . أَوْلَيْتَ قَوْمَ رَضِيْعِهِمْ قَدْ غُذِيَ بِالْعُدْوَانِ حَتَّى دَبَّ ، وَصَبِيْهِمْ رُبِّيَّ
 بِالطُّغْيَانِ حَتَّى شَبَّ ، وَشَابَهُمْ قَدْ تَدَرَّبَ بِالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ حَتَّى شَابَ ،
 وَشِيخَهُمْ قَدْ أَضْبَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْفُسُوقِ حَتَّى أَفْتَرَشَ التُّرَابَ . بِلَادٌ مَعَالِمُ
 الْحَقِّ فِيهَا دُرُوسٌ ، وَالسِّينَةُ الْعَدْلُ بَيْنَهَا خَرِيسَةٌ ، وَرِيَاخُ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ هَبَّتْ فَلَا
 تَرْكُدُ ، وَأَشْخَاصُ الظُّلْمِ وَالْإِثْمِ مَثَلَتْ فَلَا تَقْعُدُ . جَعَلُوا يُغَيِّرُونَ وَيُبَيِّرُونَ ،
 وَيُثَيِّرُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ مَا يُثَيِّرُونَ . لَا عَنَ الدَّمَاءِ كَفُؤًا ، وَلَا عَنَ الْفُرُوجِ عَفُؤًا . مَا
 الذُّئْبُ فِي الْغَنَمِ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَا السُّوسُ فِي الصُّوفِ فِي
 الصَّيْفِ عِنْدَهُ إِلَّا بَعْضُ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا الْحَجَّاجُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَهُ إِلَّا أَوَّلُ
 الْعَادِلِينَ ، وَلَا فِرْعَوْنُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا قَابَلْتَهُ بِهِ إِلَّا مِنْ الْمَلَائِكَةِ
 الْمُقْرَبِينَ . مَا تَرَكَ لِرَعِيَّتِهِ فَضَةً إِلَّا فَضَهَا ، وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلَا عِلْقًا إِلَّا
 أَعْتَلَقَهُ ، وَلَا عَقَارًا إِلَّا عَقَرَهُ ، وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ، وَلَا
 مَالًا إِلَّا مَالَ عَلَيْهِ ، وَلَا عَرَضًا إِلَّا تَعَرَّضَ لَهُ ، وَلَا حَالًا إِلَّا حَالَ عَلَيْهَا ، وَلَا
 مَاشِيَةً إِلَّا أَمْتَشَّهَا ، وَلَا فَرَسًا إِلَّا أَفْتَرَسَهُ ، وَلَا سَبْدًا إِلَّا أَسْتَبَدَّ بِهِ ، وَلَا بِرَّةً إِلَّا
 بَرَّهَا ، وَلَا نِجْلَةً إِلَّا خَلَعَهَا ، وَلَا جَلِيلًا إِلَّا اجْتَلَاهُ ، وَلَا دَقِيقًا إِلَّا دَقَّه .

ذكر الهرج وكثرة الفتنة

رَفَعَتِ الْفِتْنُ أَجْيَادَهَا، وَجَمَعَتِ لِلشَّرِّ أَجْنَادَهَا، وَأَطَالَتْ سَوَاعِدَهَا، وَأَعْلَتِ قَوَاعِدَهَا، وَآلُ نَاجِمِهَا قَادِحًا، وَعَادَ جَدْعُهَا قَارِحًا. نِيرَانُ الْفِتْنَةِ تَشْتَعِلُ أَشْتَعَالًا، وَرَايَاتُ الْهَرَجِ تَخْفِقُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فِي كُلِّ دَارٍ صَرْخَةٌ، وَفِي كُلِّ دَرْبٍ نَعْرَةٌ، وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ظَالِمٌ لَا يُنْصَفُ، وَمَظْلُومٌ لَا يَنْتَصِفُ. فَالنَّهَارُ لَيْلٌ بِالدُّخَانِ، وَاللَّيْلُ نَهَارٌ بِالنِّيِّرَانِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رُسُومِ الْإِسْلَامِ غَيْرُ شَهَادَةِ الْإِيمَانِ وَإِقَامَةِ الْأَذَانِ. كَمْ فِشَا فِيهِمْ مِنْ قَتْلِ ذُرَيْعٍ، وَضَرْ وَجِيْعٍ، وَهَرَبٍ وَجَلَاءٍ، وَضَنْكٍ وَبَلَاءٍ، وَنَارٍ مُضْطَرَمَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُحْتَدِمَةٍ. كَانُوا كَالْغَنَمِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا رَاعِي لَهَا، وَالْإِبِلِ السَّائِمَةِ الَّتِي لَا سَائِقَ مَعَهَا. الْمَمْلَكَةُ شَاغِرَةٌ، وَأَفْوَاهُ الْفِتَنِ فَاعِرَةٌ. قَدْ شَهَرُوا سِيُوفَ الْفِتْنَةِ، وَشَبُّوا ضِرَامَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ. قَدْ كَشَفَتِ الْفِتْنَةُ قِنَاعَهَا، وَخَلَعَتِ عِدَارَهَا، فَتَحَوَّلَتِ الرُّؤُوسُ أَذْنَابًا، وَالْعَبِيدُ أَرْبَابًا، وَالْغَنَمُ ذُنَابًا. أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ وَهِيَ قَنًا تَشْطِي، وَنَارٌ تَلْطِي، وَنَاسٌ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. نَعَرَتِ الْفِتْنَةُ، وَوَقَعَتِ الْعَثْرَةُ، وَمَاجَ الْأَمْرُ، وَجَمَحَ الدَّهْرُ، وَأَنْخَرَطَ سَلِكُ الْأَمْنَةِ، وَشَالَتْ نِعَامَةُ السَّلَامَةِ، وَأَنْقَطَعَ شِرْيَانُ السِّيَاسَةِ، وَتَمَزَّقَ ثَوْبُ الْمَعِيشَةِ، وَقَامَتِ سَوْقُ الدَّعَاةِ، وَأَنْجَرَ ذَيْلُ السَّرْقَةِ. نَوَاحٍ مَعَالِمُ الدِّينِ فِيهَا مُضَاعَةٌ، وَدَوَاعِي الشَّيْطَانِ بِهَا مُطَاعَةٌ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هَيْجِ الرِّعَاعِ، وَتَحَزُّبِ الْأَشْيَاعِ، وَتَأْمُرِ الْأَذْنَابِ وَالْأَتْبَاعِ. الْبَلَدَةُ نِيرَانٌ تَضْطَرِمُ، وَجَمْرَاتٌ تَحْتَدِمُ بَيْنَ فِتْنَةٍ نَائِرَةٍ، وَأَضْطِرَابِ نَائِرَةٍ، وَأَهْلِهَا سَوَامٌ بِلَا رُعَاةٍ، وَجُنْدٌ بِلَا حُمَاةٍ. فَلَانٌ نَاتِجٌ تِلْكَ الْإِجْنِ وَمَوْثَرُهَا، وَمَوْقِدٌ تِلْكَ الْفِتَنِ وَمَوْرَثُهَا. كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ شَبَّهَا، وَغَارَةٍ شَنَّهَا. قَدْ أَلْهَبَ الْفِتْنَةُ وَأَثْقَبَ جَمْرَهَا، وَأَرِثَ نَارَهَا، وَتَوَلَّى كِبْرَهَا. هُوَ الَّذِي هَاجَ تِلْكَ الْفِتْنَ وَأَبَاحَهَا، وَأَثَارَ تِلْكَ الْإِخْنَ وَصَارَ لِقَاحَهَا. كَادَ الْإِسْلَامُ يَضْعَفُ رُكْنَهُ، وَالشَّرْكَ يَصْدُقُ ظَنَّهُ.

التحذير والأندار والأهابة إلى الرشاد

رأى مولانا أن يأخذ بسنة الإعدار، ويحذر عاقبة الإصرار، ويقدم كلمة الاستظهار، ويلقي إليهم الإنذار، قبل الإنكار. من أنقاد لحكمه، ووقف عند رسمه، فقد حمى رُوحه وماله وأهله وحاله، ومن أضرم في الفتنة ناراً، ورفع لها مناراً، فقد أباح من نفسه المحذور، ومن ملكه الحُجر المحجور، ولحقه ما يتركه سُمعة رادعة، ومثلة وازعة. من تعدى طوره، وتخطى قدره، فلا أنقباض بعد توقيفه، عن تثقيفه، وبعد الإعدار إليه، من الإنكار عليه، لا يألوهم نصحا، قد اعترضتهم سنة الغفلة دون تمثله، ولا يزجرهم وعظاً، قد خامرتهم سكرة الغيرة قبل تقبله. قد قدم النذر، ونبد العذر، زمجرة الليل قبل الإفتراس، ونضنضة الصل قبل الانتهاس، وإنباض النابل للنذير، وإيماض السائق للتحذير أبصروا رشدكم، وأعرفوا قصدكم، قبل أن ينتقل معكم عن إنفاذ الكتب إلى تسريب الكتائب، وعن توجيه الرُّسل إلى إرسال المقانب. إن جعلت المراوغة حجاباً، وأصدرت بالمدافعة جواباً، أبدلناك الحسام، من الأقلام، والأفواج، من الأدراج، ولم نرض بغير الرِّماح رسلاً تختلف، ولا بغير السهام وسائط تتردد.

في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة
قد نكب عن وجه الرشاد على عين بصيرته بالأسداد. صم عن النذير،
وقد أسمعته ووعظه، وأتى على النصيح وقد حذره وذكره، أبي له ضعف
العقل والنحية، ولوم الطبع والغريزة إلا إصراراً على طيشه وسفهه،
وأستمراراً في غيه وعمه حتى كأن الوعظ أغراه، والرشاد أغواه. فلان جامع
لا يرجع، ومُضِب لا ينزع، ومُضِر لا يُقلع، أخذت العزة بسمعه وبصره،
واقطعته الحيرة عن تدبره وتبصره. يلقي الوصية بالاطراح، ويدفع الطاعة بالراح.

توقظه العبر فلا يستيقظ، وتعظه الآيات والنذر فلا يتعظ. هو من لا تكف الموعظة غرب جهالته، ولا تفل النصيحة حد ضلالته. يصغي إلى الرشد بمسمع أصم، ويعطس في العناد بأنف أشم. قد غطى الخذلان على سماعه وعينه، وحال بين قلبه وصدرة، وملك عليه الشيطان مسارب عزمه، ومساري فكره. قد تحولته بالموعظة هادياً من حيرته، ومُستشلياً من غمرته، فناداه الخذلان بأن صمم فأصر، قال له الشيطان تمم فاستمر. كاني أغرته، فناداه حين نهيته، وأغويته حين هديته، وأعميته حين بصرت، وخذلته حين نصرته. أولئك قوم قد أخذ الله بأسماعهم وأبصارهم، وقرن الخذلان بأعوانهم وأنصارهم. جهالة عموا بها عمياء، وغشاوة مدت على دهمائهم دهماء.

ابراز صفحة المنابذة

أبرز صفحة المكاشفة، وكشف قناع المخالفة، وسار على مدارج الغرور، وأثار كوامن الثبور. ما ظننت الجهل يستمر كل هذا الاستمرار، حتى يستوفي كتاب الخذلان، ويستغرق صحيفة الإدبار. قد متك حجاب نفاقه، وأظهر مكنون شفاقه، فأنحرف وخالف، وجاهر وكاشف، وأظهر مكنون سره، وأبدي كامن شره، وأقدم على العظمى، وصرح بجحد النعمى. كشف قناع الحشمة، وخرق حجاب الهيبة. بارز سلطانه بالمحادثة، وجاهره بالمضادة، مُستبدلاً بعز تذلله، ذل تعززه عليه، ومعتاضاً من أمنة سعيه في رضاه، خيفة مخالفته إياه.

استيجاب التكبر والمعاقبة

أما الكبائر التي تحكي عنه فالواحدة منها ترفع رخصة الحكم، وتبدي الهجنة في الصفح. قد جرت منه هنات اقتضت أن تعرف قدره، وتلقي بما يشجي صدره. قد أوجب مروقته من الطاعة، وفسوقه بغاية الإستطاعة، إن ترتجع عواري النعم من يديه، وتفاض ملابس النقم عليه. لا يغني فيه

التَّوْقِيفُ دُونَ التَّثْقِيفِ وَالتَّعْلِيمِ، دُونَ التَّقْوِيمِ، وَالْإِعْذَارُ وَالْإِنذَارُ دُونَ الْإِيقَاعِ وَالْإِيجَاعِ. هُوَ بَعْرُضُ إِنْكَارِ يُسَيْلِ دُمُوعِهِ، وَيُقِيمُ ضُلُوعَهُ. قَدْ أُسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَلَ أَثْقَالُ الْمَعَاقِبَةِ، وَيُعْرَفَ آيَاتُ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. أَنْزَلَهُ مَنْزِلَةً مِثْلَهُ مِمَّنْ أَسَاءَ حِفْظَ الْوَدِيعَةِ، وَجَوَارِ الصَّنِيعَةِ، فَاسْتَوْجِبَ نَزْعَهُمَا مِنْهُ، وَتَحْوِيلَهُمَا عَنْهُ. ضَاقَ بِهِ كَنْفُ الْعَفْوِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الطُّوْلِ. قَدْ أَسْوَدَّتْ صَحِيفَتَهُ، وَأُغْلِقَ بَابَ التَّوْبَةِ دُونَهُ، وَحِيلَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَبَيْنِهِ. عَثْرَاتُهُ مَحْظُورَةٌ عَلَى الْإِقَالَةِ وَهَنَاتُهُ تَجْنِي لَهُ ثَمَرَ الضَّلَالَةِ.

الأبراق والأرعاد

سَيَعْلَمُ الْمَخْذُولُ كَيْفَ يُرْمَى بِحَجْرِهِ، وَتَشْبَعُ أَلْوَحُوشُ مِنْ جَيْفَتِهِ وَنَفْرِهِ، الْأَهْبُ لَأَسْتِيصَالِهِ مَأْخُودَةً، وَالسِّيُوفُ لِقِتَالِهِ مَشْحُودَةً. سَيَلُغُ فِي بَابِهِ مَا يَتَأَدَّبُ بِهِ كُلُّ جَامِحٍ فِي عِنَانِهِ، وَطَامِحٍ إِلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ. سَتْرَاهُ وَلَيْسَتْ لَهُ عَيْنُ طَارِفَةٍ، وَلَا جِئَةٌ وَاقِفَةٌ لِأَكْشِفْنَهُ لِكُلِّ لَيْلٍ بَارِدٍ، وَنَهَارٍ وَاقِدٍ. سَيَنْزِلُ بِأَوْلَيْكَ الْأَعْمَارُ قَاطِعَاتِ الْأَعْمَارِ. إِمَّا ذَلٌّ وَاسْتِكَانٌ، وَإِمَّا هُلْكَ فُقُتْلٌ قَدْ كَانَ. قَدْ تَكُونُ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ، وَلِلْفَسَادِ مُهْلَةٌ. ثُمَّ تَأْتِي مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِصْطِلَامِ، مَا يَسْقُطُ الْهَامُ عَلَى الْأَقْدَامِ. أَمَا فَلَانٌ فَسِيرَاقٌ عَلَى الضَّلَالِ دَمَهُ، وَتَتَطَايَرُ عَلَى الْجَذُوعِ رِمَمُهُ. لَمْ يَذُرْ أَنَّ الْعَزِيمَةَ مِنْ مَوْلَانَا تَتْرُكُ أَمْثَالَهُ مِثْلًا، وَتَجْعَلُهُ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ مِثْلًا. أَمَا عَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا إِذَا رَمَاهُ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَفْكَارِهِ وَمَسَّهُ بِجَذْوَةٍ مِنْ نَارِهِ. عَادَ حَرْصُهُ نَدْمًا، وَصَارَ وُجُودُهُ عَدْمًا، وَغَوَدِرَ أَشْيَاغُهُ بَدْدًا، بَلْ طَرَاقِ قِدَادٍ. أَتَدْرُونَ وَيَحْكُمُ فِي أَيِّ حَتْفٍ تَوَرَّطْتُمْ، وَأَيِّ شَرٍّ تَأْبَطْتُمْ. إِمَّا فَطَمَكُمُ عَنْ رَضَاعِ الْحَيْفِ، وَإِمَّا حَسَمَكُمُ بَغْرَارِ السَّيْفِ، تَمَثَّلْ هَذِهِ الْمَقَانِبَ، وَتَصَوِّرْ هَذِهِ الْكِتَائِبَ، وَأَخْطِرْ بِبَالِكَ قَلْبَهَا، فَإِنَّ قَلْبَكَ يَدُلُّ عَلَى حَالِكَ، وَمَيِّمَتُهَا فَإِنَّ يَمِينَكَ تَتَقَاصِرُ عَنْ شِمَالِكَ؛ وَمَيْسِرَتُهَا فَإِنَّ الْيُسْرَى تَتَرَاوَعُ عَنْ أُمُورِكَ، وَجَنَاحُهَا فَإِنَّكَ تَجْنَحُ عَنْ كَافَّةِ شُؤُونِكَ.

احتشاد العدو

حَشَرَ وَحَشَّدَ، وَأَسْتَمَدَ وَاسْتَنْجَدَ وَأَسْتَعَدَّ، كَاشَفَ وَبَادَى، وَحَشَرَ فَنَادَى، حَشَدًا وَحَشَرَ، وَضَمَّ وَنَشَرَ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ، وَالْفَتْ أَلْفَافَهُ. قَدْ أَسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ فِي تَكْثِيرِ الْعَدَدِ، وَتَوْفِيرِ الْعُدَدِ، وَتَقْدِيمِ الْمَرَاوِدِ، وَتَوْكِيدِ الْمَكَائِدِ. جَمَعُوا شَوْكَهُمْ وَشَجَرَهُمْ، وَجَرُّوا مَدْرَهُمْ وَوَبَّرَهُمْ، وَأَسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ وَقَدْرَهُمْ. نَفَضَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادَ أَحْرَارَهَا وَعَبِيدَهَا، وَأَخْرَجَتْ عُذَّتَهَا وَعَدِيدَهَا. رَمَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادَ بِأَفْلَازِ كَبِيدَهَا، وَأَخْرَجَتْ أَرْضَهَا أَثْقَالَهَا مِنْ عَدِيدِهَا وَعُدَدِهَا. أَسَالَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادَ سَيْلَهَا، وَجَمَعَتْ مِنْ أَسْلِحَتِهَا نَهَارَهَا، وَمِنْ سَوَادِهَا لَيْلَهَا.

ذم جيش العدو

زَحَقَ إِلَيْهِ بِمَا أَحْتَطَبَ فِي لَيْلِهِ، وَقَمَشَ مِنْ غُثَاءِ سَيْلِهِ. نَهَضَ بِمَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ، وَأُوبِاشِ الْأَمْصَارِ. اغْتَرَّ بِمَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ فَلَ الْخِيُولِ، وَغُثَاءِ السِّيُولِ، وَرَذَايَا الْمَلَا حِمِّ، وَبَقَايَا الصَّوَارِمِ. تَنَابَحَتْ إِلَيْهِ كِلَابُ الْغَارَةِ الشَّعْوَاءِ، وَتَعَاوَتْ لَدَيْهِ ذَنَابُ الصَّيْلِمِ الصَّمَاءِ. خَرَجَ بِمَنْ لَفَّ لَفَّهُ، وَصَافِحَ عَلَى الضَّلَالِ كَفَّهُ مِنْ أَشْيَاعِ الْغَوَايَةِ، وَأَتْبَاعِ الْغَوَايَةِ. جَمَعَ مَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ، وَخَشِيشِ الْبِوَارِ. أُولُوكَ الْكِلَابُ الْغَوَايَةِ، وَالذَّنَابُ الْغَوَايَةِ. عُصْبَةُ الضَّلَالِ وَعَصْبَةُ الْخَبَالِ. تِلْكَ الْعَصْبَةُ الْمَعْصُوبَةُ بِالثِّيَابِ، الْمَعْصُوبَةُ عَلَى الْأَلْبَابِ. كُلٌّ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَصْنَافِ الْأَتْبَاعِ، وَالْعَوْمِ الرَّعَاعِ. مَنْ لَا يَقِيمُ لَهُ وَزْنَ، وَلَا يَتَمَثَّلُ لَهُ أَمْرًا، وَإِنَّمَا نَصَبُوهُ سُلْمًا لَهُمْ إِلَى الْأَمْوَالِ الْمُسْتَهْلِكَةِ، وَالْمَأْكَلِ الْمَوْبِئَةِ، وَالْمَوَارِدِ الْمُرْدِيَةِ.

استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم

سَحَائِبُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعَ، وَعُرُوقُ بَاطِلٍ لَا تَمَهَّلُ أَوْ تُقَطَّعُ. لَا تَهْوَلَنَّكَ كَثْرَةُ الْأَرْجَاسِ فَإِنَّهُمْ أَزْوَادُ الضُّبَاعِ، وَأَكَالُ السَّبَاعِ، وَمَشَارِعُ

السُّيُوفُ، وَمَرَاتِعُ الْحُتُوفِ. مَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَزَجْرَةٌ رَاصِدَةٌ، حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِي دِيَارِهِمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ. هُوَ غَرَضُ الْجَوَائِحِ، وَهَدَفُ الْخَوَاطِفِ، وَأَتْبَاعُهُ رِجْلُ جَرَادٍ فِي رِيحٍ يَوْمٍ عَاصِفٍ. أَقْبَلَ فِي شِرْذِمَةٍ هِيَ لَجِيُوشُ السُّلْطَانِ بِمَنْزِلَةِ الْبَغَاثِ لِلْجَوَارِحِ الَّتِي تَعْتَدُّهَا لُحْمَةً، وَتَتَّخِذُهَا طُعْمَةً. هُمْ فَرَائِسُ الْجِمَامِ، وَأَهْدَافُ السَّهَامِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا جَرَادٌ مَجْرُودٌ، وَقَنْصٌ مَصِيدٌ أَوْ مَطْرُودٌ، الْمَتَالِفُ لَهُمْ رَاصِدَةٌ، وَإِلَيْهِمْ قَاصِدَةٌ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا نُهْزَةٌ الطَّالِبِ، وَفُرْصَةٌ الْغَالِبِ، وَطُعْمَةٌ الْآكِلِ، وَجُرْعَةٌ الشَّارِبِ. جَاءَ فِي أَقْلٍ لُمَّةٌ، وَأَضْعَفَ شِرْذِمَةً. وَنَوَازِلُ الْغَيْرِ بِهِمْ مُحَدِّقَةٌ، وَسَهَامُ النَّقِمِ لَهُمْ مَفُوقَةٌ.

قرب العدو من الهلاك

هُوَ مُحَاطٌ بِهِ وَكَأَلْمَأْخُودٍ بِنَاصِيَتِهِ. قَدْ أذِنَ اللَّهُ فِي قَطْعِ أَكْلِهِ، وَأَدْنَاهُ مِنْ حَاضِرِ أَجَلِهِ. مَا هُوَ إِلَّا فُرْصَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، وَالْهَلْكَاءُ وَقَفَتْ لَهُ بِكُلِّ مَرْصِدٍ. قَدْ رَصَدَهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ وَظِلَامُ اللَّيْلِ. لَتَجَنَّهُ أَرْحَامُ الْأَرْضِ، أَوْ يَنْشُرَ مَنْ بَطُونِ السَّبَاعِ. وَالطَّيْرُ قَدْ حُصَّ جَنَاحُهُ، وَدَنَا اجْتِيَاحُهُ. مَا هُوَ إِلَّا صَفَاةٌ أَنْ قَرَعَهَا بِلِ قَلْعُهَا، وَقَنَاةٌ قَدْ حَانَ صَدْعُهَا بِلِ قَطْعِهَا. دَعَائِمُهُ مَخْفُوضَةٌ، وَمَرَاثِرُهُ مَنقُوضَةٌ. وَاللَّعْنَةُ بِهِ مَعْصُوبَةٌ، وَالْهَلَكَةُ عَلَيْهِ مَكْتُوبَةٌ. قَدْ أَحْتَفَّتْ بِهِ النَّوَائِبُ تَصْرُفِ أَنْبِيَائِهَا، وَصَمَدَاتُ لَهَا الْحَوَادِثُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا، وَأُنْحَتُ عَيْهِ الْخُطُوبُ تَخْطُبُ بِحَتْفِهِ، وَلُزَّتْ بِهِ الصَّرُوفُ تَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

فيمن يسعى بقدمه إلى مراق دمه

قَدْ طَارَ بِجَنَاحِهِ، إِلَى مَوَاضِعِ اجْتِيَاحِهِ. يَمْشِي إِلَى حَتْفِهِ بِأَخْمَصِيهِ، وَيَبْحَثُ عَنْ مُدَيْتِهِ بِيَدَيْهِ. تَحْفِزُهُ إِلَى مَصْرَعِهِ الْأَضَالِيلُ، وَتُعَجِّلُهُ إِلَى مَهْلِكِهِ الْأَبَاطِيلُ. اسْتَخَفَّهُمُ الْخَيْنُ الْمُتَاحُ، وَأَسْتَحْتَّهُمُ الْقَدْرُ الْمُجْتَاخُ. جَدَّ بِهِمْ

أستعجالُ آجال، وتصوّرت لهم المَنيا في صُورِ الأمانى والآمال. ساروا
وآجالُهُم تفسح لهم في مطامعهم، ومناياهم تُحثُّ مطاياهم إلى مصارعهم.
أقدموا راكبين للغرر، مُستسلمين للغير. تجذبهم كواذبُ الأطماع بمقاود
نفوسهم، إلى مقاطع رؤوسهم، وتسوقُهُم بأزمة معاطسهم، إلى مظان متاعسهم.
نقلهم الله بأقدامهم، إلى مصارع حمامهم. توجهت تلك العساكر المخذولة
يسوقها رهن ضلالها، إلى انتهاء آجالها، ويقودها حاضر دمارها، إلى انقضاء
أعمارها.

ذكر انخزال الأعداء ووهلهم واستيلاء الرعب عليهم قبل المحاربة

نُصِرنا بالرعب عليهم، حتى أصبحت المهابة سُيوفاً خواطِر في قلوبهم،
وراحت المخافة رماحاً خواطِف لِنفوسهم، ملكه دُعرُ أراه دُورَة مُتسَفِّة،
وجيوشه مُختطفة، وبلاده مُمتلِكة، ومعاقلة مُنتهكة. أحواله قد تداعت،
ونفوسُ أصحابه قد ارتاعت، تمثّل له الأجل، فملكه ألوجل، وأستطاره
ألوهل، فلن يطول به ألمهل. ناوشوا بقلوب غمرها ألوجل، وأيدٍ قد أضعفها
ألوهل. فالسواعدُ غيرُ مُساعدَة، والأعضاءُ غيرُ معاضِدة. أخذت مبانِيهم
تتنقض، ودعائمهم تتقوّص، وزنادهم تصلِّد، ورياحُهُم تركُد. فلم يطو مولانا
إليهم منزلاً إلا تضاعفوا ضعفاً وتخلخلوا، ولم يدن منهم منهلًا إلا أزدادوا وهناً
وتزلزلاً. لا يُمرُّون حبلاً إلا أوثقوا بقواه، وخنقوا بعراه، ولا يُلهبون ناراً إلا
عُوجلوا بضرِّرها، وأبيدوا بشرِّرها. ساء صباحهم، وقرب اجتياحهم،
وتطايَرت فرقا أرواحهم. أشعرت نفوسهم التلاقي، فبلغت التراقي، عَلِموا أن
ألقرع لا يُثمر إلا قرع صفاتِهِم، والنزاع لا يُنتج إلا نزع شباتِهِم. استبدلوا
بالتطاول تضاولاً، وبالتجُّلد تباعداء، ورأوا الأنوارَ ظلماً، والأشخاصَ بهماً،
والآكام رجالا، والجبالَ خيلاً عجالا. لما رأوا الرّايات المنصورة تخفقُ خفقت
عليها قلوبها، وتمثّل لها أن قد وجبت جُنوبها. انزعج من مكانه بقلب هُلوع،

وَرُوعٍ مَرُوعٍ . أَحْسَسَ قُرْبَ الْمَوْتِ وَضَيْقَ الْعَيْشِ ، وَضَعْفَ الْجَاشِ وَأَضْطِرَابَ
الْجَيْشِ . تَقَدَّمَهُمُ الْأَخْبَارُ وَهُمْ يَتَأَخَّرُونَ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ .

مسير الملك في جيوشه والتفؤل له

سار مولانا وآلسماء تحسدا الأرض لسيّره، والنجوم تود لو جرت مع سنابك
خيّله . أقبل مسعود الكواكب، منصور المواكب . سار تخرج معه الأرض
أثقالها، وتسير الغبراء جبالها . نهض مولانا والأرض سائرة بمسيره، والأقدار
صائرة إلى تدبيره . نهض وآلسعود توكبه، والمناجح تصاحبه، ومعونة الله
تقدمه، وصوائب العزمات تخدمه . جلل مولانا هذا الخطب عظم حركته،
وغشاه كبر مسيره عن دار مملكته . فكادت آلسماء تميد إعظاماً لنهوضه،
والأرض تسير مع خيوله . نهض مجرداً عزمه لقصدهم، ومحصداً رأيه في
حصدهم . ركب في أنصار حقه، وأعوان ملكه، فكادت الأرض تزحف،
والجبال تزحف، والأفلاك تقف، والكواكب تكف . سار بأسعد الطوالع
وآلفواتح، وأحمد الميامين والمناجح، بجيوشه التي لا تحصرها الأعداد، ولا
يقاس بها الأجناد، فحسبت الأرض ترحل برحيلها، وتسير مع حوافر خيولها .
سار مولانا في جيوشه فخيّلت الأرض مائجة، والبحار هائجة، والنجوم
منكدرة، وآلسماء منقطرة، خرج والمناجح تطرق بين يديه، والميامن تسير
حواليه، وآيات الظفر تُقرأ من ذوائب أعلامه وبنوده، وآيات النصر تخفق
على مراكبه وجنوده . أقبل والإقبال حاجبه، والنصر صاحبه، والصنع
مصاحبه، وآلظفر يقدم أعلامه، والقدر يخدم أيامه . نهض وآلسيول تقصر عن
دهماء جيوشه وجنوده، وآلنجوم تغمض عن ضياء ألويته وبنوده، وآلنجم يُقرأ
من نواصي خيله، والأرض تضحك عن آثار عدله وخيره . سار معبي الجيش،
رابط الجاش، أصيل الرأي والحزم، ملتئم التدبير والعزم . زحف إليهم
زحفاً، ملأ قلوبهم رجفاً . استقل به المسير شائماً بروق العز، مُقدماً كتائب

الرَّعْب، مُسْتَصِجِباً مَفَاتِحَ النَّصْرِ. أَقْبَلَ وَالِدُنِيَا تَسِيرُ بِسِيرِهِ، وَخُدُودُ النُّجُومِ فِي سَنَابِكِ خَيْلِهِ. سَارَ يَقْدُمُهُ جَنْدٌ مِنَ الرَّعْبِ وَالذُّعْرِ، وَيَتَّبِعُهُ مَدَدٌ مِنَ الصَّنْعِ وَالنَّصْرِ. أَقْبَلَ فِي مَرَاقِبِ أَعْلَامِهَا تَخْفُقُ بِالنُّجْحِ، وَطَبُولُهَا تَنْطِقُ بِالْفَتْحِ. بَرَزَ وَقَدْ جَهَّزَ أَوْدَ الْمَلِكِ مِنْ حُمَاتِهِ، وَأَعْيَانَ الْأَرْضِ مِنْ كُمَاتِهِ، وَرَايَاتِهِ تَكَادُ تَنْطِقُ بِالنُّجْحِ، وَيُمْلِي بِأَسِنَّتِهَا كِتَابَ الْفَتْحِ.

وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة

خَيْلٌ، كَقِطْعِ اللَّيْلِ، وَرِجَالٌ، خُلِقُوا لِقَطْعِ الْأَجَالِ. جِيُوشٌ تَرْجِفُ لَهَا الْأَرْضُ، وَيَسْتَوِي بِهَا النَّشْرُ وَالخَفْضُ، خَفَّتْ الْجِيُوشُ فِخْلَتِ الْجِبَالِ سَائِرَةً، وَالْبَحَارَ ثَائِرَةً. جِيُوشٌ يُرَوْنَ مِنَ الْكَثْرَةِ قِطْعَ لَيْلٍ أَسْفَعُ، وَمِنَ الْحَدِيدِ وَجَهَ نَهَارٍ قَدْ مَتَعَ. مَوَاكِبُ ضَاقَتْ عَنْهَا مَنَاكِبُ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ. جِيُوشٌ يَغْضُ بِهَا الْفَضَاءَ، وَيَسْتَكِينُ بِهَا الْقَضَاءَ، وَتَضْيِقُ عَنْهَا الْأُوطَارُ، وَتَخْشَعُ لَهَا الْأَقْدَارُ. جَيْشٌ كَاللَّيْلِ، بِكَثْرَةِ الْخَيْلِ، وَكَالنَّهَارِ، بِوُضُوحِ الْآثَارِ. عَسَاكِرُ تُتَابِعُ أَفْوَاجُهَا، وَتَتَدَاغُ أَمَاجِهُهَا. جَرَّ إِلَيْهِمْ جِبَالَ الْحَدِيدِ، وَأَطْلَقَ أَعِنَّةَ الْأَسْوَدِ السُّودِ. عَسَاكِرُهُمْ آسَادٌ وَبِحَارٌ، وَأَقْضِيَةٌ وَأَقْدَارٌ، وَجِبَالٌ أَطْوَادُهَا هَمَمٌ وَنَفُوسٌ، وَنُجُومٌ أَسْلَحَتُهَا أَقْمَارٌ وَشُمُوسٌ. مَلَأَ الْمَلَاخِيَةَ وَرِجَالَهَا، تَحْمَلُ أَوْجَالَهَا وَأَجَالَهَا حُسْبَتِ الْأَرْضِ تَرْتَحِلُ بِرَحِيلِهِمْ، وَتَسِيرُ مَعَ حَوَافِرِ خَيْوَلِهِمْ. طَلَعَتْ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُطَايَا، عَلَيْهَا الْمَنَايَا، وَالسِّيُوفُ، فِي ظُبَاهَا الْحَتُوفُ. بِإِدْرَاةِ أَفْوَاجِهَا وَأَرْسَالِهَا، وَأَنْفَرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً. عَسَكْرٌ وَافِرٌ الْمَدَدِ، كَثِيرٌ الْعَدَدِ كَثِيفٌ الْعُدَدِ.

وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب

كُلُّ بَاسِلٍ قَدْ تَعَوَّدَ الْأَقْدَامَ، حَيْثُ تَزَلُّ الْأَقْدَامُ، وَشَجَاعٌ يَرَى الْإِحْجَامَ، عَاراً لَا تَمْحُوهُ الْأَيَّامُ. سَيْفُهُ أُمَّ الْأَجَالِ، وَرَمْحُهُ يُتَمُّ الْأَطْفَالِ. مَا لِسَيْفِهِ غَيْرُ الرَّقَابِ، قَرَابٌ إِذَا أَفَاضَ قَدَاحَ الْقِتَالِ قَمَرَ آجَالِ الرَّجَالِ. قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ

دِمَاءَ، وَالسَّمَاءَ هَبَاءً. حَجَلُ الْخَيْلِ بَدْمَاءٌ أَعَادِيهِ، وَجَعَلَ هَامَاتِهِمْ قَلَانِسَ رِمَاحِهِ. نَهَضَ كَاللَّيْثِ الْحَادِرِ، وَالشَّجَاعِ الْثَائِرِ، وَالْحُسَامِ الْبَاتِرِ. عِقْبَانُ خَيْولٍ فَوْقَهَا أُسْدُ جُنُودِ. أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِيهَا، وَارْتَضَعُوا لِبَانِهَا، وَعَرَفُوا مِرَاسِهَا، وَأَلْفُوا مِسَاسِهَا، كَالْأَسْوَدِ إِقْدَامًا، وَالنَّيْرَانَ أَضْطِرَامًا. بِأَمْثَالِهِمْ تَشْحَنُ أَطْرَافُ الصَّفُوفِ، وَعَنْ قِسِيهِمْ تَصْدُرُ رُسُلُ الْحَتُوفِ. رِمَاحُهُمْ ظِمَاءٌ، وَشَرَابُهَا دِمَاءٌ، وَسِيُوفُهُمْ هِيَامٌ، وَمَشَارِعُهَا نَحُورٌ وَهَامٌ، خَيْولُهُمْ سَنَابِقُ الْفُوتِ، وَسَهَامُهُمْ بُرْدُ الْمَوْتِ، وَحِمَلَاتُهُمْ آتِي السَّيْلِ، وَمَجِيئُهُمْ مَجِيءُ اللَّيْلِ. لَا يَمْلُونُ الشَّرَّ إِذَا خَرَسَتْ الْأَبْطَالُ، وَنَطَقَتْ الرِّمَاحُ الطَّوَالُ. أَبْنَاءُ الْغَايَاتِ، وَلِيُوثُ الْغَايَاتِ. أَقْبَلُوا كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرِ عَلَى الْعِقْبَانِ الْكَوَاسِرِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا سَيْفُ الضَّرْبِيَّةِ، وَلَيْثُ الْكُتَيْبَةِ. أَحَادِهِمْ نَفَرٌ، وَأَفْرَادُهُمْ زُمْرٌ. الْحَرْبُ دَابُّهُمْ، وَالجِدُّ آدَابُهُمْ، وَالنَّصْرُ طَعْمُهُمْ، وَالْعَدُوُّ غَنَمُهُمْ. قُلُوبٌ أَسْوَدٌ فِي صُدُورِ رِجَالِ، وَرِيَّاحُ زَعَاذِعِ فِي ثَبَاتِ جِبَالِ. هُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِلَاءٌ وَقَاعٌ، وَسُمْ نَاقِعٌ. يُصَيِّبُونَ الثَّغْرَ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَدْخُلُونَ بَيْنَ زُبْرِ الْحَدِيدِ. يَقْرُونَ وَالْأَقْدَامِ زِيَالِ، وَيَخْفُونَ وَهُمْ عَلَى الْأَقْرَانِ ثِقَالِ. أَنْيَابُ الدَّوْلَةِ وَأَعْضَادُهَا، وَكُمَاتُهَا وَأَنْجَادُهَا.

ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ مَعًا

التَّقْوَا فَقَبِلَتْ رِيحَ الْإِقْبَالِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَدَبَّرَتْ رِيحَ الْإِدْبَارِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُعْتَمِدُونَ بِالْمَنَائِحِ الزُّهْرِ، وَأَعْدَاؤُهُ مَتْرُصِدُونَ بِالْمَنَابِ الْحُمْرِ. كَانَتْ لِلأَوْلِيَاءِ الْأَثَرَةَ، وَعَلَى الْأَعْدَاءِ الدَّبْرَةَ. جَدُّ الْأَوْلِيَاءِ بِقُلُوبٍ قَدْ غَمَرَهَا الْيَقِينُ، وَأَيْدٍ قَدْ بَسَطَهَا التَّمَكِينُ، وَبَيْتُ الْأَعْدَاءِ وَقَدْ بَسَطَ لَهُمُ الْغُرُورَ أَمَالِهِمْ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالِهِمْ. فَازَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِأَجْرِ الْمُجَاهِدِينَ، وَبَاءَ أَعْدَاءُ اللَّهِ بِوِزْرِ الْمُعَانِدِينَ. أَزْدَادَ الْأَوْلِيَاءِ شِدَّةَ مِرَاسِ، وَقُوَّةَ بَاسِ، وَثَبَاتَ مَقَامِ، وَصَدَقَ أَنْتِقَامِ. وَأَبْتَدَأَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَنْثِيمَ مَوَاكِبِهَا، وَتَضَعْفَ مَنَاكِبِهَا، وَتَنْخَفِضَ

أعلامها، تنتفض أبرامها، وترى بأسلحتها أغلالاً تُوثقها وتُوبقها، وأنكالا
تُرهبها وتزهقها.

تعبية الجيوش وترتيبها

رتب مولانا المقادم عموماً وخصوصاً، وعبى المقانب بنياناً مرصوصاً. أمر بتسوية
الصفوف التي لا خلل بها، وانتضأ السيوف التي لا خلل لها. عبى جيوشه
ميامن تضمنت اليمين، ومياسر اتبعت اليسر، ووقف في القلب بقلب يسع
الرمال، ويرجح الجبال. رتب فلاناً ومن برسمه في ميمنته التي يقارنها اليمين
والنجاح، وفلاناً في ميسرته التي يصاحبها اليسر والفلاح، وصار هو وقواده
قلباً قابلاً لما قلبه، ناكساً لما واجهه.

تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها

تلقى الجيشان فاصطف الخيل والرجل، وامتلا الحزن والسهل، وبرقت
الأبصار بشعاع السيوف، وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف. تراءى
الجمعان، وأفضى قرب العيان، إلى قرب العنان، وألتهبت جمرة الضراب
والطعان. اشتبكت الحرب تصرف نابها، وتكشف ساقها، وتضرم نارها،
ويشد نطاقها. التقى الجمع بالجمع، وقرع النبع بالنبع. دنا العنان من
العنان، وأفضى الخبر إلى العيان. سارت الجموع إلى الجموع، وبرق البصر
بلمعان الدروع، وحمى وطيس المراس، ودنت التراس من التراس.

اشتداد الحرب وحمى وطيسها

دارت كأس الموت دهاقا، وعاد لقاء القرن للقرن عناقا. بلغت القلوب
الحناجر، وشافهت السيوف المناحر. هاجت الهيجاء، وعز النجاء، وصار
الترامي عناقا. والتلاقي اعتلاقا. صمت الألسنة، ونطقت الأسننة، وخطبت

السُّيُوفُ عَلَى مَنَابِرِ الرَّقَابِ، وَأَقْدَمَتِ الرَّمَاحُ عَلَى الْخُطَطِ الصِّعَابِ. اعْتَنَقَتِ الصُّوَارِمُ وَالْمَنَاصِلُ، وَتَلَاخَقَتِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ، وَاشْتَدَّ أْزْرُ الْمِصَاعِ، وَتَكَابَلَتِ الشُّجْعَانُ صَاعًا بِصَاعٍ. قُدِحَتْ نَارُ الْقِرَاعِ، وَجَالَتْ قِدَاحُ الْمِصَاعِ، تَلَاقَتِ الْفِرْقُ، وَاشْتَدَّ الْفَرْقُ، وَصَارَ الْفَارِسُ إِلَى الْفَارِسِ أَقْرَبَ مِنْ ظِلَّةٍ، وَالسَّيْفُ أَدْنَى إِلَى الْوَرِيدِ مِنْ حَبْلِهِ. اسْتَعْرَبَتِ الْمَلْحَمَةُ، وَعَلَتِ الْغَمْغَمَةُ. فَدَارَتِ رَحَى الْحَرْبِ، وَاسْتَحْرَبَتِ جَمْرَةُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَاشْتَجَرَتْ سُمْرُ الرَّمَاحِ، وَتَصَافَحَتِ بَيْضُ الصِّفَاحِ. احْمَرَّتِ الْحَلْقُ، مِنْ الْعَلَقِ. ضَاقَ الْمَجَالُ، وَتَحَكَّمَتِ الْأَجَالُ. لَمْ يُرَ إِلَّا رُؤُوسٌ تَنْدُرُ، وَدِمَاءٌ تَهْدُرُ، وَأَعْضَاءٌ تَتَطَايَرُ، وَأَجْسَامٌ تَتَزَايَلُ. التَّقَى الصَّفَانُ، وَبَرَزَتِ الْأَقْرَانُ لِلْأَقْرَانِ، وَخَطَبَتِ الصُّوَارِمُ عَلَى مَنَابِرِ الْأَعْنَاقِ، وَسَفَرَتِ السِّهَامُ بَيْنَ الْقَيْسِيِّ وَالْأَحْدَاقِ.

أعمال الأسلحة

رِشْقٌ شُبَّةٌ فِيهِ تَرَادُفُ النَّبْلِ، بِاتِّصَالِ الْوَبْلِ، وَزَرْقٌ أَعَادَ الدُّعْجَ زُرْقًا، وَأَوْسَعَ الْأَهْبَ خَرْقًا. رَشَقُوهُمْ بِنِبَالٍ، تَتَحَمَلُ قَطْعَ الْأَجَالِ. وَاتَّخَذُوا النَّبْلَ رُسُلًا مُؤَدِّيَةً مَا حُمِلَتْ، وَرِسَائِلَ مُبَلِّغَةً مَا أُوْدِعَتْ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا رَامٌ لَا يَخْطِيءُ الْأَهْدَافَ، وَلَا يَتَجَاوَزُ الشُّغَافَ، تَجُوزُ نِبَالُهُمُ الدَّرَقَ إِلَى الْحَدَقِ، وَتَنْفُذُ إِلَى الْحُلُوقِ مِنْ خَلَلِ الْحَلْقِ. أَتَتْهُمْ السِّهَامُ كَرِجْلِ الْجَرَادِ، وَالزَّانَاتُ الْجِدَادُ (كَذَا) صَادِرَةٌ عَنِ السُّوَاعِدِ الشِّدَادِ. أَوْسَعُوهُمْ ضَرْبًا وَمَشَقًا، وَطَعْنًا وَرَشَقًا، وَجَرَحًا وَزَرْقًا. ضَرَبَهُ بَعْضُ الْغُلَمَانِ ضَرْبًا رَعْلًا، وَثَنَّاها بَعْضُ الْعَرَبِ بِطَعْنَةِ نَجْلًا. تَوَاصَتِ الضَّرْبَاتُ، بَيْنَ زَرْقِ الْبَالِزَانَاتِ لَا يَعْرِفُ أَنْصَافًا، وَضَرَبَ بِالْمَرْهَفَاتِ يَفْلِقُ الْهَامَ أَنْصَافًا. أَخَذَتِ الرَّمَاحُ تُطِيرُ شَرْرَهَا، وَالرُّؤُوسُ تَفَارِقُ قَصْرَهَا. ثَمَلَتِ الرَّمَاحُ مِنَ الدَّمَاءِ فَتَعَثَّرَتْ فِي النَّحُورِ، وَتَكَسَّرَتْ فِي الصُّدُورِ. اشْتَجَرَتْ سُمْرُ الرَّمَاحِ، وَتَصَافَحَتِ بَيْضُ الصِّفَاحِ. سَيُوفٌ أَغْمَادُهَا الرُّؤُوسُ

والطلّي ، وجفونها القلوب والكلّي . قد أخذت السيوف نفوسهم ، وأثمرت القنا رؤوسهم .

حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم

قابلوا الجلاذ بالجلد، ونابوا عن أنياب الأسد، وأعطوا الجهاد، أوفى
حفظوا الإجتهد. أجملوا البلاء، وأحسنوا الغناء. بلغوا في اقتناص الأعداء
أقصى المبالغ، ووطئوهم وطء القامع الدامغ. أبلوا بلاء الأبطال، وأبطلوا كيد
الأعداء. إن الأبطال زحموا الأعداء من جوانبهم، وتمكنوا من فض مواكبهم،
وطئوهم بسنابك الخيول، وتركوهم كجفاء السيول. صبوا عليهم سوط عذاب،
وأسلموهم لعوادي تبار وتباب. وقائع هدت قواعد بنيانهم، وأشابت نواصي
ولدانهم. طحنوهم طحن الحب، وجعلوهم درايا الطعن والضرب. وثبوا
عليهم وثوب الأسود، وتركوهم كالزرع المحصود. نكوا فيهم نكاية القضاء
والقدر، وأثروا فيهم تأثير النار في يبيس الشجر. شربوهم شرب إهيم،
وحطموهم حطم الهشيم، وتركوهم كالرميم. تجردوا لهم فحطوهم وحطموهم،
وهزموهم وهزموهم، تركوهم موطي الحوافر، ومورد الكوايسر، ومغدى
الضباع، ومراح السباع. قصدوهم فأصدوهم بأيدي الغير، وحصدوهم حصد
الشوك والشجر. طفقوا ينقضون عليهم كأالأجادل، ويقذفونهم بالجنادل.
أقدموا عليهم إقدام السيل، ونسخوهم نسخ النهار لليل.

هبوب ريح النصر

حتى إذا ضاق المجال، وتحكمت الآجال. أهب الله لمولانا ريح النصر،
وحكم لحزبه باللعلو والقهر، ولما بلغ كتاب المهل آخرة، أجرى الله للواء
المنصور طائره. برقت لاميعة النصر، وحانت ساعة القهر. ما أنتصف النهار

إِلَّا وَقَدْ أَنْتَصَفَ اللَّهُ لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَكُنْفَنَا بِالْأَيْدِ الْقَاهِرِ، وَالنَّصْرَ الشَّامِلِ.
هَبَّتْ رِيحُ النَّصْرِ فَأَنْجَزَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا وَعْدَهُ، وَأَظْفَرَ جَنْدَهُ، وَحَفِظَ عَادَاتِهِ عِنْدَهُ.
لَا حَتَّ غَرَّةَ الْفَتْحِ، وَوَضَحَتْ وَضُوحُ الصُّبْحِ، وَأَشْرَقَتْ صَفْحَةُ الظُّفْرِ، إِشْرَاقَ
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَمَّا هَبَّتْ لِأَشْيَاعِ الدَّوْلَةِ رِيحُ النَّصْرِ، عَلَّتْ بِهِمْ يَدُ الْقُدْرَةِ
فَاتَّبَعُوا أَدْبَارَ الْمَارِقِينَ، وَأَوَّوْهُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَنَزَلَ
الظُّفْرُ وَالنُّجُجُ.

انجلاء المعركة عن القتلى والجرحى والأسرى والهزيمى

انجلت غَبْرَةُ المعركة، وقد أَحَاطَتْ بِالشَّقِيِّ يَدُ المَهْلِكَةِ. اِقْتَسِمَ شَيْعُ
الطَغْيَانِ بَيْنَ اجْتِيَاكِ سَرِيحٍ، وَقَتْلِ ذَرِيحٍ، وَأَسْرِ مُوْتِقٍ، وَحَصْرِ مَوْبِقٍ، وَلَمْ يَنْجُ
إِلَّا شِرْذِمَةٌ لَازَتْ بِذِمَّةِ الهَرَبِ، وَلَنْ تَفُوتَ يَدُ الطَّلَبِ. بَيْنَ قَتِيلٍ قَدْ عَجَّلَ اللَّهُ
بِرُوحِهِ إِلَى دَارِ جَزَائِهِ؛ وَأَسِيرٍ قَدْ أَوْثَقَهُ مَا أَرْتَكِبُهُ بِسُوءِ رَأْيِهِ، وَمُنْهَزِمٍ أَطَارَ
الرُّعْبُ قَلْبَهُ، وَسَلَبَ الخَوْفُ لُبَّهُ. بَيْنَ قَتِيلٍ آسَأَثُرَ بِهِ الجِمَامِ، وَأَتَى عَلَيْهِ
الْأَصْطِلَامُ، وَجَرِيحٍ قَدْ عَايَنَ طَرُوقَ المَنِيَّةِ، دُونَ بَلُوغِ الأَمْنِيَّةِ، وَمَنْهَزِمٍ لَا
يَسْتَبْقِيهِ الهَرَبُ، إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يِنَالُهُ الطَّلَبُ. قَسَمَهُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بَيْنَ قَتِيلٍ تَبَوَّأَ
مِنَ النَّارِ مَحْبَسَهُ، وَمُؤَلِّ جَعَلَ ثَوْبَ العَارِ مَلْبَسَهُ، وَأَسِيرٍ حُبَسَ عَلَى حُكْمِ
الشَّرِيعَةِ، وَمُسْتَأْمِنٍ أُلْحِقَ بِأَهْلِ الصَّنِيعَةِ بَيْنَ قَتِيلٍ مُوسَّدٍ، وَأَسِيرٍ مَصْفَدٍ،
وَهَارِبٍ مُطْرَدٍ، وَمُسْتَأْمِنٍ مُقَيَّدٍ، بَيْنَ قَتِيلٍ مَتَشَحَطٍ بِدَمَائِهِ، وَجَرِيحٍ مُتَقَلِّبٍ بِدَمَائِهِ، بَيْنَ
قَتِيلٍ مُرْمَلٍ، وَجَرِيحٍ مُجَدَّلٍ، وَأَسِيرٍ مُكْبَلٍ. لَمْ يُرَ مِنْ أَشْيَاعِ المَخْذُولِ إِلَّا
أَسِيرٌ مُوْتِقٌ، وَجَرِيحٌ مُرْهَقٌ، وَقَتِيلٌ مُطْرَحٌ، وَشَرِيدٌ مُطَوِّحٌ. إِلَّا أَسِيرٌ وَحَسِيرٌ،
وَقَتِيلٌ وَعَقِيرٌ، وَجَرِيحٌ وَقَرِيحٌ، وَمَرْمَلٌ وَمُزْمَلٌ، وَمَقْبُورٌ وَمَشْبُورٌ. تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَسْرِ
أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ جَوَامِعُهُ، وَجَرَّحَتْ تَحَكَمَتْ فِي الأَجْسَادِ لَوَادِعُهُ، وَقَتَلَ ذَنْتَ مِنَ
الأَشْقِيَاءِ مَشَارِعُهُ. قِيلَ لِأَوْلَيْكَ الأَغْمَازِ، القِصَارِ الأَعْمَارِ: شَاهَتِ الوُجُوهُ

وهبت لهم الدبور بين هشيم ورميم، وقتيل وأميم، وجريح ورهين، وأسير مع قرين.

ذكر القتل والقتلى

انكشفت الهبوة عن فلان وقد سبقت الصفاح، فيه موضع الاستفتاح. قضت منهم الرماح أوطارها، وبردت السيوف أوارها. سكنت النفوس بقتله كما سكنت نفس الإسلام، بقتل أبي جهل بن هشام. مقللة نعت ظمأ الأرض، وأزالت سغب السباع والطير، صلي قبل حر النار بحر المناصل، وسقى الأرض من دمه بطل ووابل. استبدل من أمه، حضور أجله، واستعاض من شهامته، تسليم هامته. قد غصت بقتلاهم حلوق الأرض، واحمرت من دمائهم متون التراب، بطون الأرض أعمر بهم من ظهورها، وحواصل الطير والسباع أحسن قبورها. عدم برد الحياة، وذاق حر المرهفات. جرت من دمائهم أنهار، ولم يطلع عليهم نهار. أريق من دمائهم ما احمرت منه الأرض وجرت به الأودية، ودارت عليه الأرحية.

سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم

أوحى الله إلى أرضه أن تنخسف، وإلى فرسه أن يقف. قص جناحه، وأنهر جراحه. ألقاه الله في الشبكة، ورماه بالهلكة. رماه الله بالقارعة المبيدة لجمعه، البليغة في قمعه. قلع شافته، وقطعت آفته. لم يبق له مفضص قطة، ولا مغرز قناة. أنزلهم الله من آمال، إلى آجال، وأوردهم من مطالع، إلى مصارع عليهم الدبرة، وعلى وجوههم الغبرة. مكبوب على مناخره، مطعون في مناخره، قد طال حصاره، وغاب أنصاره، وسقطت دعامته، وقامت قيامته. قد بلغت روجه التراقي، ووعدته منيته التلاقي. ضرب عليه الإدبار سراق الدمار، ومدّ عليه الخذلان رواق سوء الاختبار. هو جزر

السيوف القواضب ولقى بين أنياب النواذب.

الأسر والأسرى وتشهيدهم

لم ينج من ودائع الأعماد، إلا من حصل في جوامع الأصفاد. حصلوا في قبضة الإسار، وكفة الخسار. نشب في حبال الانتقام، وشرك الاصطلام. يا حسنه في زوال النعمة، وركوب النعمة، بوجه قد علس، ورأي قد برنس (كذا) قد أركبوا الفوالج، وتركوا بالتشهير عبرة الناظر، ولعنة الماقت. أوردوا مقرنين في الأصفاد، وتركوا عبرة للساعين في الأرض بالفساد.

هلاك الأعداء وفناؤهم

صاروا كرميم وهشيم، طاح في ريح عقيم. أصبحوا كالزراع المحصود، وصاروا حديثاً مثل عاد وثمود. صاروا جزر السباع والطيور، ورهن الدمار والثبور. لم يبق لهم جثة واقفة، ولا عين طارفة، ولا روح تسري في جسد، ولا شخص خلق على كبد. حصدوا حصداً، وخبطوا بالسيوف خبطاً. فلم يبق منهم صافر، ولا نجا منهم أول ولا آخر. أخذتهم الصاعقة، وحلت بهم البائقة، فلم يبق منهم نافخ نار، ولا رافع منار.

فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ

استنقذ لأجل ذمائه من ظبي السيوف وقد شارفته، وشبا الحتوف وقد شافهته. عرض على الموت عرض المحتضر، ثم أخر لأجل منتظر. نكص على عقبه وقد كادت صروف الأيام تفتسه، وأنياب الحمام تنتهسه. نجا برأسه وقد فغرت المنايا أفواهاها إليه، وكادت أظفارها تنشب فيه. فأخر لأجل مضروب، وأنسى لأمد مكتوب. استنقذه تأخر أجله من أنياب القواضب، ومخالب النواذب، ونجا بحشاشته وذماؤه على تلف، وشفافته على شرف.

نجا بروحه التي هي زهينة غيها، وصريعة بغيها. لم يبق منه إلا شفاقة
أخطأت برائن الأسد، وبقية هي هامة اليوم أو غد.

ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم

طاروا بأجنحة الرعب لا ينثني أبؤهم على أبنائهم، ولا يلوي سراغهم
على بطائهم. طاروا بأجنحة الوجل، وتصوروا حاضر الأجل. نكصوا على
الأعقاب، وطاروا بخوافي العقاب. أجفلوا إجمال النعام، وأقشعوا إقشاع
الغمام. سبقوا الطلب بأقدام الفرار، وتوقوا مواقع السيوف بملايس من
العار. تمزقوا في البلاد كما يمزق الريح رجل الجراد. عاينوا هول المطلاع
قولوا الأدبار، وتجللوا الإدبار، وطاروا كل مطار. تقلب بهم المزال
والمداحض، وتساقطت بهم قواهم النواهض. لم يشعر به حتى صار جنيماً
قد وراه بطن الليل، وطار كهباء الريح وغشاء السيل. نفض يده بالخميس،
وأعرب ببرد الهرب عن حر الوطيس. تشتتوا أيدي سبأ، وتفرقوا جنوباً وصبا.
فلت شبائهم، وجمع على الذل شتائهم، وحق البلاء بهم، وحققت كلمة
العذاب عليهم، ونكصوا خائبين، وأنهزموا خائفين. تفرقوا في جهات
المهارب، واعتصموا بالأنهار والمسارب. نفتهم الأرض من مناكبها، وضافت
عليهم من جوانبها. جعلوا يتسللون من أثناء الأنهار، وكل ينهار في جرف هار. طار
بين سمع الأرض وبصرها. لا يدري ما يطا من حجرها ومدريها. هام على
وجهه لا يدري أفي الأرض يطلب مدخلا، أو في السماء يلتمس معقلاً وكلاً
(كذا) فإن تخوم الأرض تسلمه، ونجوم السماء ترجمه. تطاير حشدهم
الفجرة، كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة. طاحوا كل مطاح، وطاروا
بأجنحة الرياح. لا يجدون في الخضراء مصعداً، ولا على الغبراء مقعداً. لم
تلقهم أرض، ولم يسعهم طول ولا عرض. لفظتهم البلاد، ومجتهم البقاع،
إلى حيث لا استواء قدم، ولا اهتداء بعلم، ولا سماء تظلمهم أو تجنهم، ولا

أَرْضَ تُقْلُهُمْ أَوْ تُكْنُهُمْ . طَارُوا بِقَوَائِمٍ وَجَلَّ ، وَطَاحُوا بَيْنَ سَقُوطِ أَمَلٍ ، وَدُنُوِ
أَجَلٍ . اسْتَبَدَلُوا بِمُسْكَةِ الْعَزَائِمِ ، هَتَكَةَ الْهَزَائِمِ . نَكَصُوا عَلَى الْأَعْقَابِ يَرُونَ
الْأَشْخَاصَ كَتَائِبَ تَخْتَطِفُهُمْ ، وَالْأَشْبَاحَ مِقَانِبَ تَنْتَسِفُهُمْ . لَمَّا تَرَامَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ
تَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ يَتَعَاذِلُونَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . هَزِيمَةٌ قَوْضٌ اللَّهُ
بِهَا عُرُوشُهُ ، وَفَضٌّ جِيُوشُهُ ، وَضَلَّلٌ وَسَاوَسُهُ ، وَأَبْطَلٌ هَوَاجِسُهُ . هَزِيمَةٌ فَرَقَّ اللَّهُ
بِهَا جَمْعَهُ ، وَبَدَّدَ شَمْلَهُ ، وَعَجَّلَ قَمْعَهُ . غَاضَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ مُخْفِيًا
لشَخْصِهِ ، مُشْفِقًا عَلَى نَفْسِهِ . صَفَرَا لَمْ يَصْحَبْهُ صَافِرٌ ، وَلَمْ يَنْجُ مَعَهُ طَارِفٌ وَلَا
بَاصِرٌ . كَلِمَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هَابَةٌ رِيحٌ حَسِبَهَا خَيْلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمْ ، أَوْ رَجُلًا تَبْتَدِرُ
إِلَيْهِمْ ، وَكَلِمَا عَنَّتْ عَلَيْهِ عَانَةٌ أَرْضٌ ظَنَّهَا بَرًّا يَنْخَسِفُ بِهِ ، أَوْ بَحْرًا يَحِيطُ بِهِ .
لَوْ وَجَدَ فِي الْأَرْضِ نَفَقًا لِأَوْلَجِهِ فِيهِ شِدَّةَ رَوْعِهِ ، أَوْ فِي السَّمَاءِ مُرْتَقَى لِأَعْرَجِهِ
إِلَيْهِ نَخْبٌ رَوْعِهِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّهُمْ فِي أَكْفَانٍ مِنَ الْمَذَلَّةِ ، وَقَبَّرَهُمْ فِي
لِحُودٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ .

ذِكْرُ رُكُوبِ الْأَوْلِيَاءِ أَكْتَفِ الْمُنْهَزِمِينَ وَقَرَبِ مَتَنَاوَلِهِمْ عَلَى الْهَلَاكِ

رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَفَهُمْ يَشْلُونَهُمْ شَلًّا أَلْنَعْمَ ، وَيَفْرُونَهُمْ فَرِي الْأَدَمِ ،
وَيَذْكُونَهُمْ كَهْدَايَا الْحَرَمِ . لَمْ يَزَلِ الطَّالِبُ رَاكِبًا أَكْتَفَهُ ، وَقَابِضًا أَطْرَافَهُ ، حَتَّى
زَخَّ بِهِ الْجِدَارُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا بَعْدَ أَنْ أَنْتَضَمَتِ الطُّرُقُ إِلَيْهِ
بِجِيفِ أَصْحَابِهِ وَرِذَايَا خَيْلِهِ وَرِكَابِهِ ، رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَفَهُمْ وَعَيُونُ الْمَنِيَا
تَرُصُّهُمْ ، وَأَيْدِي الْحُتُوفِ تَحْصُدُهُمْ . أَمْرٌ فَلَانٌ بَأَنَّ يَبْعَدُ فِي آثَارِهِمْ فَلَا
يُنْهَهُهُمْ ، وَيَجِدُّ فِي طَلَبِهِمْ فَلَا يُرْفَهُهُمْ . لَتُعْجَلَهُمْ صَدْمَتُهُ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى
الْأَسْتِرَاشَةِ ، وَالْتَّمَكُنِ مِنَ الْأَسْتِجَاشَةِ . هَامُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ يَرْجُونَ الْخَلَاصَ
وَلَا خَلَاصَ ، وَيَامَلُونَ النِّجَاةَ وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . فَإِنَّ الطَّلِبَ مِنْ وَرَائِهِمْ عَلَى
أَحْشَادٍ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَمْثَالِهِمْ بِمَرْصَادٍ . طَارَ فَلَانٌ بِجَنَاحِ الْفَرَارِ ، مَتَلَفَعًا بِالذُّلِّ
مُتَقَنَّعًا بِالْعَارِ ، وَالْخَيْلَ مَغْدَةً فِي طَلَبِهِ ، وَمَوْعِدَةَ الظُّفْرِ بِهِ . فَإِنَّ قِضَاءَ اللَّهِ

كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكُهُ، وَمُفَاجِئُهُ فَمُهْلِكُهُ. رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَاْفَهُمْ، وَتَحِيْفُوْا أَوْسَاطَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ، وَغَنِمُوا أَثَاْثَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ، وَظَهْرُوْهُمْ وَدَوَابَّهُمْ. مَا هُوَ إِلَّا دَرِيْثَةُ الْهَرَبِ، وَفَرِيْسَةُ الْطَّلَبِ. أُنِيَّ لَهُ الْمَقَامُ وَرِمَاْحُ الْطَّلَبِ نَحْوَهُ مُسْرَعَةً، وَخِيُوْلُهُ إِلَيْهِ مُسْرَعَةً.

ذِكْرُ الْغَنَائِمِ

غَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي لَمْ يُودُوا فِيهَا حَقًّا مَعْلُومًا، وَلَمْ يَغْنُوا بِهَا سَائِلًا مَّحْرُومًا. غَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي أَحْتَجْنُوهَا فَاَحْتَزْنُوهَا. اسْتَوْلَى الْأَوْلِيَاءُ وَغَنِمُوا، وَكَلَّمُوا وَمَا كَلَّمُوا. غَنِمُوا ذَلِكَ الْحُطَامَ، الْمَجْمُوعَ مِنَ الْحَرَامِ، الْمَثْمُرَ مِنَ الْأَثَامِ، الْمَقْتَطَعَ مِنْ فَيْءِ الْإِسْلَامِ. غَنِمُوا أَمْوَالًا إِنْ ذُكِرَ قَدْرُهَا، اسْتَشْرَفَ أَمْرُهَا، وَكَيْفَ بِذَلِكَ وَالذَّهَبَ حَتَّى الْآنَ يُكَالُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ كَيْلًا، وَيُهَالُ بَيْنَ الْغَانِمِينَ هَيْلًا. غَنِمَ الْأَوْلِيَاءُ مَا بَقِيَ لَهُمُ الْحَوَادِثُ، وَأَسَارَتِ عِنْدَهُمُ النَّوَائِبُ مِنَ أُمَّهَاتِ الذَّخَائِرِ وَالْعُقَدِ الْفَنَائِسِ. قَدْ صَارَتِ أَمْوَالُ الْأَعْدَاءِ غَنَائِمَ لَهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَعَادَتِ عَلَى الْفَاسِقِينَ مِظَالِمَ وَحَسْرَةً.

ذِكْرُ مَوْتِ الْعَدُوِّ

أَفْضَى بِهِ سُوءُ الْعَاقِبَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْمَالِ الدَّمِيمِ، وَسُكْنَى الْجَحِيمِ، وَسُقْيَا الْحَمِيمِ. قَضَى نَحْبَهُ، وَلَقِيَ بِأَسْوَدِ صَحِيْفَةِ رَبِّهِ. جَرَاْحَةُ أَتَتْ عَلَى نَفْسِهِ، وَوَسَدَتْهُ فِي رَمْسِهِ. آلَ أَمْرُهُ إِلَى وَبَالٍ، وَأَنْحَلَالَ وَاضْمِحَلَالَ، قُبْضٌ إِلَى أَخْرَاهِ عَلَى الْفَنَاقِ، كَمَا عَاشَ فِي دُنْيَاهِ عَلَى الشَّقَاقِ. مَضَى لِسَبِيْلِهِ يَقْدُمُهُ الْخِزْيُ، وَيَتْبَعُهُ اللَّعْنُ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَلَا الْأَرْضُ. قُبِضَتْ. نَفْسُهُ الْخَبِيْثَةُ عَلَى ضَلَالٍ وَخَبَالٍ، وَسُوءِ حَالٍ وَمَالٍ. تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ بَقَاَيْتِهِ، وَاتَّصَلَتْ حَبَائِلُ فَنَائِهِ.

سلامة الأولياء على الحرب

عادوا منصورين موفورين لم تمسهم جراح، ولا عضهم سلاح. لم يمسه قرح، ولم ينلهم جرح. لم يصبهم ثلم، ولا مسهم كلم. لم يمسه سوء، ولم يشمت بهم عدو.

جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره

كتابي والزمان ضاحكُ آسن، متظاهر البشر، والدنيا مُشرقة الجوّ، مضيئة الأفق، للفتح الذي تفتحت له أبوابُ الشرف والمجد، وتفتقت أنوار الملك والعدل. كتبتُ والأرض رياء ضاحكة، والدنيا خضراء ناضرة، وفجرُ الإسلام عالٍ ساطع، وسيفُ الإيمان ماضٍ قاطع، والبلدان ملأى تهانيً وبشارات، والأولياء شورى بين أفراحٍ ومسرات، لِمَا بَشَّرَ به كتاب مولانا من الفتح الذي نطقت به السنة الشكر، وأرتاحت له أندية الفضل. قد جَلَّ هذا الفتحُ عن تطلبِ نعوته بتصريف الأقوال، وتفخيم شؤونه بضرب الأمثال، وصار التَّمويلُ على ما قد تمكَّن في القلوب من حاله، وأستقرَّ في النفوس من جلاله. لأنَّ آثاره تنظم حاشيتي الشرق والغرب. الفتحُ الذي أصبح الإسلام به مُتَّسِعَ النِّطاق، والعدْلُ ممدود الرواق، والسُّلطان ساطعُ الأشراق. مَحْرُوساً من عدوه المراق، ونزعة الشقاق. الفتحُ الذي تفتحت له عيونُ الزَّمان، وأشرق بأنواره الخافقان. الفتحُ الواضح قَدَّمه على ناصية الشمس، الماحقُ بضياته أنوار البدر، الضاربُ برواقه من فوق النجم، الجاثمُ بجلاله على رقاب الدهر، المادُّ يديه إلى الشرق، ينظمه إلى أقاصي الغرب. الفتحُ المبسوط بين المشرقين شعاعه، الممدود على الخافقين شراعُه. أَجَلُّ بُشْرَى أسفرت عنها الأيامُ والليالي، وسفرت فيها البيضُ والآوالي.

إشاعة خبر الفتح

أشيع خبره إشاعةً لا أهتزت لها أعوادُ المنابر، وعرفها أبادي معرفةً الحاضر

كتبت في إشاعته بما يملأ المسامع، ويشحن المجامع، ويعمر المحاضر،
فيملك المنابر. قد أشعناه حتى عرفه الخاص من أخص المحاضر، وسمعه
العام من صدور المنابر. شهر خبره في الخاص والعام، بين السنة المنابر
وأسنه الأعلام. اهتزت له المجامع، وأصغت إليه المسامع، ووعاه الحاضر،
وتزوده المسافر. طالعه نبيا هذا الفتح الذي ينشر في المواسم، ويورخ في
الملاحم، ويؤثر بين الغائب والحاضر، ويذاع على السنة المنابر.

حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيها

طهرها من شوائب الفساد، وأطلع فيها كواكب السداد، وأرخى من خناق
الرعية، وأستنقذها من أنياب الأذية. ابتسمت بلاد كذا عن ثغور
الأمنة، وطالت فيها أنواع النصفة، وأمحت دونها سمات الخونة، وجمع الله
أهلها على مسالمة كشفت المحن، وعفت الإحن. استبدلت الرعية بشدة
الوجل، قوة الأمل، وبأنبساط الأبواع والأيدي عليها، انقباض الأطماع
والعوادي عنها. سكنت الرعية، وأنحسمت الأذية، ورُتب العمال، وهذبت
الأعمال. أطلع فيها كوكب العدل وكان خافيا، وأوضح لهم منهاج الأمن
وكان عافيا. كأنما بدلوا من ظلمات نورا، وأعقبوا من موت نشورا. وصل
إليهم برد الأمن وقد صلوا بحر الذعر. فرش النصفة وأفاضها، وبسط الرعية
وأزال انقباضها، وهب سقيمها لبريها، وظنينا لنقيها. أراح تلك البلاد من
جامعة الضر والبوس، وظلمات الظلم العبوس. علمت الرعية أن العدل قد
أمتدت أبواعه، والجور قد نفذت أنواعه. فأيقنت بالخير الموفور،
وآلتقال من الظلمات إلى النور.

الأدعية السلطانية عند الفتوح والبشائر وغيرها

سألت الله أن يطيل بقاء مولانا موصول السلطان بالدوام، مكنوف الراية بالنصر

والانتقام، مظفر الألوية والأعلام. ممدود الظلال على الخاص والعام. أدام الله أيامه مُصرفاً أزمّة الأرض، مالكاً أعنة البسط والقبض. أدام الله سلطانه مُستولياً على الإيراد والإصدار، مخدمواً بأيدي الأفضية والأقدار. لا ينهد عزمه لأمر، إلا أسفر عن عزٍ ونُصر، ولا ينهض همه لأرب، إلا تجلى عن استظهار وغلب. لا زال يتناول أقاصي المراد، بقريب السعي والارتداد، ويبلغ مرامي المرام، بداني العزيمة والاهتمام، والله يُديم له الفتوح يميناً ويسارا، ويزيد أعداءه ذلاً وخساراً. لا زالت البشائر وفود سمعه يطرق بابه، ويرفع لها حجابها. أطال الله بقاءه مستولياً على ما تخطبه عزمته، وتقتضيه نعمته. أبقاه الله نافذ المكائد والعزائم، ماضي الآراء والصوارم. عالي اليد والرأية، شامل الملك والولاية. حتى تجتمع له الأرض برّاً وبحراً في عُقدة ملكه وتتنظم الخلق شرقاً وغرباً في صفة ملكه، والله يُقيه لتذليل الخطوب إذا صعرت حدودها وأمالت أجيادها، وكثرت أعوانها ووفرت أعدادها، حتى يملك ما طلعت الشمس عليه، وانتهى هبوب الريح إليه. هنا الله علو صيته في تدبير المقانب، وتحصيل المناقب. لا زال النصر يقدمه، والدهر يخدمه، والفتوح تصافحه، والمناجح تغاديه وتراوحوه. أدام الله أيامه لحسم المعار عن الدنيا بأسرها، وقطع المضار عن الأرض وأهلها. منبسط الظل على النهار حتى لا تشب نوائبه، وعلى الليل فلا تدب عقاربه. أبقاه الله للدنيا والدين، وأخذ راية المجد باليمين، ولا زالت الأرض تحت تصريفه وتدبيره، والناس بين تقديمه وتأخيريه. أدام الله له النجم صاعداً، والزمان مُسعداً ومساعداً، مالكاً رقاب الخافقين، ومُدليلاً صعاب المشرقين، ومُصرفاً أزمّة الملوك، ومُستغرقاً جديد النصر على كثر الجديدين، ليعم الأقاليم السبعة بسلطانه وإحسانه فيغمرها، ويملكها بأعوانه وأوليائه فيغمرها.

الدعاء على أعداء الدولة

سألتُ الله أن يصرف وجوه الرزايا، ويعكس رقاب المنايا، إلى أضداد دولته،

وَكُفَّارِ نِعْمَتِهِ، فَلَا يَخْلُو أَحَدًا مِنْهُمْ مِنْ فَجِيعَةٍ وَجِيعَةٍ، وَمُؤَلِّمَةِ الْيَمَةِ، تَشْغَلَانِهِ
بِنَفْسِهِ، وَتَكْلَانِهِ إِلَى خِذْلَانِهِ وَنَحْسِهِ، وَتَغْنِيَانِ مَوْلَانَا عَنْ أَنْ يَنْزِعَ سَهْمًا مِنْ
كِنَانَتِهِ، أَوْ يَشْهَرَ سَيْفًا مِنْ أَسْيَافِ نِقْمَتِهِ. لَا زَالَ مَوْلَانَا وَاطْنَاً بِسِنَابِكِ خَيْلِهِ قِمَمِ
مُنَابِذِيهِ. مُغْمِدًا سَيْوفِهِ فِي رِقَابِ مُخَالِفِيهِ، زَادَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ سُقُوطَ مَوَاقِعِ،
وَهَبُوطَ مَوَاضِعِ، وَنَحُوسَ طَوَالِعِ، وَحَتَمَ عَلَى كُلِّ مُشَاقِّ لِكَلِمَتِهِ، مُحَادَّةً
لِدَعْوَتِهِ، أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ فِي رِقِّ الذُّلِّ أَهْنَا مَشَارِعَهُ، وَأَقْرَبَ مَوَارِدِهِ، وَاللَّهُ
يَجْعَلُ أَعْدَاءَ دَوْلَتِهِ، صِرْعَى صَوْلَتِهِ، وَمُشَاقِّي كَلِمَتِهِ، جَزَرَ نِقْمَتِهِ. لَا زَالَ
أَعْدَاؤُهُ تَلْفِظُهُمْ ظُهُورَ الْأَرْضِ، وَتَقْبَلُهُمْ بَطُونُ التُّرْبِ. لَا زَالَ مُنَابِذُوهُ حَصَائِدَ
سَيْوفِهِ، وَرَهَائِنَ خَطُوبِ الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ.

استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية
أقبل مولانا فأقبلت به الدنيا المؤلوية، وانجلت الظلمة المستولية. كأن
حلوله بمركز عزه ومقر ملكه. حلول الأديمة الوطفاء، غب السنة الشهباء،
والنور المنتشر، بعد الظلام المعتكر. انحسرت الغمة بالألاء جبينه، ودرت
النعيم من أخلاف يمينه. عاد إلى سرير ملكه، ومقر عزه، على الطائر
الأسعد، والجد الأصعد. فتوجهت الرغبات إلى الله في أن تقرن بذلك من
الحبرة بأخضرها، ومن السعادة بأنضرها. هنا الله مولانا أوبته إلى منشا عزه،
ومستقر ملكه. على أفضل ما وعدت به الطوالع السعيدة عند نهضته، ودلت
عليه البشائر الحميدة في سفرته. أتت البشائر بعود مولانا إلى دار سلطانه
المعمورة بنضارة أيامه. قد أعطته المطالب قيادها، ووطأت له المناجح مهادها
عاد مولانا إلى السرير مستقرًا على غاربه، حامياً لجوانبه، قد دانت له
الطوائف، وأمن به الخائف، وضم النسر، ولم أشعث وأشرق الأرض
وتباشر البشر.

آخر كتاب السلطانيات وما يقع في أبوابها، والله الحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الشوارد والفوارد

وما يشبهها

هبوب ربح الأقبال

قد ركب من الإقبال مَطِيَّةً لم تقف به إلا على الغاية، وسلك من السعادة طريقاً لن يوديه إلا إلى الزيادة. قد امتطى ظهر الإقبال، وشافه درك الآمال. هب عليه نسيم الثروة، وتمهد له فراش النعمة. زفت إليه الأيام أبقار النعم، وأتحفته ببواكير المنح. اقترن النجح بمطلبه، وأقرب من مقصده. امتد عليه ظل النعمى، وجناح الغنى. ظهرت على أموره أمارات الإقبال، ورفرت حوله طير حسن الحال. أفاق من سقم الفاقة، واتسع بعد الإضاعة.

تباشير النجح والغنى

شارف نيل الإرادة، وشافه لسان السعادة، وأبتسم له ثغر الأمل، وأذن بالنجاح في أقرب أمد. قد لاح النجاح وانتشر نوره، ولمعت تباشيره. إن ما يبدو من تباشير النجاح، يضاهي فلق الإصباح، الذي يتلوه طلوع الشمس وإشراقها، وأستضاءة العيون والنفوس بها وارتفاقها، أول الغيث رش ثم قطر، ومبادي الشجر ورق ثم زهر. هل يرتجى الغيث إلا بمخائله، ويستدل على أواخر الأمر إلا بأوائله.

حسن الحال ووفور المال

سالمه ألدهر وساعدة الْجَدِّ، وحالفه السَّعْدُ. قد نال ما لم يحتسبه إلاَّ
وَهَمًا، ولم يُؤمِّله إلاَّ حَدْسًا، فاز برغائب النِّعَمِ، وغرائب القِسَمِ. خاض بحرَ
الغِنَى، وركض في ميدان المُنَى. رأى من الإِنعامِ، ما لم يَرَهُ في المَنامِ،
فكيف من الأيامِ. قد أدرَّ اللهُ له أخلافَ الرِّزْقِ، ومَهَّدَ له أكنافَ العِيشِ، وآتاه
أصنافَ الفِضْلِ، وأركبه أكتافَ العِزِّ. اتَّسقت أحوال معيشتِهِ، وبسقت أعضانُ
دولتِهِ. اتَّسعت مَوادِّ مالِهِ، وتفرَّعت شُعَبُ حالِهِ، تناول النِّعَمَ فيضًا، لا
قبضًا، وورد منهلًا، عللاً لا نهلاً. لا يمتدُّ له طَرْفٌ إلاَّ إلى نِعْمَى، ولا يُصغى سَمْعٌ
إلاَّ إلى نِعْمَةٍ بُشْرَى. لا يلتوي عليه مطلوب، ولا ينزوي عنه محبوب. قد
سخر له المقدار، وساعده الفلك المُّدار. نادى الآمال فإجابته مُكثِّبَةٌ، ودعا
الأماني فعاجلته مُصْحَبَةٌ. رأت عَيْنَاهُ، ما لم تَبْلُغهُ مُنَاهُ، واتَّسعت نِعْمَتُهُ،
بِحيث لم تنله هَمَّتُهُ. امتلأ ناديه من ثاغِيهِ صباح، وراغِيهِ رواح. تلاحقت
حاشيته، وتلاقحت ماشيته.

ذكر المال الصامت

ورمت أكياسه فِضَّةً وتَبْرًا. عنده من العَيْنِ ما تَقَرَّ به العَيْنِ. العَيْنُ للعَيْنِ
قُرَّهُ، وللقلب قُوَّةً. مَنْ مَلِكِ الصَّفْرِ أَبْيَضَ وَجْهُهُ، وَأَخْضَرَ عَيْشُهُ. كم عنده من
عَدُوِّ في بُرْدِهِ صديق. من نجاز الصَّفْرِ، يدعو إلى الكفر، ويرقص على
الظُّفْرِ. كدارة العَيْنِ، يحطُّ ثقل الدِّينِ، ويُنافقُ بوجهَيْنِ. فلانُ مُسْتَظْهَرٌ بخبايا
الحقائبِ، وسرائر الأَخْرَاجِ، وضمائر الصناديقِ. أموالُ اغْتَضَرَ بحُساباناتِها
الدِّيوانِ، ونَاءَ بثقلها الخُزَّانِ.

تراجع الأمور وركود ربح النعمة

رَقَّت حاشيةُ حالِهِ، ومالت دِعَامَةُ مالِهِ. قد أَفَلَ نجمُهُ، وسقط سَهْمُهُ،

وَكثُرَتْ فتوقه، وَاَتَسَّعتْ خُرُوقه. أُحْمَدَت نَارُه، ووُضِعَ مَنَارُه. خبا قَبَسه، وكبا فرسه. قد قَعَدت به نواهضه، وتساقتت خوافيه وقوادمه.

انحاء الخطوب والنوائب

حصل بين أنياب الزَّمان ومخالبه، وصِلَي بنار جوادثه ونوائبه. تصرَّفت به خطوبٌ تتلو خطوبا، وشوائبٌ تدعُ آلِولدان شيبا. حوادِثُ أجحفت، وكوارِثُ ألحفت. عَصَفت به عواصفُ الثُّبور، وقواصفُ الدُّهور. بين مِحْنَةٍ قاصدة، ونَكْبَةٍ راصدة. قد عاين شِدَّةً مُتَعَبَةً، وعانى أُمُورا مُسْتَصْعَبَةً. مرَّ به ما لو مرَّ بالحديد لذاب، أو بالوليد لشاب. نشبَ في أعظم خُطة، وأصعب ورْطة. قد عضه نابُ الأنايبة العُظمى، ورُمي بسهم الدَّامية الجُلِّي، وحصل في أسر الطَّامة الكُبرى. حرَّمسه الضُّرُّ، وأنحى عليه الزَّمنُ المرُّ، ونشزت عليه البيض وشمست منه الصُّفر، وأكلته السُّود وحطمته الحُمُر. قد حَلِي بغم الدَّهر فما يشبع من أكله نهسا ونهشا، وخضما وقضما.

سوء الحال واستحكام الحرقة

فلان يرتضع من الدَّهر ثدي عقيم، ويركب من الفَقْر ظهر بهيم. عاثر لا يَسْتَقِلُّ، سليم لا يُبَلِّ، كسير لا ينجبر، مَضِيمٌ لا ينتصر. قد زالت عنه الآلاء، وأنثالت عليه اللاوآء. لو بلغ الرِّزْقُ فاه، لولا قفاه. لا يأوي إلى ظلِّ الدُّنيا إلا تقاربت أكنافها، ولا يمتري دَرَّها إلا أخلفت أخلافها.

سوء أثر الفقر والضر

جاء بوجهٍ قد غبر فيه الفقر، وانتزف مائه الدَّهر، وأمال قناته السُّقم، وقلم أظفاره العُدم. وجهه أكسف من باله، وزِيُّ أوحش من حاله. جاء نابيدنٍ ناحل، ووجه حائل، ورجلٍ وِجَلَة، ويدٍ قِجَلَة، وأنيابٍ قد آفتر عنها الضُّرُّ، والعَيْشُ

المُرّ. طريحٌ ضعيفٌ ومترَبّةٌ، وطليحٌ ذلٌّ ومسكنه. جاءنا بوجهٍ قد نَضِبَ مأوّه،
وطال سقاؤه. لا يملك غيرَ الجِلدة بُرْدَة، ولا يلتقي بحياه رعدة. جاءنا فلانٌ
يضيقُ بالبرُدِ ويسعُه، ويأخذُه القُرُّ ويدعه.

وصف ثياب الفقر

جاء في قميصٍ قد أكل عليه الدَّهرُ وشرب. أظمارٌ لعبت بها أيدي البلى.
جُبَّةٌ تقرأ (إذا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ) سواءً لابسها والعُرَيان. جُبَّةٌ لا تساوي
تصحيفها. أظمارٌ كالهوآءِ الرِّقيق، وكالشرابِ الرِّقراق. رِدَاءٌ دَبَّ فيه الرِّدى.
أظمارٌ كنسجِ العناكب، ونارِ الحُباحب. رأيت فلاناً في ثيابٍ أخلاق، لم يَبَقْ
فيها من عملِ الحائكِ باق. أظمارُ أرقٌ من أكبادِ المحبين، إذا هبَّ عليها
النَّسيمُ امتزجت بالهوآءِ، وانتظمت في سلكِ الهبَّاءِ.

وصف المتناهي في الفقر

قد أحلت له الضرورةُ ما حرَّم الله عليه، قد حصل على أشدِّ إضاعة،
وتكشفت عن أقبحِ فاقة، قد تناهت حاله في الانتشارِ والرِّزاحةِ إلى التَّكشُّفِ
عن دارِ بلقع، وفقرٍ مُدقع. انتقل من سلخِ جلدٍ إلى تعرُّقِ لحم، ومن رَضٍّ
عَظْمٍ إلى انتقاءِ مُخ. فلانٌ حيٌّ كميته، وفي بيتِ بلابيت. ليس معه عقْد،
على نقد. يخرُجُ خروجَ الحَيَّةِ من جحره، والطائرُ من وكره. حاله حالُ السليمِ مَلَّه
عَوَّادُه، والغريقُ أسلمته أعواده. هو بين أنيابِ الدَّهرِ تحطمه بصريفها،
وتعتوره بصروفها، ويده صيفر، ومنزله قفر، وغداؤه الخوى، وعشاؤه الطوى،
ووطاؤه الغبراء، وغطاؤه الخضراء، وإدامه التَّشهِّي، وطعامه التَّمْنِي، وفراشه
المدر، ووساده الحجر. ثوبه جلده، ومركوبه رجله. خصيبُ العين. جديبُ
البطن، واسعُ المُنَى. ضيقُ الغنى، أفرغ بيتاً من فؤادِ أمِّ موسى.

ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من صرعة الدهر

تجلَّت عنه غمَّة الخطوب، ودارت له آعواقب بالمحجوب. انقشعت
ضبابةٍ محنته، وتجلَّت غمرة كُربته، وطلَّعت نجوم سعادته، وهطلت سحائب
إرادته. صلح له الدَّهر الطَّالِح، وملَّكه عِناهُ البَحْتُ الجامِح، طَلع سعده بعد
الأفول، وبعُد صيته بعد الخمول. صار كمن أُحيى وهو رَمِيم، وأُنبِت وهو
هَشِيم. أنعم الله بإِعادته، إلى أحسن عاداته. أقبِلت عُقدُ أموره تتحلَّل،
ومطالبه تتسهَّل، ووجوه مَناجحه تتهلَّل. أخرجهُ من الضيق إلى السعة، ومن
الانزعاج إلى الدَّعة. تماسكت حاله التي تخلَّلها الخلل، وثبتت قدمه التي
ملكها الزَّلل. صلحت حاله وأستقلَّت، وثبتت قدمه وأستقرَّت.

وصف عيش الناعم المغبوط

فلانٌ في عيشةٍ نديٍّ ظلُّها، وسَحِّ وابلُّها وظلُّها. هو في عيشٍ رقيقٍ
الحواشي، مُثمر النواحي. هو في نعمةٍ صافية، ومنحةٍ ضافية، وعيشة
راضية. قد لاحظ العيشَ مُخضَّر العود، ولأبس الدَّهر مُتصل السُّعود. هو
صائب سَهْم الأمل، وافرُ جناح الجذَل. يفترع أبقار اللذات، ويجتني ثمار
المسرات، يُغازل الغزلان، ويُقامر الأقمار، ويُعاقِر العقار. يهصر أغصان
القُدود، ويقطفُ وردَ الخدود، ويجني رُمان النُّهود. قد صحبته الأيامُ أحسنَ
صُحبة، وعاشرة الزَّمانُ هنا عِشرة. غرابُ البين عن رُبعه مُطار، وغيمُ
اللَّهُوفيه مطير. هو في جانب مَنيع، وجناب مَريع. ثَمِلٌ في غِناه، مُستَقِلٌ في
كراه. قد هناهُ الله كلَّ يومٍ إحساناً أغر، وملاءة عيشاً أغن. قد خفَض الزَّمان له
جناحه، وألان مهاده. فهو يأخذ ما يشاء ويدع، ويلعبُ ويرتع لذَّة العيش
وطاب، وولى رَقيبُ الغمِ عنه وغاب. هو بين جاهٍ عريض، وعيش
غريض. هو بين نعمةٍ سنِيَّة، وبلهنية هنيئة. تُذِلُّ له الأيامُ أخادعها، وتُذني إليه

المطالبُ مشارِعَها. عيشٌ أخضرُ أعودِ ناضره، مائلُ الغُصنِ مائره. هو بين
أنواءِ خَيْرٍ وخصب، وأنوارِ رياضٍ وعُشب.

في ضد ذلك

نجمةٌ مُنكدر، وعيشه كدر، ولباسُه خَشِن، وطعامه خَشِب. يُقاسي من فقدِ
رياشه، وضيقِ معاشه، قذارَةَ عينه، وغُصَّةَ صدره. حالٌ تريحه النهارُ أسود،
والعِيشُ أنكد. إذا أصبح ركب ظهر الشَّيْهم، وإذا أمسى توسد ذراع آلهم.
يكابد من مرارة عيشه ناب الأرقم، ويتجرع كأس العقم. مُنغصٌ شرعة
العِيش، مقصوص جناح الأنس. حاله حالُ السليم في كُربته، والغريق في
لُجته، والمحترق بحرته. هو بين غمائم لا تمطر إلا صواعق، وسمائم لا
تهب إلا بوائق. قد تلقاه بوجه الثامت، ويد المصالت. عيشة رنق، ومورده
طرق، وجانبه حزن، وحاله حزن. طريح كُربة لا يعرف مداها، وجريح غمة
لا تكل مداها. ما يأكل إلا على نغص، ولا يشرب إلا على غصص. قد
انقبضت مسافة طرفه، وأظلم أفق عيشه، وغربت نجوم سعدة.

السرور والاهتزاز

أخذتني هزة، وانتشرت في جوانحي مسرة. وجدتُ أعضائي كلها تتباشر،
ووجوه رجائي تتهلل، وأعطاف مسرتي تهتز، وسحائب غبطني تنهل. حالي
حال من حكم في مناه، وأعطي كتابه بيمناه. كدت أهييم فرحاً، وأطيرُ بجناح
السرور مَرِحاً. ملكتني المسرة حتى استفزتني، وأشتملت علي حتى هزتني.
علتني بشاشة النجاح، ودبت في نشوة الارتياح. أصبحت لا تُقلني كواهل
أرضي مَرِحاً، ولا أعوادُ سرجي فرحاً. اتسع لي مسرحُ السرور، وهطلت علي
سحابة الحبور. أهتز عطفه، وأرتفع طرفه، وأنشرح صدره، وترجم عنه
بشره. هزة تُهدي المسرة إلى سواد القلب، وتؤدي الغبطة إلى سواد النفس.

ابتهاج حل حبوة وقاره، ولاح أثره في أثناء وجهه وأسراره. اهتز اهتزاز الرامي
 قرطس سهمه، والضارب نفذ حده، والشجاع ظهرت فروسيته، والحازر
 صدقت فراسته. سرت المسرة في أعضائي، وطبقت الغبطة أحشائي،
 وتهللت وجوه من الأنس كانت قبل عابسة، وأورقت غصون من الفرع وعهدي
 بها يابسة. أقبلت بقلب مرتاح، وصدر ملآن من أنشراح. جاء بأقوى يد
 وأبسطها، وأسّر نفس وأنشطها. قد شق الضحك شدقه، وأمال الطرب
 عنقه. مسرة تركتني كالغصن غازلته الصبا فترنج، ومرّت به الشمال فترجح.
 قرّت عيناه، وأنبسطت يميناه، وصافح مناه. المسرة آتية، والبهجة مواتية،
 والوحشة مؤلّية. لم أضبط نفسي آرتياحاً وهزة، كادا يورثاني بغياً وعزة. أنا في
 ثوب المسرة رافل ونجم الوحشة عني آفل. دواعي المسرة مكتنفة، وعوادي
 الوحشة منكشفة.

في ضد ذلك

في نفسه بلائبل تدور، ومراجل تفور. يده دعامة لذقنه، وجسمه خشبة
 لحزنه. قد صافح أكف الحزن، وأستسلم لأيدي الزمن. ما يستقر به
 مضجع، ولا يجف له مدمع. باله كاسف، وقلبه راجف. هم قد نكأ القلب
 وأبكى العين. لا أقول عمه، ولكن أعماه وأصممه. يرى ضياء الدنيا ظلاماً،
 ويتصور نور الشمس قتاما. منطوي الجوانح على أذى، مغضوض الجفون
 على قذى. قد طبق الحزن بسطة صدره، وأنفق الغم ذخيرة صبره. غمة
 جذع فتية، وقلقه غض طري. نهاره للفكر، وليله للسهر. طرق الأنس دونه
 مبهمه، وآفاق السرور عليه مظلمة.

ذكر الأمن

فلان لا يلتفت وراءه مخافة، ولا يخشى أمامه آفة. قد أبدله الله بحرّ

الْخَوْفُ بَرْدُ الْأَمْنِ فَأَمِنْ سِرُّهُ، وَعَذْبُ شِرْبِهِ. أَمِنْ لَا يُذْعَرُ مَعَهُ السَّرْحُ، وَلَا يَتَغَشَّى لِبَاسِهِ الذُّعْرُ. قَدْ سَكَنَ رَوْعُهُ وَالتَّحَفُ عَلَيْهِ جَنَاحَ السَّكِينَةِ، وَحَصَلَ فِي ظِلِّ الطُّمَأْنِينَةِ. قَدْ سَكَنَ جَاشُهُ، وَزَالَ اسْتِيحَاشُهُ.

في ضد ذلك

إِذَا نَامَ هَالَهُ طَيْفٌ، وَإِذَا أَنْتَبَهُ رَاعَهُ سَيْفٌ. طَارَ قَلْبُهُ بِجَنَاحِ الْوَجَلِ، وَطَاشَ لَبُّهُ فِي قَبْضَةِ الْوَهْلِ. الْأَرْضُ عَلَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلٌ أَوْ أَشَدُّ تَقَارُبًا، وَحَلْقَةٌ خَاتَمٌ أَوْ أُمَّ تَدَاخِلًا. قَدْ مَلَكَهُ خَوْفٌ لَا يَرِيمُ، وَذُعْرٌ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ. قَدْ طَاحَ رَوْعُهُ فَرَقًا، وَطَارَ قَلْبُهُ فِرْقًا، كَادَتْ نَفْسُهُ تَطِيحُ، وَرُوحُهُ تَسْرِي بِهَا الرِّيحُ.

ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة

دَانَ بَعْدَ طِمَاحِهِ، وَلَانَ بَعْدَ جِمَاحِهِ. سَمَحَ، بَعْدَ أَنْ جَمَحَ، وَتَطَوَّعَ، بَعْدَ أَنْ تَمَنَّعَ. اسْتَأْسَرَ، بَعْدَ أَنْ اسْتَأْسَدَ، وَتَدَلَّلَ، بَعْدَ مَا تَدَلَّلَ، وَتَأْتَى، بَعْدَ مَا تَأْتَى، وَعَنَا، بَعْدَ مَا عَنَّا. دَانَ مَقَادُهُ، وَلَانَ شِدَادُهُ. ذَلَّتْ أَخَادِعُهُ، وَتَسَهَّلَتْ مَرَاتِعُهُ.

الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها

لِفَلَانٍ ضُويعةٌ يَرْتَفِقُ بِهَا، وَيَرْتَزِقُ مِنْهَا. ضُيعةٌ أَنْفَقَ عَلَيْهَا أَيَّامَ عَمْرِهِ، وَأَرَاقَ فِيهَا مَاءَ شَبِيبَتِهِ. ضُيعةٌ أَقْتَنَاهَا بِوِطْءِ الْجَمْرِ، وَاسْتَعْمَرَهَا بِانْتِعَالِ الْعَدَمِ. ضُيعةٌ يَحْشُدُ فِي عِمَارَتِهَا، وَيَحْتَمِلُ فِي تَشْمِيرِ آرْتِفَاعِهَا، وَيَبِيعُ مَا يَلُوحُ لَهُ الْحِطُّ فِي بَيْعِهِ مِنْ غَلَّاتِهَا. تِلْكَ الضُّيَاعُ عَلَى اتِّسَاعِ بَقَاعِهَا، وَعِظَمِ آرْتِفَاعِهَا، قَدْ اسْتَغْرَقَتْ غَلَّاتِهَا. نَوَائِبُ السُّلْطَانِ، وَتَحْيِيفُ ثَمَرَاتِهَا جَوَائِحُ الزَّمَانِ، فَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ. وَقَفْتُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي تِلْكَ الضُّيعةِ مِنَ الضُّيعةِ، وَفِي تِلْكَ الْغَلَّةِ مِنَ الْخَلَّةِ. أَرَبَابُهَا أَرَبَابُ خَلَّةٍ وَقَلَّةٍ، وَأَحْوَالُ

مُضْمَحَلَّةٌ . إِنَّ الْجَرَادَ الْعَامَ قَدْ جَرَدَ وَأَفْسَدَ . نَوَائِبُ أَنْخَتَ عَلَيَّ صُبَابَةٌ مَعِيشَتُهُ
لَمْ تُبْقَ وَلَمْ تَذَرْ ، وَتَرَكْتَ نَبَاتَهَا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَرَدًا أُتِيحَ لَهَا
كَبَيْضِ النَّعَامِ كَبْرًا فَأَقْعَدَ قَائِمَهَا ، وَغَيَّبَ نَاجِمَهَا ، وَتَرَكَهَا عَافِيَةً تُنْدَبُ كَمَا نَدَبَ الشُّعْرَاءُ
الْأَطْلَالَ ، ثُمَّ تَنَشَّدُ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَيَّ الْمَحِيلَ مُحَالٌ . هُوَ فِي تِلْكَ الْضِيَاعِ بَيْنَ
نَصْحِ يُؤْتِرُهُ ، وَجَمِيلِ يُؤْتِرُهُ . قَدْ حَفَرَ ، وَحَرَثَ وَبَذَرَ ، وَقَوْمَ الْمَائِدِ ، وَأَصْلَحَ
الْفَاسِدَ ، وَعَمَرَ الْغَامِرَ ، وَتَأَلَّفَ الْنَاقِرَ . كَانَ مِنْ أَثَرِهِ الْحَمِيدِ تَوَصَّلَهُ بِسِيرِ النَّفْقَةِ
إِلَى عِمَارَةِ الْقِنِيِّ حَتَّى تَفَجَّرَتْ عَيْونَهَا ، وَغَزَرَتْ مِيَاهُهَا . هَذَا مَعَ غَيْضِ الْمَاءِ
فِي عَامَّةِ الْأَطْرَافِ ، وَيَكْثُرُ الزُّرُوعُ عَلَى الْجَفَافِ . قَدْ صَارَ دَخَلَهَا عَلَيَّ
الضِّعْفُ ، بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَى النِّصْفِ . قَدْ أَكَّدَ أَسَاسَهَا ، وَثَمَرَ غِرَاسَهَا ، وَأَضْحَكَ
رِيَاضَهَا ، وَمَلَأَ جِيَاظَهَا . جَاهَدَ أُمُورَهَا حَتَّى تَيْسَّرَ أَكْثَرُهَا ، وَتَرَكَهَا لَا يَتَخَلَّلُهَا
خَلَلٌ ، وَلَا يَمِيلُ بِهَا مَيْلٌ . قَدَّمَ فِيهَا مَا هُوَ أَصْلَحُ وَأَنْجَحُ ، وَأَوْفَقُ وَأَرْفَقُ . تَلَا فِي
أَمْرِهَا أَعْظَمَ التَّلَافِي ، وَتَفَرَّدَ الْكَافِي الْوَافِي .

ذِكْرُ الْفَرَسِ وَالْبَغْلَةِ وَالْحِمَارِ

فَرَسٌ يُتَعَبُ سَائِسَةً ، وَيُحْمَلُ فَارِسَهُ . فَرَسٌ رَائِعٌ الْخَلْقُ ، تَنْطِقُ عَنْهُ شَوَاهِدُ
الْعَتَقِ . سَفِينَةٌ بَرِّيَّةٌ ، وَرِيحٌ مُجَسِّمَةٌ . كَأَنَّهُ مُنْتَقِبٌ بِالنَّجْمِ ، مُنْتَعِلٌ بِالْحِجَارَةِ
الضَّمِّ . يُبَارِي طَلْقَ الْبُرَاةِ ، وَيُفْنِي أَنْفَاسَ الْفُهُودِ ، كَأَنَّهُ طَوْدٌ مَوْثِقٌ ، أَوْ سَيْلٌ
مُتَدَفِّقٌ ، كَالْكُوكَبِ الْمُنْقَضِّ ، وَالْبَارِقِ الْمُنْفَضِّ . كَالْجَاحِمِ الْمَشْبُوبِ ،
وَالهَاطِلِ الْمَصْبُوبِ . وَلَا يَعْينُ عَلَيْهِ سَوَطٌ ، كَأَنَّمَا أَنْعَلَ بِالرِّيَّاحِ ، وَبُرُقِعَ
بِالصَّبَاحِ . كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ ، فِي أَشْطَانِ ، وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ . كَالْبَحْرِ إِذَا
مَاجَ ، وَالسَّيْلُ إِذَا هَاجَ . بَغْلَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَ حُسْنِ الشَّيْءِ ، وَطَيْبِ الْمَشِيَّةِ . أَمَا
ذَلِكَ الْحِمَارُ فَالرَّيْحُ أَسِيرُ يَدِهِ ، وَشُعْلُ النَّارِ فِي أَعْضَاءِ جَسَمِهِ ، وَحَسَدُ
الْأَفْرَاسِ مَقْصُورٌ عَلَيَّ حُسْنِهِ ، وَكَمَدُ الْبَغَالِ لَمَّا فَاتَهَا مِنْ فَضْلِهِ .

وصف الأيام المشهودة والمشهورة

يومٌ هو عيدُ العُمر، وموسمُ الدَّهر. وميسمُ الفجر. يومٌ من أعيادِ دَهري، وأعيانِ عمري. يومٌ من أيامِ الدُّنيا ضاحكُ السِّن. طَلَقُ الوجه، شريفُ الصَّيت. رخيصُ الدَّرهم والدِّينار. كثيرُ الفرح والاستبشار. يومٌ أبرزت فيه الدُّنيا زينتها، وجلت على النَّواظر في معرضِ الجمال صورتها. يومٌ هو يومُ القيامةِ إلا أنه لا حشر، وعيدُ الدُّنيا إلا أنه لا فطر ولا نحر. يومٌ خرجت فيه العذراء من الخدر، والصَّبِي من المهد، وسلبَ الرَّجلُ رِداءه في غمارِ الزَّحمة، والمرأةُ سوارها فلم يُسمع صراخها من الضَّجَّة. يومٌ تهافت فيه النَّاس حتى ضلَّت النعل، وسقط الرِّداء، ووُطِيَّ الشَّيخ، وديس الصَّبِي، يومٌ تكاثرت فيه النظارة حتى حُمِلَ فيهم الصَّبِي، ودلَّفَ الشَّيخ، ودبَّت العجوز، وخرجت العروس، وخلت الدُّور.

التأيد

ما طلعت الثُّريا وغربت، وشرقت الشَّمسُ وغربت. ما لاح كوكب، وأقام يذُبل وكبكب، ما حال حَوْل، وعاد عيد، وأخضرَّ عود. ما طلعت شمس، وتكرَّر أمس، ما تردَّد نفس، وتكرَّر غلس. ما بلَّ ريقُ فما، ومِدادُ قلما. ما أنتهى ظلامٌ إلى فلق، وتآدى غروبٌ إلى غسق. ما أحرَّ المَهْل، وضرب المَثَل. ما بقي إنسان، ونطق لسان. ما طردَ اللَّيْلُ النَّهار، وأطردَ النَّجمُ وسار. ما تعاقب الضِّيَاءُ والظُّلام، وتناسخت الشُّهور والأعوام.

آخرُ كتابِ الشُّوارد والفوارد وما يشبهها، والله الحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الأمثال والحكم

وما يحذو حذوها

قال مؤلف هذا الكتاب

قد اعتمدتُ بهذا الكتاب الأخير أن يكون غُرْرُه كلها مُستقلَّة بأنفسها، مَنْسوبةً إلى أربابها الذين هم أفرادُ الدَّهرِ، وأعيانُ العَصْرِ، في أنواعِ النَّشْرِ، وجعلتُ لكلِّ منهم باباً مفرداً، وما توفيتُني إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي أدام الله تأييده

الكَرِيمُ إِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ، وَإِذَا نَهَضَ بِفَضِيلَةٍ لَمْ يَقِفْ. الرَّجَاءُ كَنُورٍ فِي كِمَامٍ، وَالْوَفَاءُ كَنُورٍ فِي ظَلَامٍ، وَلَا بُدَّ لِلنُّورِ أَنْ يَتَفَتَّحَ، وَلِلنُّورِ أَنْ يَتَوَضَّحَ. الْعَفْوُ عَنِ الْمَجْرِمِ مِنْ مَوَاجِبِ الْكَرَمِ، وَقَبُولُ الْمَعْدِرَةِ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّيْمِ. بَزَنْدُ الشَّفِيعِ تَوْرِي نَارِ النَّجَاحِ وَالْإِقْدَاحِ، وَمَنْ كَفِبَ الْمُفِيزُ يَنْتَظِرُ فُورَ الْقِدَاحِ. الْوَسَائِلُ أَقْدَامُ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَالشَّفَاعَاتُ مَفَاتِيحُ الطَّلِبَاتِ. مَنْ أَعَدَّتْهُ نَكَايَةُ الْأَيَّامِ، أَقَامَتْهُ إِغَاثَةُ الْكِرَامِ. وَمَنْ أَلْبَسَهُ اللَّيْلُ ثَوْبَ ظُلْمَائِهِ، نَزَعَهُ عَنْهُ النَّهَارُ بَضِيَّائِهِ. قُوَّةُ الْجَنَاحِ بِالْقَوَادِمِ وَالْخَوَافِي، وَعَمَلُ الرَّمَاحِ بِالْأَسِنَّةِ وَالْعَوَالِي. اقْتِنَاءُ الْمَنَاقِبِ، بِأَحْتِمَالِ الْمَتَاعِبِ، وَإِحْرَازُ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ، بِالسَّعْيِ فِي الْخُطْبِ الْجَلِيلِ. الدَّارُ دَارُ تَغْرِيرٍ وَخِدَاعٍ، وَمَلْتَقَى سَاعَةِ لُودَاعٍ، وَأَهْلُهَا مَتَصَرِّفُونَ لُورِدٍ وَصَدْرٍ، وَصَائِرُونَ خَبِراً بَعْدَ أَثَرٍ. غَايَةُ كُلِّ مَتَحَرِّكٍ

سكون، ونهاية كل متكوّن أن لا يكون، وآخر الأحياء فناء، والجزع على الأموات
عناء، وإذا كان كذلك، فلم التهالك على هالك. حشو هذا الدهر الخوون
أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم. إذا سمح الدهر بالحباء، بأبشر
بوشك الانقضاء، وإذا أعار، فأحسبه قد أغار، وإذا حالف، فأحسبه قد
خالف. الدهر طعمان حلّو ومرّ، والأيام صرفان عسر ويسر، والخلق معروض
على طورية، مقسوم الأحوال على دوريه. لكل شيء غاية ومتهى، وأنقطاع
وإن بعد المدى. تركّ الجواب، داعية الارتباب، والحاجة إلى اقتضاء،
كسوف في وجه الرجاء. النجيب إذا جرى لم يشقّ غباره، والشهاب إذا سرى
لم تلحق آثاره. من أين للضباب، صوب السحاب، وللغراب هويّ العقاب،
وهيهات أن تكسب الأرض لطافة الهواء، ويصير البدر كالشمس في الضياء.
قد يستعذب الشريب من منبع الزعاق، ويستطاب النحيب من النهاق. كل
غم إلى انحسار، وكل عالٍ إلى انحدار. همّ المنتظر للجواب ثقيل،
والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل.

ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي

الزمانُ صروفٌ تجول، وأمورٌ تحول. الأخلاقُ تُنمىها الأعراق، والثمارُ تنبئُ
عنها الأشجار. الشكرُ به زكاءُ النعمى، والوفاءُ معه صلاحُ العقبي. السعيدُ
من تحلّى بزينة الطاعة، واقتدح بزند الجماعة. العامة لا تفقه حقائق
المذاهب، ولا تعرف عواقب التآلب والتحارب. المخدول يرفع رأساً ناكساً،
ويبلّ فماً يابساً. لا يشوقنك غرارة الصبي، ولا يروقنك زخرفُ المنى. استعد
بالله من نزغات الشيطان، ونزقات الشبان. من خلا له الجو باض وصر ومن
استرخى به ألبب نزا وطفّر.

ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد

متى خلصت حالاً من أعتوار إذى، وصفا فيه شربٌ من اعتراض قذى. قد

تتماسك الأمور حتى تبلغ إلى غاية، ثم تتباين وتتهافت وتستمر حتى تنتهي إلى
نهاية، ثم تتخاذل وتتفاوت. لن يفيض الإناء وإن تدارك القطر عليه حتى
يمتلي، ولا يتساقط الثوب وإن دب فيه البلى حتى ينتهي. قد تسمح الأيام بما
تمنع، وتتساهل ثم تقطع، وتصل الغبطة بالرزية، والمحنة بالمحنة، ولها غرات
تبتدر، وغفلات تتهز. قبل أن تظن فيخشن مسها، ويمتنع جانبها، ويتأب
طائعها، ويتصعب سهلها. قد يعزب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم
يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم
يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل شدة فإلى
رخاء، وكل غمرة فإلى أنجلاء. قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال، ويلين القاسي
فيعود إلى الوصال. العاقل من افتتح في كل أمر خاتمته، وعلم من بدء كل شيء
عاقبته، وطالع بظنه من كل غرس ما يجنى منه، ومن كل زرع ما يحصد عنه.
خير القول ما أغناك جدّه، وأهلك هزله. من أسرّ دأه وسرّ ظمائه، بعد عليه
أن يبيل من علله، ويبيل من غلله، الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرّب، ولا تدرك
إلا بتجشم كلفة ونصب. الصحيح يصيح ويفصح، والحق يلوح ويلمح.
الوداد غرس إن لم يوافق ثرى ثريا وماء رويّا، لم يريج إيراقه، ولم يؤمل ثماره
[وأوراقه]. القلوب أوعية يشرحها الرفق، ويبسطها اللطف، ويفسحها
التمرين، وإذا تجوز بها هذه الخلال، إلى الأستكراه والإملال، خرجت عن
أحتواء علم، وضافت عن ضبط فهم، وفاضت بما تستودع. رأس المال خير من
الربح، والأصل أولى بالعناية من الفرع. المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كل
زمان منتسخة من سجايا سلطانه. قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه، فكيف
يذهل العاقل عن حفظ أوليائه، للأمور أوائل دالة على أواخرها، ومقدمات
شاهدة لعواقبها، هل السيد إلا من تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر. الإبقاء
على خدم السلطان عدل الإبقاء على ماله، والإشفاق على حاشيته وحشمه،
مثل الإشفاق على دينارهِ ودرهمه. قدم من خيرك ما لا ينفعك تأخيره، وأحصد

الشرُّ قبل استفحاله، وقوم الميل ما دام الغصنُ غضاً يقبل التقويم، ورطباً يطيع التثقيف، ولا تنتظر به العُسُورُ والامتناع، وداوِ فتقاً تُنهره الأيامُ خرقاً إن تركته، ارب شعباً يزيدُه الدَّهرُ وهياً إن أغفلته. المرح وأهزل بابان إذا فتحا لم يُغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم يُنتجا غير الشرِّ.

ما أخرج من كلام ابي محمد الحسن بن محمد المهلبى الوزير

من تعرّض للمصاعب، تثبّت للمصائب. من ضاف الأسد قراه أظفاره، ومن حرّك الدَّهرُ أراه آقتداره. من حنث في أيمانه، وأخلّ بأمانته، فإنما ينكث على نفسه. القلبُ لا يملك بالمخاتلة، ولا يُدرِك بالمجادلة. التَّصَرُّفُ أسنى [وأعلى]، والتَّعَطُّلُ أَعْفى وأصفى. أكفُّ عن لحم يكسبك بشما، وفعلٍ يُعقبك ندما. مكنّ مَوْضع رجلك، قبل مشيك، وتأمّل عاقبة فعلك، قبل سعيك. لا تُبد وجه المطابق الموافق، وتخفي نظر المُسارق المُنافق. لا تَعْدِلْ عن النَّصِّ، إلى الخُرْصِ، وعن الحِسِّ، إلى الهجس. ربّما وفي ظنين، وهفا أمين. قتل الإنسان ظلم، وقتل قاتله حكم، لو لم يكن في تهجين الرأي المُفرد، وتبيين عجز التدبير الأوحد. إلا أنّ الأستلحاق وهو أصل كلِّ شيء لا يكون إلا بين اثنين، وأكثر الطيبات أقسام تجمع، وأصناف تُؤلف، لكفى بذلك ناهياً عن الأستبداد، وأمرأً بالاستمداد.

ما اخرج من كلام الصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد

من أستجار به فقد وطئ النجم بقدمه، وسبق القِدَم بتقدُّمه. من آستمح البحر العذب، استخرج اللؤلؤ الرّطب. من غرته أيام السّلامة، حدّته السّنة الندامة. من لم يهزه يسير الإشارة، لم ينفعه كثير العبارة. ربّ لطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال. الكلام إذا تكرّر في السّمع، تقرّر في القلب. من طلب الرّي من الفرات لم يخش الظمأ في ورده. ومن قصّد الكريم برجائه

لم يُحاذر الخيبة في قصده. من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه السنة
 المطالب. من غمط النعمة، استنزل النعمة. من نبت لحمه على الحرام، لم
 يحصده غير حد الحسام. من يكن الحداء أباه، تجد نعلاه. من لم يتحرز
 من المكائد قبل هجومها، لم يغنه الأسف عند وقوعها. من عرف المفاجر،
 عرف المعابر، ومن حفظ المساعي (كذا). الناس بالذم أعلق، وروائحه
 بالحفظ أعبق. الاعتدال عدل، والطريق الأوسط أمثل. الرأي أقومه،
 أحكمه، وأسدّه، أشدّه. ربّ اجتهاد، أبلغ من جهاد، ومكائد دقيقة
 المسارب، أنكى من جداد صقيلة المضارب. ولطائف أقوال، تنوب عن
 وظائف أموال. وثبات عقول وعقود، أوقع من ثبات جيوش وجنود. غش
 الكافي أحمد من نصح الناقص. آشاء الجميل لسان المساعي، والبشر
 الحسن عنوان المعالي. الصّدْرُ يطفح بما جمعه، وكلُّ إناءٍ مودٍ ما أودعه.
 اللبّيبُ تكفيه اللّمحة، وتغنيه عن اللفظة اللّحظة، الإحجام في مواطنه،
 كالإقدام في مواقعه، والتّرك في أماكنه، كالأخذ في مواضعه. الراحة حيث
 تعب الكرام أودع، لكنها أوضع، والقعود حيث قام الأحرار أسهل، لكنه
 أسفل. الشّمسُ قد تغيب ثم تُشرق، والرّوضُ قد يذبل ثم يورق، والبدرُ يأفل
 ثم يطلع، والسيفُ ينبو ثم يقطع. اللبّيبُ من الإيماء يكفيه، والإيحاء يغنيه،
 واللفظة تجزيه، واللمحة تؤثر فيه. الكأسُ تكره أول ما تؤخذ، ثم تنفع بعد
 ما تنفذ. السيّدُ لا يروع القطيع بأرضه، والأسدُ لا يعدو على الفريسة في
 غيله. الوقوف في مدارج التّهم ذنبٌ عظيم، والدخول في شبهات الظن داءٌ
 عقيم. العَلْمُ بالتذاكر، والجهلُ بالتناكر. الطاعة سعيدة المطيع، حميدة
 المرّجع. والعصيانُ ذميم الفاتحة، وخيمُ العاقبة. الثعالب لا تجسر على
 أخياس الأسود، والأرانبُ لا تُقدم على أغيال اللّيوث. الضمائر الصّحاح،
 أبلغ من الألسنة الفصاح. إنّ الجبال ألثم، والأطواد الصّم لا تمال
 بحصيات القاذف، ولا تحال بجمرات الحاذف. الرّجلُ الحوّل من ثنى أزيمة

الأعداء عن الشحناء، إلى المودة والصفاء، لا من أحال الصديق ذا الإخاء،
إلى حال الهجرة والبغضاء. الشيء يحسن في إبانه، كما أن الثمر يستطاب
في أوانه. الإغفال لا تؤمن عواقبه، بل تحذر مضاييره. الآمال ممدودة،
والأنفاس معدودة. الذكرى ناجعة، وكما قال الله نافعة. تجارة الإفضال
رابحة، وصفقة الإحسان راجحة. متن السيف لين، ولكن حده خشن. ومس
الحيّة ألين، ونابها أخشن. والشمس تحيي نورا، ولكنها تقتل حرا. والماء
يروى، وقد يخاض فيه فيردى. عقد الأمن في الرقاب، لا يبلغ إلا بركوب
الصعاب. بعض الجلم مذلة، وبعض الاستقامة مزلة. كتاب المرء عنوان
عقله، بل عيان قدره، ولسان فضله، بل ميزان عمله. انجاز الوعد، من
دلائل المجد. وأعتراض المظل، من أمارات البخل. وتأخير الإسعاف، من
قرائن الإخلاف. خير ألب ما صفا، وضا، وشره ما تأخر، وتكدر. خير
الوعظ ما قضى بالارتداع، قبل الإيقاع، والأنزجار، قبل الإنكار. اصطناع
الأراذل، سمة في وجوه الأفاضل. مرضاة السلطان، لا تغلو بشيء من
الأثمان، ولا يبذل الروح والجنان. فِراسة الكرم لا تبطي، وقيافة الشرف لا
تخطي. قد ينبح الكلب القمر، فيلقم النابح الحجر. كم متورط في عثار،
رجاء أن يأخذ بثار. لا بُدّ للشرى من قمر، وللربى من مطر. قد يبلغ الكلام،
حيث تقصر السهام. ربما كان الإقرار بالقصور، أنطق من لسان الشكور.
ربما كان الإمساك عن الإطالة، أرجح في الإبانة والدلالة. هل يثبت التصنع
إلا بقدر الاستكشاف، ويستقر العمل إلا ريث الاستشفاف. لكل أمر أجل،
ولكل وقت عمل. إن نفع القول الجميل، وإلا نفع السيف الصّقل. لا
يدهن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث، والنسور والبغاث. عريسة
الأسد، ليست من أماكن النقد. كفران النعم، عنوان النقم. وجحد
الصنائع، داعية القوارع، وتلقي الإحسان بالجحود، تعريض النعم للشرود.
قد يصلي البريء بالسقيم، ويؤخذ البرُّ بالأثيم. يقوى الضعيف، ويصحو

الزيف، ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد. ما أنتفع بعلم من لم ينتفع بطبه، ولا بفهم أمرىء لم يُصب بوهمه. إنَّ السنين تُغيّر السنن. شجاع ولا كعمرو، ومندوب ولا كصخر. للصدر نفثة إذا أُخرج، وللمرء بثة إذا أُحوج. طلوع الشمس في ضمان غروبها. ومكاره الأيام في أعقاب محبوبها. وعواري الليالي على شرف ارتجاعها، وودائع الدهر بعرض انتزاعها. المكاتبه نظام الصلّة وقوام المقة، وملاك المسرة، وعماد المبرة.

ما أخرج من كلام أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابىء

موقع الشكر من النعمة، موقع القري من الضيف. إن وجدته لم يرم، وإن فقدته لم يُقم. إنَّ النفس لأمارة بالسو، صبة إلى العتو. لا تدفع عن مضارها إلا بالشكائم، ولا تُقاد إلى منافعها إلا بالعزائم، فمن كبحتها وثناها نجأها، ومن أطلقها وأهرجها أرهاها. إن الشيطان يكسو الخدع والشبهات، سراويل الحنجج والبيئات. ليستفز بها الأحلام، ويستزل الأقدام. احذر أن تأمر بما تجانب فعله، وتنهى عما تأتي مثله. الشورى لقاح العقول والمباحثة رائد الصواب، وأستظهار المرء على رأيه من عزم الأمور، وأستنارته بعقل أخيه من حزم التدبير. إذا أستفحل الداء فالكي والانضاج، أنجع ما أستعمل فيه من العلاج. أعرف الناس بقدر العافية من وجدها بعد فقدها، وبفضل الثروة من لبسها بعد التعري منها. لسان العمل أنطق من لسان القول. وجميل الفعل أزجر من حسن الوعظ. إذا أتت الجفوة من معدن البر تضاعف إيلاهما، وتزايد إيجاعها، كما أن المبرة إذا جاءت شاذة من معدن العقوق حسن موقعها، وأعجب أمرها. رب بعيد يقربه نقاء جيبه، وقريب يبعده اتهام غيبه. رب حاضر لم تحضر نيته، وغائب لم تغب مشاركته. للكلام مذاهب وملاحن، وربما سلك القائل مسلكاً فسلك السامع ضده، وأراد شيئاً فظن به غيره. لا بد من مصابرة الغمرة حتى تنجلي، وملاطفة الشدة حتى تنتهي.

السيئة إذا حصلت بين حسنتين لم تكن إلا مغمورة مغفورة. إنَّ الله تعالى دعا إلى النهوض والنهوض، ونهى عن الفتور والقعود. الشكول أقارب، وإن تباعدت بهم المناسب. إن انتشار النظام إذا بدا بدب ديب النار في الهشيم، ويسري كما يسري النعل في الأديم، وكثيراً ما يُعدي الصحاح مبارك الجرب، ويتخطى الأذى إلى المركب الصعب.

ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف

نعم المعبر عن الضمير مضمراً القريض. إنَّ الله سائلك عن الآخرة والخطفة، واللفظة واللفظة. ادرع من ثوب عفافك، ما يشمل كافة أطرافك. التقوى أقوى ظهير، وأوفى معين. وخير عتاد، وأكرم زاد للمعاد. اشحذ فكري، وأرهف ذهنك. إذا ابتديت النظر، فأقض أمامه لكلٍ وطراً، لئلا تجاذبك شهوة، أو تختلجك من نوازع النفس حاجة. احذروا أن ينقلكم الله بأقدامكم، إلى مصارع جمامكم. استديم النعمة عليك بالتقوى لله، وبحسن الطاعة للسلطان فإنهما جنتاك، وعدتاك وذريعتاك، والمشفعتان عند الله في أولاك وأخراك. التقوى أوفى معين، وأوفى ظهير. التقوى هي العدة الوافية، والجنة الواقية، والتجارة الرابحة، والسعادة السانحة، والجلاء للشبهة، والضياء في الغمة. سيعيض الله من حرِّ الهواجر برد الظلال، ومن قلق الركاب، نجح الآياب. استقبلوا بالخضوع وجه الله واستنزلوا بالتسبيح والتهليل رحمته. واستديموا بالحمد والشكر نعمته. أيقظوا قلوبكم من سِنَّة الخواطر، وأحبوسا الحافظكم عن محذور المناظر.

ما اخرج من كلام ابي الحسن علي بن القاسم القاساني

قل في حران أخطاه النوء، وحيران مظلم خذله الضوء. مراتع أهل الفضل موبئة، ووجوه مطالبهم مظلمة. شاهد القلب يصدق القول، ورائد الضمير

يحقق الدعوى . ابتداء المنّة تبرّع ونافلة، وإتمامها سنة لازمة وغنيمةٌ حاصلة .
البيانُ الحسنُ ينبُ عن الرُّقى، ويستنزّل العُصم من الذُّرى . كلالُ الذَّهن،
مع ارتقاء السنّ . ونُقْصانُ الخواطر، بزيادة الشواغل واستمرار البلادة،
بمفارقة العادة .

ما اخرج من كلام ابي بكر محمد بن العباس الخوارزمي

الشكر على الإحسان، والسَّليحُ بإزاء الأثمان . الطيرُ واقعةٌ مع مثلها،
والنفسُ مائلةٌ إلى شكلها، الإذكارُ حيث التَّناسي، والتقاضى، حيث
التغاضي . العشرةُ مجاملة، لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء
والكشف، والعشرة لا تحتمل الحساب والصرف . الاعتذار في غير موضعه
ذنبٌ، والتكلف مع وقوع الثقة عيبٌ، والدَّواءُ لغير حاجةٍ داءٌ، كما أنه عند
الحاجة إليه شفاء . الاستقالة تأتي على العثرات، كما أن الحسنات يُذهبن
السيئات . الذنبُ للعين العَشْوَاء، في محبة الظلماء، وكراهة الضيآء، وفم
المريض يستثقل وقع الغذاء، ويستمرىء طعم الماء . الحرُّ كريمُ الظفر إذا
نال أنال، واللَّيْمُ لثيمُ الظَّفر إذا نال أستطال . آباءُ أبوان : أبٌ وِلادة، وأبٌ
إفادة فالأول سبب الحياة الجسمانية، والثاني سبب الحياة الروحانية . الغيرةُ
على الكتب من المكارم، لا بل هي أختُ الغيرة على المحارم . والبخلُ
بالعلم على غير أهله، قضاءٌ لحقه ومعرفةٌ بفضله . الرجل إذا قيدها عقال
الوَجَل، لم تنطلق نحو مطبة الأمل . المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق
بكل شيء يتعلق . العاقل يختار خير الشَّرِين، ويميل مع أعدل الشَّقِين . الجوادُ
محتكر برٍّ، لا محتكر بُرٍّ . الكريمُ تاجرُ جمال، لا تاجرُ مال . والحُرُّ وقاية
الحُر من فقره، وسلاحه على دهره، المدح الكاذب ذمٌّ، والبناء على غير
أساس هدم . الدهرُ غريمٌ ربما يفني بما يعد، وحبلٌ ربما تُثَم فيما تَلد .
الدهرُ أصمٌّ على الكلام، صبورٌ على وَقَع سهام الملام . الناسُ بالإحسان،

والإحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان، والزمان بالمكان، والإمكان على
 قدر المكان. العزل طلاق الرجال، والمحنة صيقل الأحوال. الكريم من
 أكرم الأحرار، والكبير من صغر الدينار. المصيبة في الولد العاق موهبة،
 والتعزية عنه تهنئة. المحبة ثمن كل شيء وإن غلا، وسلم إلى كل شيء وإن
 علا. الرجل من إذا كوى أنضح، وإذا لقع أنتج. وإذا قال أبلغ. وإذا أنعم
 أسبغ. التقديم على الغاية تأخر عنها، والزيادة على الكفاية نقصان منها.
 الأذن بكر من الأ Bakar، لا تفتض إلا بالأخبار، والبكر منها أحب إليها، والأد
 لديها. إنما السؤدد بكثرة الأتباع، وكثرة الأتباع بكثرة الاصطناع إنما تحوم
 الآمال حيث الرغبة، وتسقط الطير حيث تنتثر الحبة، إن النساء لحم على
 وضم، وعصيذ في غير حرم، إلا أن تلاحظ بعين غير، ونفس يقظ حذور.
 إن الولاية عزل، إذا لم يعمر جانبها عدل. سرعة الشهادة طريق من طرق
 الخفة، وأبتدال المدح والتزكية باب من أبواب الملق. المجازفة بحساب
 المقال، أقبح من المجازفة بحساب المال، قبول شكر الشاكر التزام لزيادته،
 وأستماع قول المادح ضمان لحاجته. صغير البرّ أطف وأطيب، كما أن قليل
 الماء أشهى وأغذب. ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمره العلم العمل
 الصالح. طول الخدمة، أكد حرمة، وتأكد الحرمة، عقد قرابة ولحمة. ادعاء
 الفضل من غير معدنه نقيصة، كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار
 فضيلة، والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال، وتعرض لسهام
 الآجال. شاهد العيان، أقوى من شاهد النسيان، ودليل البصر، أوضح من
 دليل الخبر شاهد الأحوال، أنطق من شاهد الأقوال. باب الإحسان مفتوح من
 شاء دخله، وجمي الجميل مباح من آشتهى فعله. وليس على المكارم
 حجاب، ولا يغلق دونها باب. شبكة المحال أوهى من أن تنشب فيها رجل
 محق، وكيد الباطل أضعف من أن ينفذ في حق. مؤدب العاقل إخوانه،
 ومراثة زمانه. وسوط الجواد عنانه. شرف الناظر متصل بشرف الدار، وسماك

الأنهار، ليس في قرار سمك البحار. قراءة كتاب الصديق نعم ترياق سم
الغم. قليل السلطان كثير، ومداراته حزم وتدبير، كما أن مكاشفته غرور
وتغدير. شر من الساعي من أنصت له، وشر من متاع السوء من قبله. لا خير
في حب لا تحمل أقداه. ولا يشرب على الكدر مأوه. خير الكلام ما
استريح من ضده إلى ضده. ورتع بين هزله وجده. أوجع الضرب ما لا
يمكن منه البكاء، وأشد الشكوى ما لا يحققه الاشتكاء. كل غم كان سبباً
للسرور، فهو سرور، وكل ظلمة كانت طريقاً إلى النور، فهي نور. أبى الله
أن يقع في البئر إلا من حفر، وأن يحقق المكر السي إلا بمن مكر. الدعاء
غاية من ضاق إمكانه، ولم يساعده زمانه. ما تعب من أجدى، وما استراح من
أكدى، وحبذا كدر أورث نجاحاً، وشوكة أجنحت ثمراً. للرئاسة شروط وتوابع،
وللتجارة فيها أرباح ووضائع، فرأس مالها اعتقاد المن في الأعناق، وتبليغ
الرجال مقادير الكفاية والاستحقاق. من طمس عين الشمس، فقد نطق عن
مقداره في الحسن. هل على الأرض عار أن تطلب سقيا السماء؟ وهل على
الفقراء نقص أن يأخذوا صدقة الأغنياء؟ وهل يعيب النهر أن يستمد من
البحر؟ وهي يضع الساري أن يستضيء البدر. قد يتواضع الأسد لصيد
الأرنب، وأفتراس الثعلب. وإن كان يصطاد الفيل، ويفترس الزند فيل. حق
لنهر انشعب من بحر، أن يكون غزيراً ولنجم استضاء ببدر، أن يكون
مُنيراً. بالآباء يقتدي الأولاد، وعلى الأعراق تجري الجياد. كل إنسان يجري
على عرق أوليه، وكل إناء يرشح بما فيه. قد يصبر الكريم على عشرة من لا
يحبه، ولا يميل إليه قلبه. العاقل إذا ابغض إنصف، وإذا أحبب ألطف. من
ذا يزحم الداء والموت داؤه، ويثق بالأصدقاء والأيام أعداؤه. لا ثبات على
سم الأسود، ولا قرار على زار الأسد. كيف يقدر على الدواء، من لا يهتدي
إلى الداء. وكيف يداوي أعداءه، من لا يعرف أصدقاءه. قد هابك من
استتر، ولم يذنب إليك من اعتذر. ومن رد إليه عذره فقد أخرجه إلى

الشَّجَاعَةُ بعدَ الْجَبِينِ، وأُخْرِجَ ذَنْبَهُ إِلَى صَحْنِ اليَقِينِ مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ. ليس بين المُوَالَاةِ والمُعَادَاةِ إِلَّا لِقِيَةُ شِنْعَةٍ، أو لَفْظَةُ قَدْعَةٍ. رَبُّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتَهُ فَيَكُونُ سُنَّةً، وفي غيرِ وَقْتِهِ يَكُونُ سُبَّةً. بِالصَّبْرِ يُنَالُ العُلَى، وعندَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمَ السُّرَى فِي الزَّوَايَا خَبَايَا، وفي الرِّجَالِ بَقَايَا. أَشْرَفَ مِنَ الحَقِّ مَنْ قَبَلَهُ، وَأَحْسَنُ مِنَ الحَسَنِ مَنْ فَعَلَهُ. هل يَبْرَأُ المَرِيضُ بَيْنَ الطَّبِيبِينَ؟ وَهِيَ يَسَعُ الغِمْدَ سَيْفِينَ؟ لَمْ أَرِ مُعَلِّمًا أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا مُتَعَلِّمًا أَسْوَأَ تَعْلَمًا مِنَ الإِنْسَانِ. قَدِمًا أَخْلَفَ الدَّوَاءَ شَارِبَهُ، وَخَانَ الرَّجَاءَ صَاحِبَهُ. مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا وَلِيَ عَزَلْتَهُ نَفْسُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا عَزَلَ وَلاَهُ فَضَلَهُ. كَيْفَ يُشْكِرُ القَمَرَ عَلَيَّ أَنْ يَلُوحَ، وَالْمِسْكَ عَلَيَّ أَنْ يَفُوحَ. وَكَيْفَ يُقَالُ لِلنَّجْمِ مَا أَضْوَاكَ، وَلِلْفَلَكِ مَا أَعْلَاكَ، وَلِلْعَسَلِ مَا أَحْلَاكَ. إِنَّ وَايَةَ المَرءِ ثَوْبَهُ، إِنْ قَصُرَ عَنْهُ عَرِي مِنْهُ، وَإِنْ طَالَ عَلَيْهِ عَثْرَ فِيهِ. مَا أَلْمَحْنَةُ إِلَّا سَيْلٌ، وَالسَّيْلُ إِذَا وَقَفَ أَنْصَرَفَ. وَمَا الأَيَّامُ إِلَّا جَيْشٌ، وَالجَيْشُ إِذَا لَمْ يَكْرَ، فَقَدِ فَرَّ، وَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ إِلَيْكَ فَقَدْ أَدْبَرَ عَنكَ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْطَادَ قُلُوبَ الرِّجَالِ، نَثَرَ لَهَا حَبَّ الإِحْسَانِ وَالإِجْمَالَ، وَنَصَبَ لَهَا أَشْرَاكَ الفَضْلِ وَالإِفْضَالِ. إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ أَسْتَرَزَاقَ مَرزُوقٍ، فَلْيَضِعْ الحَرُّرِقَةَ بِيَدِي كَرِيمٍ، وَلْيَجْعَلْ غُدُوَّهُ وَرِوَاحَهُ إِلَى بَابِ عَظِيمٍ. فِي كَتْمَانِ الدَّاءِ، وَفِي عَدَمِ الدَّوَاءِ، عَدَمُ الشِّفَاءِ. مَنْ لَمْ يَنْهَ أَخَاهُ فَقَدْ أَغْرَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُدَاوِ عَلَيْهِ فَقَدْ أَدَوَاهُ. نِعْمَ جُنَّةُ المَرءِ مِنْ سَهَامِ دَهْرِهِ، نَزْوُلُهُ عِنْدَ قَدْرِهِ، وَنِعْمَ السَّلْمُ لِلأَرزَاقِ، طَلْبُهَا مِنْ طَرِيقِ الاستِحْقَاقِ. مَا أَكْثَرَ مِنَ يَخْطِيءُ بِالصَّنِيعَةِ طَرِيقَ المَصْنَعِ، وَيَخَالَفُ بَزْرَعِهِ مَوْضِعَ المَزْرَعِ. أَكْبَرُ مِنَ الأَسِيرِ مَنْ أَسْرَهُ ثُمَّ أَعْتَقَهُ وَأَشْجَعُ مِنَ الأَسَدِ مَنْ قَيَّدَهُ ثُمَّ أَطْلَقَهُ إِذَا عَتَقْتَ المُنَادِمَةَ صَارَتْ نَسَبًا دَانِيَا، وَكَانَتْ رَضَاعًا ثَانِيَا.

ما أُخْرِجَ مِنْ كَلَامِ الأَمِيرِ أَبِي الفَضْلِ عبيدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدِ المِيكَالِيِّ
لِللَّهِ الطَّافُ تَنْتَصِرُ مِنَ البَاغِي، وَتَقْضِي بِنَيْلِ المَبَاغِي. الفَاضِلُ لَا يَسْلَمُ مِنَ

الْقَدْحُ، ولو غدا أقوم من الْقَدْحِ. النِّعْمَةُ عروس مَهْرُهَا الشُّكْرُ، وثَوْبُ صَوَانِهِ
 الْبِشْرُ. لو كان الشَّبَابُ فِضَّةً كان الشَّيْبُ لها خَبِيثًا. الخَضَابُ، تذكرة الشباب.
 ما جُمِشَ الوَدُّ بمثل الْعِتَابِ. الشُّكْلُ للكتاب، كَالْحَلِيِّ لِلْكَعَابِ، رَبُّ كَلَامٍ أَحْلَى
 من رِيقِ النُّحْلِ، وَأَصْفَى من رِيقِ الوَبْلِ. كم بين من حالف الشيطان فاعتصم
 بحبله، وبين من خالفه فاعتصم من ختله. رَبُّ لَأَغْ، في بلاغ. الأَدْبُ زَيْنُ
 وَجْهال، إِنْ تَطَعَّمْتَ به نفع، وإِنْ تَرَوَّيْتَ به نفع، وإِنْ تَعَطَّرْتَ به سَطع، وإِنْ
 تَحَلَّيْتَ به لَمع. خيرُ الْكَلَامِ ما كان لفظه فَحْلاً، ومعناه بكَراً. القلم أحسن مطيَّة
 تمشي براكبها رَهْوا، وتكسو الأنامل زَهْوا. أين الْمَهَاوي من الْمَراقِي، والأقدام
 من التَّراقِي. الدُّنيا قنطرةٌ لمن عَبَرَ، عِبْرَةٌ لمن آسْتَبصر وأَعْتبر.

ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني

الكلامُ معجون، والحديثُ شُجُون. نِعَمَ الرَّفِيقِ، التَّوْفِيقِ. المرء لا يُعرف
 بُرْدَه، كالسِّيفِ لا يعرف بغمده. رأسُ الْيَتِيمِ يحتمل الْوَهْنَ، ولا يحتملُ
 الدَّهْنَ، وظَهْرُ الشَّقِيِّ يحتمل عِدْلَيْنِ من الْفَحْمِ، ولا يحتمل رَطْلَيْنِ من الشَّحْمِ.
 لولا الشَّعِيرُ، ما نَهَقَت الحمير. الكلبُ بزمن، حين يسمن، ولا يتبع، حين
 يشبع وعند الْجُوعِ، يهيم بِالرَّجُوعِ. نارُ الحَلْفَاءِ، سَريعةُ الانطفَاءِ. الحِدْقُ، لا
 يزيد الرزقُ. والدَّعةُ، لا تحجب السَّعةُ. لا يكونن مثلك كمن صام حَوْلًا.
 وشَرِبَ بَوْلًا. احتكم إلى الحجارَةِ، فَالتَّغْيِيرُ نصفُ التَّجَارَةِ. المرء يُساق إلى ما
 يُراد به. غَضَبُ العاشقِ أَقصرُ عُمراً، من أن ينتظر عُذْراً. المرءُ يُدبِّرُ،
 والقضاءُ يُدمِّرُ، والآمالُ تنقسِمُ، والآجالُ تبتسم. للمقمور أن يستخف
 ويستهن، وللقامر أن يحتمل ويلين. إِنْ بعد الكدَرُ صفواً، وبعد المَطَرُ صحواً،
 لا تكاثروا الله في بلاده، ولا تراءووه في مُرادِهِ، (إِنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ). الحبل لا يُبرَمُ إلا للفتل، والثور لا يُربَّى إلا للقتل. أرخصُ ما

يكون النفط إذا غلا، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يُجسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة، ولا بحسب الحب ينثر للعصفور نعمة. إن للمتعة حداً، وإن للعارية رداً. ما كلُّ مائعٍ ماءً، ولا كلُّ سقفٍ سماءً، ولا كلُّ بيتٍ بيتُ الله، ولا كلُّ محمدٍ رسول الله. الكريمُ عند أولي اللوم، كالماء في فم المحموم، وسم المبرسم في الشهد، والشَّمسُ تَبُحُّ في عيون الرُّمد. الخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل. سبيل الإنسان، في الإحسان، سبيل الأشجار، في الثمار، فسبيله إذا أتى بالحسنة، أن يرقد إلى السنة. جهد المقل، خيرٌ من عُذر المخل. النذل، لا يَألم العزل. إن الوالي سيعزل، وإن الراكب سينزل. المدينُ يحسب النسيسة عطية، ويعتدُّها هدية. من الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. لن يَبطل العرف في القياس، ولا يذهب بين الله والناس، الطباع إلى الذمِّ أميل. والعقرب، إلى الشرِّ أقرب. واللِّسان بالقذح، أجرى منه بالمدح. والحاسدُ يعمى عن محاسن الصبح، بعين تَدرك دقائق القبح. للثقات خيانات، في بعض الأوقات. هذه العين تريك السراب شراباً وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً. لست بمعذور، إن وثقت بمحذور.

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء رسوم الكرم ديون. الأفعال، نتائج الآمال. ربّ ظلومٍ يتظلم. المكاتبُ ترجمةُ النية. السيد المتواضع كالشمس الباهرة بضياها، القريبة مع اعتلائها. الصديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه. والغيث الذي لا عوض بحالٍ منه. دولة لا تختصُّ بنفعها الأحرار غير مفروح بها، ولا مأسوف عليها. المعرفة بأسرار الآلات، أقوى معين على الصناعات. كيف يوصي الناظر بنوره، أم كيف يُحث القلب على حفظ سروره. إنَّ أنتهاء الشيء إلى أقصى حدّه ناقل له عما كان عليه إلى ضده. لو تكافأ الناس في فصل الخطاب، لما عُرف الخطأ من الصواب. الانقياد لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشريفة.

ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي

مَنْ أَصْلَحَ فَاسَدَهُ، أَرْغَمَ حَاسَدَهُ. مَنْ أَطَاعَ غَضِبَهُ، أَضَاعَ أَدَبَهُ. عَادَاتُ
السَّادَاتِ، سَادَاتُ الْعَادَاتِ. وَشِيمُ الْأَحْرَارِ، أَحْرَارُ الشَّيْمِ. مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ،
وَقُوفِكَ عِنْدَ حَدِّكَ. أَفْحَشُ الْإِضَاعَةِ، الْإِذَاعَةُ. الْخَيْبَةُ، تَهْتِكُ أَهْلِيَّةَ. فِي
الذُّعَى، رَائِدُ الضُّعَى. مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَسِيبًا، فَلَا تَرْجُ مِنْهُ نَصِيبًا. الرِّشْوَةُ
رِشَاءُ الْحَاجَةِ. اشْتَغَلَ عَنِ لَذَاتِكَ، بَعْمَارَةَ ذَاتِكَ. أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ
لِلْإِخْوَانِ مُدْلًا، وَعَلَى السُّلْطَانِ مُدْلًا. حَبِيبُكَ، مَنْ لَا يَعْيبُكَ. إِذَا بَقِيَ مَا
قَاتَكَ، فَلَا تَأْسُ عَلَى مَا فَاتَكَ. الدُّنْيَا فِئَاءٌ. الْفِنَاءُ. الْبِشْرُ عِنْوَانُ الْكِرْمِ. مِنْ
تَبَرُّجِ بَرِّهِ، تَأْرَجُ ذِكْرُهُ. مِنْ حَصْنِ أَطْرَافِهِ، حَسَنٌ أَوْصَافِهِ. الْمِرَاءُ يَهْدِمُ الْمُرُوعَةَ.
الْفَهْمُ شِعَاعُ الْعَقْلِ. رَضِيَ الْمَرْءُ عَنِ نَفْسِهِ، دَلِيلٌ تَخْلُفُهُ وَنَقْصُهُ. الْحِدَّةُ وَالْعَزِيمَةُ
فَرَسَا رِهَانِ. الْجُودُ وَالشُّجَاعَةُ شَرِيكَا عِنَانِ. الْعَجْزُ وَالْتَوَانِي رَضِيْعَا لِبَانِ. نَعْمُ
الْشَفِيعُ إِلَى عَدُوِّكَ عَقْلُهُ. لَا تَغْتَرَّنْ بِصِحَّةِ مَزَاجِكَ فِي الْهَوَاءِ الْوَبِيِّ. وَلَا تَغْتَرَّنْ
بِقُوَّةِ بَصْرِكَ فِي الظُّلْمَةِ الرَّأكِدَةِ. أَفْرَاطُ التَّغَافُلِ، تَثَاقُلُ. رَبُّ مَقَالٍ لَا تُقَالُ
عَثْرَتُهُ. حُسْنُ الْأَخْلَاقِ، أَنْفُسُ الْأَعْلَاقِ. الْحِلْمُ مَطِيَّةٌ، وَطِيَّةٌ. كَيْفَ الْقَرَارِ،
عَلَى الشَّرَارِ. مَسَلُّكَ الْحُزْنَ، حَزْنٌ. أَحْصِنِ الْجَنَّةَ، لَزُومِ السَّنَةِ. الرَّدُّ الْهَائِلِ،
خَيْرٌ مِنَ الْوَعْدِ الْهَائِلِ. الْخِلَافُ غِلَافُ الشَّرِّ. نَعْمُ الْعُدَّةُ، طَوْلُ الْمُدَّةِ. الْبِرَايَا،
أَهْدَافُ الْبَلَايَا. حَدُّ الْعَفَافِ، الرِّضَاءُ بِالْكَفَافِ. مَنْ لَزِمَ السِّلْمَ سَلِمَ.
الْخُرْقُ، آفَةُ الْخُلُقِ. إِفْرَاطُ السُّخَاوَةِ، رَخَاوَةٌ. رُبَمَا كَانَتْ الْعَطِيَّةُ، خَطِيَّةً.
الْفَلَسَفَةُ فُلُّ السَّفَةِ. لِكُلِّ حَادِثٍ حَدِيثٌ مَا كُلُّ خَاطِرٍ، بَعَاطِرٌ. الْبَشْرُ نَوْرُ
الْإِيْجَابِ. الْبَخْلُ سَوْسُ السِّيَاسَةِ. الْعَفِيفُ، يَكْفِيهِ الطَّفِيفُ. لِسَانُ النَّصِيْحِ
فَصِيْحٌ. التَّصَلُّفُ، تَرْجُمَانُ التَّخَلُّفِ. مَنْ تَعَطَّلَ، تَبَطَّلَ. أَدْهَى الْمَصَائِبِ، كَثْرَةُ
الْمَعَايِبِ. إِفْرَاطُ الدَّمَامَةِ، غَثَاثَةٌ. إِفْرَاطُ الْفَخَامَةِ، وَخَامَةٌ. إِفْرَاطُ التَّأْنِي تَوَانِ.
الْإِنْصَافُ أَحْسَنُ الْأَوْصَافِ. عَلَيْكَ بِالْحَذَرِ، مِنَ الْهَذَرِ. رُبَمَا تَكُونُ الْمَنِيَّةُ، هَنِيَّةً.

معنى المعاشرة، ترك المعاصرة، ما لخرق الرقيع مُرَقَع . ربما تكون العناية،
جناية. قَدْرُ الأمين، ثمين. قُوتك، قُوتك. الغيث، لا يخلو من العيث.

ما أخرج من كلام ابي النصر عبد الجبار العتبي

الشباب باكورة الحياة. الشيبُ رداء الردى. تعرّ عن الدنيا تعرّ. لسانُ
التقصير، قصير. مَنْ يَكْسُ، وكس ونكس. البخلُ فراشُ العار، والحِرصُ
فراشُ النار. إذا قرع المرء باب الكهولة فقد استأذن على البلى. الوقاحة،
كحجر القداحة. لولاه ما استعر لهب، ولا استعل حطب. اللهم في وخز
النفوس، حالُ السوس. في خز السوس. السفة نباح الإنسان. الرفقُ لقاحُ
الصّلاح، وجناحُ النّجاح. عجبتُ لمن يسمح بالروح اضطراباً، كيف لا يسمح
بالمال اختياراً. الصلّة المستورة، كالحلّة المنشورة. حفظُ الأيمان، من وثاق
الإيمان. مَنْ ثمل من كأس الثناء، طرب لأنس اللّقاء. تناسي المعروف قِلادة
في جيد الجود. التجربة مرآة المرء. الشّعيرُ قرآنُ الشيطان. الخمرُ مطية الخطية.
التغافلُ من رُموز الكرم. إياك وأجدل فإن أوله مجارة، وأوسطه مُباراة، وآخره
مُماراة. الأناة سَمْتُ العاقل، وسِمةُ الفاضل. العاقل مَنْ أصبح من الأجل،
على وَجَل. [للبقول أحرار، وفي الطير عتاق. الشيبُ أحدُ كافوري الكفن،
حسن الخلق في الخلد. البدعة شَرَكُ الشِرْك. ربي ربي على كلّ خفي (كذا).
تكليلُ المعروف تعجيله، وتتويجه، وتطويقه، وتحقيقه، وتسويره، تيسيره،
وتوشيعه، تسريحه. الماء يطيب المسك. العشرة بعنبر الإنصاف. إذا سمعت
نغمة الشكر طربت للمزيد. عُدتي في العقبى، مودّتي في القربى].

ما أخرج من كلام ابي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي

في كتابه كتاب الفرائد والقلائد

أعنى الناس من أطال الخطبة، وأساء الخطبة. أشدُّ الغصص، فوّتُ

الفرص العَدْلُ أقوى جيش، وآلأمن أهنا عيش. من صاحب العلماء وُقِر،
ومن صاحب السُّفهاء حُقِر. خيرُ أموالك ما أنفقت منه، وخيرُ أعمالك ما
وُفقت فيه. أبعدُ أهيم. أقربها من الكرم، رأس الفضائل، اصطناع الأفاضل،
ورأس الرذائل، اصطناع الأراذل. من أعز نفسه، أذلَّ فلسه. من حسن
صفاؤه. وجبَ أصطفاؤه. من بسط راحته، أنس ساحته. من ركب الحق،
غلب الخلق. من ساء عقده، سرَّ فقده. من تعدى على جاره، دلَّ على لوم
نجاره. من أحسن الاختيار، أحسن إلى الأختيار. من فعل ما شاء، لقي ما
ساء. من زرع الإحن، حصد المحن. من زلَّ نعله، زال عقله. من حسنت
حاله، استحسن محاله. لا يخلو المرء من ودودٍ يمدح، ومن حسودٍ يقدح.
الشرف بأهيم العالية، لا بالرَّمم البالية. من طال أمله، ساء عمله. [ازرع
الأختيار بسبيك، وأحصد الأشرار بسيفك. إذا سنحت لك إلى السلطان حاجة
فلا ترفعها إليه ما لم ترَّ وجهه بسيطا، وقلبه نشيطا، وبشره باديا، وذُرعه
خاليا].

ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب

من صلى لله لم يصل ناره. الصدقة صدقُ آجنة. بشر وفد، الله برِقد
الدارين. سبحان مقدر الأوقات، على اختلاف الأوقات. العلمُ أشرف ما
وعيت، وأخيرُ أفضل ما أوعيت. الصدقُ بأحرَّ أحرى، وفي طريق المروءة
أجرى. الهوى سلافُ مؤنق، مزاجه ذعافُ مؤيق. الكريمُ ثقلُ هناته، وتكثر
هبأته. القلوبُ لا تستمال، بمثل المال. العرض، هو الغرض، والمال، هو
المال. ما بقاء المال بين حوائج الإنسان، وجوائح الزمان. العينُ للعين قرة،
وللظهر قرة. الدرهم أنفذ الرِّسائل، وأنفع الوسائل، وأنجح المسائل. نقصانُ
الغلة، زيادة الغلة. لا توتى الضيعة أكلها. إلا من يحمل كَلها. خلف الوعد،
خلق الوغد. الورد نسيمُ الروح، نسيبُ الروح. الصديق ثاني النفس، وثالث

العينين. لقاء الصديق رُوح الحياة، وفراقه سَمُ الحيات. الحاجة إلى الأخ
المعين، كالحاجة إلى الماء المعين. ربما كان التَّقالي، في التَّلَاقِي. رُبما أدَّت
المُجادلة، إلى المُجالدة. إذا ألمَّ الألم، فالمعالجة بالمعالجة. مَنْ كَرُمَت خِصاله،
وَجَبَّ وِصاله، وَمَنْ كَثُرَ هُجْرُهُ، وَجَبَ هَجْرُهُ. عَرَفَ العُرف يَضوع عند
الكريم، ويضيع عند اللئيم. طوبى لمن كانت نفسه مُراحة، وعِلله مُراحة.
طوبى لمن أَمِنَ سِرْبِهِ، وصفا شربه. ويلٌ لمن كان بين عزِّ النَّفس، وذلِّ الحاجة.
ويلٌ لمن كان بين سَخَطِ الخالق، وشماتة المخلوق. كم مُعسِر في آثياب
الأخلاق، مُوسِر في مكارم الأخلاق. لو كانت المشاجرة شَجْرًا، لم تُثمر إلاَّ
ضَجْرًا. مَنْ أَعْتَقَدَ الصِّلاح، اقْتَعَدَ الفلاح. مَنْ جَلَبَ دُرَّ الكلام، حَلَبَ دُرَّ
الكِرام. من عاداه قَوْمُهُ، طارَ نَوْمُهُ، وطالَ يَوْمُهُ. الرَّجُلُ مَنْ تُثْنِي بِهِ الخناصر،
وتُثْنِي عليه السَّبَبات، وتُعْضُّ من العُيُظ عليه الأباهيم. المَلِكُ مَنْ تَبَيَضُّ آثارُ
أَياديه، وتسودُّ أيامُ أعاديته، وتُخَضُّ مواضع سَيِّئِهِ، وتُحْمَرُّ مواضع سَيِّئِهِ. إذا عَدَلَ
المَلِكُ فقد أَعْتَدَلَ الجانف، وأَقْصَرَ الخائف، وأَمِنَ الخائف. مذاكرةُ أدبَاءِ
الإخوان، أَطيبُ من مُغازلة الغزلان، وأَمْتَع من حركات الرِّيح بين الرِّيحان.
الأنسُ في المجلس الخاص، لا في المحفل الغاص. التَّقِي مَنْ عَزَفَ أغراض
هُمَّتْهُ عن أغراض الدُّنيا. إذا أَقْبَلَ جَدُّ المرءِ فالإقبال يُسْعِدُهُ، والأوطار تساعده،
وإذا أدبَرَ فالأيلامُ تُعاديته، والنحوسُ تُراوحه وتغاديه. أَحْسِنُوا مُجاوِرَةَ النِّعْمَةِ فإنها
سريعة النِّفَرَة، شديدة الطَّفَرَة. بعيدة السَّفَرَة. ما أدلَّ حُسْنُ السِّيرة، عَلى طيب
السِّيرة. الحازِمُ مَنْ تَزوَدَّ لِمابِهِ، قبل أن يصير لِمابِهِ. البُخْلُ بالطَّعام، من
أخلاق الطَّعام. لا يَطيبُ حُضور الخِوان، إلاَّ مع الإخوان. الصِّديقُ لا يَحْظُرُ،
تقديم ما يَحْضُرُ. لا يَحْصُلُ بَرْدُ العَيْشِ إلاَّ بِحَرِّ التَّعب. إذا أُسْفِرَ صُبْحُ الشَّيبِ
فقد هوى نجمُ أهوى. وهى حبلُ الصِّبا. مَنْ كان في الموقِ عريقًا، كان في
يَمِّ الهَمِّ غريقًا. مَنْ كان عليك عاتبا، كان لك عاتبا. مَنْ أذال وجهه، أَذَلَّ
نفسه. بعضُ الناس كالغذاء النافع، وبعضهم كالسَّمِّ النافع. ثمرةُ رأي

الأديب المشير، أحلى من الأري المشور. قوة الوسيلة جناح النجاح، ربّ
كلامٍ له حُسْنُ الوجوه الصّباح، وسحرُ الحدق الملاح. ربّ كلامٍ أملحٍ من
أطواق القماري، وأذكى من العود القماري. الصعب مع القضاء ذلول،
والعزيب به ذليل. الأمطار، تعوق عن الأوطار. والأوحال، تحول عن الوصال.
الصبر أحجى، بذى الحجى. من تبصر، تبصر. ليالي السرور غر، وأيام
الهموم غر. أخلق بمن كان وجهه دميما أن يكون فعله ذميما. وبمن كان وجهه
وضيا، أن يكون فعله رزيا. ما من لحظة إلا ومعها صنع من الله خفي،
ولطف خفي. ما الخلاص، إلا في الإخلاص. من افتقر إلى الله أستغنى.
صدق المناجاة، سبب النجاة.

آخر كتاب الأمثال والحكم والمواعظ وما يتخذو حذوها من كتب سحر البلاغة وسرّ البراعة
ما كتب لخزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

فرغ من تسويده وتسطيره المفتقر إلى فضل الله وغفرانه محمد بن أحمد بن الحسن السرجهاني
في محروسة ماردين بالمدرسة الخاتونية الرضية تغمدّها الله برحمته

لست بقين من شهر الله الأصمّ رجب سنة سبع وخمس مائة

فهرس كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

- ب كلمة الناشر.
ج-ترجمة المؤلف.
٣ وصف النسخة وتصحيحها.
٤ راموز الصفحة الأخيرة.
٥ مقدمة المؤلف.
٧ كتاب ذكر الله تعالى.
(ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه).
مقدمات.
غرر التحاميد.
٨ وصف الحمد.
عادة الله جل ذكره.
صنع الله ولطفه.
٩ ذكر الله تعالى في أثناء الكلام ذكر
النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
١٠ الصلاة عليه مع الإفصاح.
ذكر اللال.
١١ ذكر القرآن.
١٣ كتاب الأزمنة والأمكنة.
(وما يتصل بها ويشاكلها).
في الربيع وإقباله.
- ١٤ في النسيم ووصف أثره.
١٤ في وصف الرياض.
١٥ في وصف البساتين.
١٥ في ذكر النرجس والورد والشقائق.
في غناء الأطيوار.
١٦ في وصف أيام الربيع.
مقدمة المطر.
١٦ في السحاب والمطر.
١٧ في وصف الماء وما يتصل به.
في ذكر الصيف ووصف الحر.
١٨ ذكر الخريف.
في الشتاء ووصف البرد والثلج
والجمر.
١٩ في الإستظهار على البرد.
١٩ في نعت الأيام الشتوية.
أبواب ذكر الليل والنهار
ووصف أوقاتها واختلاف
أحوالها وما يتصل بها
في ذكر إقبال الليل وانتشار الظلمة
وطلوع الكواكب.

- ٢٠ ذكر الليالي المظلمة.
 ٢٠ في ذكر الليالي الطليقة الطيبة المشكورة.
 في ضد ذلك وذكر طول الليل.
 ٢١ فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر.
 ٢١ ذكر النعاس والنوم.
 ٢٢ انتصاف الليل.
 تناهي الليل وتصومه.
 ٢٢ إقبال الصبح وانتشار النور.
 أفول النجوم.
 ٢٣ طلوع الشمس وانبساط الضوء.
 متوع النهار.
 ٢٣ انتصاف النهار.
 اصفرار الشمس وغروبها.
 ٢٤ ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه.
 (أبواب الأمكنة والأبنية).
 في وصف البلاد.
 ٢٤ في ضد ذلك.
 ٢٥ في ذكر الوطن.
 في الحصون والقلاع.
 ٢٦ في القصور.
 في الدور السرية.
 ٢٦ في الدور المتداعية الخالية.
 ٢٩ كتاب أحوال الإنسان.
 (من لدن صغره وغمائه إلى كبره وانتهائه).
 في ذكر الصبية الصغار.
 في حسن مخايل المولود.
 ٢٩ في ذكر الغلام الأمرد ووصف محاسنه.
 ٣١ في الصدغ والشارب والعدار.
 وصف خروج اللحية وذمها.
 نعت محاسن الجواري.
 ٣٢ ذكر الشاب الغض الشباب.
 خلاعة الشاب وتصايبه.
 ٣٣ في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي.
 وَخَطُّ الشيب وانتشاره.
 ٣٤ في الإكتهال والإحتناك والأرعواء عن مجاهل الشباب.
 ٣٥ استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة في الهرم ومشاركة الفناء.
 ٣٧ كتاب الطعام والشراب.
 (وما ينضاف إليهما ويقترن بهما).
 في الفواكه والثمار.
 ذكر الجوع.
 ٣٨ وصف القدور.
 ٣٨ مقدمة الطعام.
 وصف الموائد.
 وصف الألوان من الأطعمة.
 ٣٩ في وصف ألوان من الحلواء.
 ذكر النهم الأكل.
 ٤٠ في وصف مجالس الأنس وآلات اللهو.
 ٤١ فيما يتصل به من الألفاظ.
 ٤١ في الأستزارة.
 في الكناية عن الشراب.
 وصف الشراب.
 ٤٢ في تأثيرة في القوم.
 فقر وغرر تليق بهذا الباب.
 ذكر الغناء والمغني.

- ٤٣ في ذم المغني.
 في استهزاء الشراب.
 ٤٥ كتاب وصف النظم والنثر.
 (وأصحابها وآلاتها وأدواتها).
 وصف حسن الخط.
 ٤٦ في سرعة الكتابة.
 وصف النثر بما يشتمل عليه من
 الألفاظ والمعاني.
 ٤٧ ذكر البلاغة والبلغاء.
 ٤٨ في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع.
 زلاقة اللسان والفصاحة.
 ٤٩ ذكر الإطناب.
 وصف النثر والنظم معاً.
 ٥٠ وصف الشعر.
 ٥١ وصف الشعراء.
 في نعت الشعر السائر.
 ٥١ في ذكر شعر الأكابر والملوك.
 ٥٢ وصف الكتب البليغة الغزيرة.
 وحسن موقعها.
 ٥٢ تشبيهات هذه الكتب.
 ٥٣ وصف قصر الكتب.
 ٥٤ في ذم الخط والقلم.
 ٥٤ في ذم الكلام.
 ٥٥ في ذم الكاتب.
 ٥٥ في الشاعر والشعر.
 ٥٦ أوصاف أدوات الكتاب وآلات
 الكتاب.
 في نعت المداد.
 في نعت القلم.
- ٥٧ في نعت السكين.
 ٥٩ كتاب الممدوح والأثنية.
 (وما يجري مجراها ويأخذ مأخذها).
 المدح بشرف الأصل وكرم النسب.
 ما يختص من ذلك بأبناء النبوة.
 ٦٠ في المدح بجمع بين شرقي الأصل.
 والنفس وفضلي الإنتساب
 والإكتساب.
 المجد والشرف والعلو.
 ٦١ الجود والكرم.
 ٦٢ الجمال وحسن الصورة.
 البشر والبشاشة.
 ٦٢ العلم والأدب.
 ٦٣ حسن الخلق.
 الظرف واللباقة وحسن العشرة.
 ٦٤ طيب الخبر.
 حسن العهد وكرم الود.
 ٦٤ أصابة الرأي.
 ٦٥ التجربة والحنكة.
 ٦٦ في الهمة العالية.
 الشهامة والنفاذ والجد والجلادة.
 ٦٧ التقى والزهد.
 الكمال والأفراد عن النظراء.
 ٦٧ التفضيل والترجيح.
 ٦٨ ما يليق ببعض هذه المدائح من
 حكاية أفعال المحسنين وحسن آثار
 المنعمين والألفاظ التي تقع في
 الشكر ونشر البر.
 ذكر الإفضال والإنعام والإحسان

٨١ الإستهداف لسهام الغائبين.
 التيه والكبر.
 الحسد.
 ٨٢ دناءة النفس مع شرف الأبوة.
 النميمة.
 الجبن.
 ٨٢ خلف الوعد وكثرة المطل.
 ٨٣ صعوبة الجانب.
 ٨٣ العجز.
 ٨٥ كتاب العيادة
 (وما يجانسها)
 ذكر التشكي والمرض.
 اشتداد العلة وسوء الظن بها.
 ٨٦ الإنزعاج لعارض العلة.
 تهوين أمر العارض بحسن الرجاء.
 ذكر المشاركة في العلة.
 ٨٧ الإهتمام للعلة ثم الإستبشار بزوالها.
 شكاة أهل الفضل والسؤدد.
 ٨٨ أدعية العيادة.
 تنسم الإقبال بعد اليأس.
 ذكر الإبلال وحمد الله عليه والدعاء
 عنده.
 ٨٩ الإستشفاء بكتب العيادة.
 ٩١ كتاب التهاني والتهادي
 (وما ينخرط في سلكها ويأخذها مأخذها)
 ألفاظ التهنة بمولود.
 ٩٢ ما يختص منها بالملوك.
 الأدعية للمولود والوالد.
 ٩٣ ما يختص منها بالملوك والسادة.

والإصطناع.
 ٦٨ حسن آثار المنعم.
 ٦٩ وصف النعم.
 ٦٩ وصف الأيادي والمنن.
 ٧٠ ذكر وفورها وكثرتها.
 ٧٠ التشریف والتنويه.
 ٧١ ذكر الشكر.
 ٧١ العجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر.
 ٧٢ حسن الإفصاح عن الشكر والثناء.
 ٧٢ دلالة الحال على ما وراءها.
 أدعية تليق بهذه الأحوال بهذا
 الباب.
 ٧٥ كتاب المساويء والمقايح
 (وما يدانيها)
 اللؤم والخسة.
 في البخل.
 ٧٦ القبح والدمامة والحقارة.
 الثقل والبغض والبرد.
 ٧٧ البخر وترك التنظف.
 الجهل والخرق والسخف.
 ٧٨ الخسة مع الثروة والإقتصار من الإنعام
 والإفضال على التنعم والتجمل
 وجمع المال وترك التطول.
 القلة والذلة.
 ٧٩ خبث الطوية ومخالفة الباطن الظاهر.
 ما يختص من هذا الباب بالمراثين من
 الفقهاء والعدول والقضاة.
 ٨٠ الكذب والبهتان.
 خبث اللسان والفعل.

- ذكر المولود العلوي .
 ذكر التوأمين .
 ٩٤ في التهئة بالبنت .
 ٩٥ ألفاظ التهئة بالإملاك وما يقترن بها
 من الأدعية .
 ألفاظ التهئة بالولايات .
 ٩٦ ما يختص منها بالوزراء .
 ٩٧ ما يختص منها بالقضاة .
 الأدعية التي في التهانى بالأعمال
 والولايات .
 ٩٨ ذكر الخلع والأحبية ووصفها
 في التهئة بالقدوم .
 ٩٩ ألفاظ في التهئة بالحج وتفخيم أمر
 الحج وتعظيم المناسك والمشاعر وما
 يتصل بهما من الأدعية .
 ١٠٠ في ألفاظ التهئة بالإطلاق من الحبس
 التهئة بإقبال شهر رمضان وما يتصل بها
 من الأدعية .
 ١٠١ الأدعية في التهئة بالعيد .
 ما يختص منها بالأضحى .
 ١٠٢ التهئة بالنيروز وفصل الربيع .
 ١٠٣ التهئة بالمهرجان .
 إقامة رسم الهدية في النيروز
 والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر .
 إهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب
 والآداب والعلوم .
 ١٠٥ كتاب التعازي
 (وما يليق بها)
 وصف الخبر الهائل المزعج .
- الكناية عن موت الرؤساء والأعزة .
 ١٠٦ ذكر النعي بالفقء .
 نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار
 المصائب فيهم .
 ١٠٧ ما يختص من ذلك بأبناء النبوة .
 ١٠٨ ذكر البكاء .
 ذكر الإستراحة بالبكاء والجزع .
 وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها .
 ١٠٩ ذكر الإنخزال وكسوف البال والجزع
 والتوجع والإكتئاب لحادث
 المصاب .
 ١١٠ التأبين والندبة .
 ١١١ في أن الفدية لا تغني .
 ما يقع من كتب التعازي من وصف
 الدهر .
 ١١٢ ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها
 الأمر بالصبر والنهي عن الجزع .
 ١١٣ ذكر الموت .
 ١١٤ في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم
 لحكمه .
 في حمل قضاء الله على الأصلح
 لعباده .
 ١١٥ ذكر الأعمار والآجال .
 في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي .
 ١١٦ فيما يجمع بين التعزية والتهئة .
 ١١٧ استظهار المشاركة والمساهمة .
 عظات التعزية .
 الأدعية للمتوفى .
 ١١٨ ما يختص منها بالملوك .

- ١١٩ ما يختص منها بالأشراف.
 في الدعاء للمعزى بالصبر والأجر.
 ١٢٠ سائر الأدعية للمعزى.
 ما يختص منها بالملوك.
 ١٢١ ما يختص منها بالأشراف.
 مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية.
 ١٢٢ ذكر موتهم وتأبينهم.
 ذكر موت الأدباء والكتاب.
 ١٢٣ ذكر موت الأولاد الصغار والكبار.
 ما يختص من ذلك بأولاد الملوك.
 ١٢٤ ذكر احتضار الشبان.
 ١٢٥ في التعزية عن الأب.
 في التعازي عن الحرم.
 ١٢٧ كتاب الإخوانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر المودة.
 حسن المخالصة.
 ١٢٨ لطف الحال وتشبهها بالقرابة.
 الإختصاص والإتحاد.
 ١٢٩ المنادمة والمؤانسة.
 التودد والإفصاح عن صدق المحبة
 والموالة.
 ١٣٠ العبودية والخدمة.
 ١٣١ المناسبة بالعلم والأدب والمذهب.
 وصف الشوق.
 ١٣٢ سوء آثار الفراق والإشتياق وما يتصل
 بذلك.
 ذكر الوداع.
 ١٣٣ تذكر أيام اللقاء وصفوها.
- الأدعية الإخوانية.
 ١٣٤ ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق.
 إهداء السلام.
 ١٣٥ ذكر العتاب.
 شكوى الإعراض والجفاء وسوء
 العهد.
 ١٣٦ سائر ألفاظ العتاب والإستزارة.
 ١٣٧ وصف العتاب عند الجواب عنه.
 لبس الصديق على علاقته والإغضاء
 عن هناته.
 وصف الغيظ والجرد.
 ١٣٨ الإعتذار والإستصفاح والإستعطاف.
 ذكر العذر الضعيف النافذ.
 ١٣٩ ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة
 والموحدة.
 ١٤١ كتاب السلطانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر الخلفاء.
 ذكر السلطان وطيب ثمره من والاه.
 وسوء مغبة من ناواه.
 ١٤٢ العدل وحسن السيرة.
 حسن السياسة وتصريف أعنة
 المملكة.
 ١٤٣ بين النقية.
 اتساع المملكة والإستظهار بالرجال
 وكثرة الأموال.
 ١٤٤ ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجد
 الميمون الطالع.
 إصلاح المملكة وإحسان الآثار

- وتطبيب الأخبار فيها.
- ١٤٥ ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها.
- ١٤٦ ذكر حضرة الملك وساحة السلطان ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيل الأرض واليد.
- ١٤٧ ما يقع في هذا الباب من ذكر العصاة والأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم البطر وكفران النعمة والضيم والإستيلاء.
- ركوب الهوى وطاعة الأماني الكاذبة والآراء الفاسدة.
- ١٤٨ المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان.
- ١٤٩ ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان.
- ١٥٠ في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة.
- في ذكر الظلم والظلمة وسوء آثارهم على العباد والبلاد.
- ١٥٢ ذكر الهرج وكثرة الفتنة.
- ١٥٣ التحذير والإنذار والإهابة إلى الرشاد.
- في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة.
- ١٥٤ إبراز صفحة المنابذة.
- استيجاب التكبر والمعاقبة.
- ١٥٥ الإبراق والإرعاد.
- ١٥٦ احتشاد العدو.
- ذم جيش العدو.
- استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم.
- ١٥٧ قرب العدو من الهلاك.
- فيمن سعى بقدمه إلى مرق دم.
- ١٥٨ ذكر انخزال الإعداء ووهلهم واستيلاء الرعب عليهم قبل المحاربة.
- ١٥٩ مسير الملك في جيوشه والتفؤل له.
- ١٦٠ وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة.
- وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب.
- ١٦١ ذكر الأولياء والأعداء معاً
- ١٦٢ تعبئة الجيوش وترتيبها.
- تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها
- اشتداد الحرب وحمي وطيسها.
- ١٦٣ أعمال الأسلحة.
- ١٦٤ حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم.
- هبوب ريح النصر.
- ١٦٥ انجلاء المعركة عن القتلى والجرحى والأسرى والهزمى.
- ١٦٦ ذكر القتل والقتلى.
- سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم.
- ١٦٧ الأسر والأسرى وتشهيدهم.
- هلاك الأعداء وفناؤهم.
- فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ.

صرعة الدهر.
وصف عيش الناعم المغبوط.
١٨٠ في ضد ذلك.
السرور والإهتزاز.
١٨١ في ضد ذلك.
ذكر الأمن.
١٨٢ في ضد ذلك.
ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد
القسوة.
الضياع وما يجري من الألفاظ في
ذكرها ووصف أحوالها.
١٨٣ ذكر الفرس والبغلة والحمار.
١٨٤ وصف الأيام المشهودة والمشهورة
التأييد.

١٦٨ ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم.
١٦٩ ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين
وقرب متناولهم على الهلاك.
١٧٠ ذكر الغنائم.
ذكر موت العدو.
١٧١ سلامة الأولياء على الحرب.
جلالة شأن الفتح وعظم موقعه
وحسن آثاره.
إشاعة خبر الفتح.
١٧٢ حسن حال البلدة المفتوحة
والتخفيف عن رعيتها.
الأدعية السلطانية عند الفتوح
والبشائر وغيرها.
١٧٣ الدعاء على أعداء الدولة.
١٧٤ استقرار الدار بالسلطان وما يتصل
بذكر ذلك من الأدعية.
١٧٥ كتاب الشوارد والفوارد
(وما يشبهها)
هبوب ريح الإقبال.
تباشير النجح والغنى.
١٧٦ حسن الحال ووفور المال.
ذكر المال الصامت.
تراجع الأمور وركود ريح النعمة.
١٧٧ إنحاء الخطوب والنوائب.
سوء الحال واستحكام الحرقة.
سوء أثر الفقر والضر.
١٧٨ وصف ثياب الفقر.
وصف المتناهي في الفقر.
١٧٩ ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من

١٨٥ كتاب الأمثال والحكم
(وما يحذو حذوها)

- ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي.
١٨٦ ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي.
ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد.
١٨٨ ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى الوزير.
ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد.
١٩١ ما أخرج من كلام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء.
١٩٢ ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف.
ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني.
١٩٣ ما أخرج من كلام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي.
١٩٦ ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي.
١٩٧ ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني.
١٩٨ ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء.
١٩٩ ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي.
٢٠٠ ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العتبي.
٢٠١ ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي.
ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب.

